



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

مختصر في تفسير القرآن
التبليغ في تفسير القرآن

مُرْهُ عَلَى الْقُرْآنِ

الجزء الخامس

سورة التلاحة - سورة البقرة - سورة الكهف

دار التكاويف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من هدى القرآن

كاتب:

آيت الله سيد محمد تقى مدرسى

نشرت فى الطباعة:

دار محبى الحسين (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٢٦	من هدى القرآن المجلد ٥
٢٦	اشاره
٢٧	اشاره
٢٩	سوره هود
٢٩	اشاره
٣١	فضل السوره
٣٣	الإطار العام
٣٦	[سوره هود (١١): الآيات ١ الى ٤]
٣٦	اشاره
٣٧	كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ
٣٧	هدى من الآيات:
٣٧	بينات من الآيات:
٣٧	اشاره
٣٩	التوحيد و فروعه:
٤١	[سوره هود (١١): الآيات ٥ الى ٨]
٤١	اشاره
٤١	اللغه
٤٣	إحاطه علم الله
٤٣	هدى من الآيات:
٤٤	بينات من الآيات:
٤٤	إحاطه علم الله:
٤٥	الكفار بين عذاب عاجل و أجل:
٤٧	[سوره هود (١١): الآيات ٩ الى ١٤]

٤٧ اشاره

٤٨ الإنسان بين اليأس و الفخر

٤٨ هدى من الآيات:

٤٩ بينات من الآيات:

٤٩ بين النعماء و الضراء:

٥٠ انما أنت نذير:

٥١ فأتوا بعشر سور مثله:

٥٣ [سوره هود (١١): الآيات ١٥ الى ١٦]

٥٣ اشاره

٥٣ اللغة

٥٤ الإنسان بين الدنيا و الآخرة

٥٤ هدى من الآيات:

٥٤ بينات من الآيات:

٥٤ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ:

٥٧ [سوره هود (١١): الآيات ١٧ الى ٢٢]

٥٧ اشاره

٥٧ اللغة

٥٩ الخساره عاقبه الكفار

٥٩ هدى من الآيات:

٦٠ بينات من الآيات:

٦٠ و منهم من يؤمن به و منهم من يكفر:

٦٢ صفاه ادعياء الدين:

٦٦ [سوره هود (١١): الآيات ٢٣ الى ٢٨]

٦٦ اشاره

٦٦ اللغة

٦٧ أ تُؤْمِنُ لَكَ وَ اتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ

٦٧ هدى من الآيات:

٦٨ بينات من الآيات:

٦٨ هل يستوى الفريقان؟

٦٩ شيخ الأنبياء و قومه:

٧٢ [سوره هود (١١): الآيات ٢٩ الى ٣١]

٧٢ اشاره

٧٢ اللغه

٧٣ و ما أنا بطارد الذين آمنوا

٧٣ هدى من الآيات:

٧٤ بينات من الآيات:

٧٥ إني بشر مثلكم:

٧٧ [سوره هود (١١): الآيات ٣٢ الى ٣٩]

٧٧ اشاره

٧٧ اللغه

٧٨ و ما أنتم بمعجزين

٧٨ هدى من الآيات:

٧٩ بينات من الآيات:

٧٩ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ:

٨١ انهم مغرقون:

٨٤ [سوره هود (١١): الآيات ٤٠ الى ٤٤]

٨٤ اشاره

٨٤ اللغه

٨٦ بعدا للقوم الظالمين

٨٦ هدى من الآيات:

٨٧ بينات من الآيات:

٨٧ و ما آمن معه إلا قليل:

٨٨ ----- بعدا للقوم الظالمين:

٩٠ ----- [سوره هود (١١): الآيات ٤٥ الى ٤٩]

٩٠ ----- اشاره

٩١ ----- إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ

٩١ ----- هدى من الآيات:

٩٢ ----- بينات من الآيات:

٩٢ ----- التسليم لقضاء الله:

٩٤ ----- خلاصه القصة:

٩٥ ----- [سوره هود (١١): الآيات ٥٠ الى ٥٧]

٩٥ ----- اشاره

٩٥ ----- اللغه

٩٧ ----- هود:إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ

٩٧ ----- هدى من الآيات:

٩٨ ----- بينات من الآيات:

٩٨ ----- رساله هود و أبعادها:

١٠١ ----- المواجهه الساخنه:

١٠٣ ----- [سوره هود (١١): الآيات ٥٨ الى ٦٠]

١٠٣ ----- اشاره

١٠٤ ----- الا بعدا لعاد

١٠٤ ----- هدى من الآيات:

١٠٤ ----- بينات من الآيات:

١٠٤ ----- أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ :

١٠٦ ----- [سوره هود (١١): الآيات ٦١ الى ٦٤]

١٠٦ ----- اشاره

١٠٦ ----- اللغه

١٠٧ ----- صالح ينذر قومه

- ١٠٧ ----- هدى من الآيات: -----
- ١٠٨ ----- بينات من الآيات: -----
- ١٠٨ ----- ركيزه الحضاره: -----
- ١١٠ ----- ضلاله الآباء أم هدى الرسالة: -----
- ١١٣ ----- [سوره هود (١١): الآيات ٦٥ الى ٦٨] -----
- ١١٣ ----- اشاره -----
- ١١٤ ----- الا بعدا لثمود -----
- ١١٤ ----- هدى من الآيات: -----
- ١١٤ ----- بينات من الآيات: -----
- ١١٤ ----- جزاء السكوت: -----
- ١١٧ ----- [سوره هود (١١): الآيات ٦٩ الى ٧٣] -----
- ١١٧ ----- اشاره -----
- ١١٧ ----- اللغه -----
- ١١٨ ----- أ تُعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ. -----
- ١١٨ ----- هدى من الآيات: -----
- ١١٩ ----- بينات من الآيات: -----
- ١١٩ ----- إبراهيم و البشارات الثلاث: -----
- ١٢٢ ----- [سوره هود (١١): الآيات ٧٤ الى ٨٣] -----
- ١٢٢ ----- اشاره -----
- ١٢٢ ----- اللغه -----
- ١٢٤ ----- جعلنا عاليها سافلها -----
- ١٢٤ ----- هدى من الآيات: -----
- ١٢٥ ----- بينات من الآيات: -----
- ١٢٦ ----- فى ضيافه لوط عليه السلام : -----
- ١٢٨ ----- أ ليس الصبح يقريب: -----
- ١٣٠ ----- [سوره هود (١١): الآيات ٨٤ الى ٨٧] -----

١٣٠ اشارة

١٣١ شعيب:أوفوا المكيال و الميزان

١٣١ هدى من الآيات:

١٣١ بينات من الآيات:

١٣١ اشارة

١٣٢ عوامل الانهيار:

١٣٤ توجيه المستقبل:

١٣٧ [سوره هود (١١): الآيات ٨٨ الى ٩٥]

١٣٧ اشارة

١٣٧ اللغه

١٣٩ شعيب:لا يجرمكم شقاقى

١٣٩ هدى من الآيات:

١٤٠ بينات من الآيات:

١٤٢ إرهابات العذاب:

١٤٥ [سوره هود (١١): الآيات ٩٦ الى ١٠٣]

١٤٥ اشارة

١٤٥ اللغه

١٤٧ و ما أمر فرعون برشيد

١٤٧ هدى من الآيات:

١٤٨ بينات من الآيات:

١٥٠ عبره القرى:

١٥٣ [سوره هود (١١): الآيات ١٠٤ الى ١٠٩]

١٥٣ اشارة

١٥٣ اللغه

١٥٥ عاقبه البشر

١٥٥ اشارة

١٥٥ هدى من الآيات:

١٥٥ بينات من الآيات:

١٥٥ فمنهم شقى و سعيد:

١٥٩ [سوره هود (١١): الآيات ١١٠ الى ١١٢]

١٥٩ اشاره

١٦٠ فاستقم كما أمرت

١٦٠ هدى من الآيات:

١٦١ بينات من الآيات:

١٦١ فاختلفوا فيه:

١٦٢ فاستقم كما أمرت:

١٦٤ [سوره هود (١١): الآيات ١١٣ الى ١١٧]

١٦٤ اشاره

١٦٤ اللغه

١٦٤ لكى نضمن الاستقامه

١٦٤ هدى من الآيات:

١٦٧ بينات من الآيات:

١٦٧ و لا تركنوا إلى الذين ظلموا:

١٧٢ [سوره هود (١١): الآيات ١١٨ الى ١٢٣]

١٧٢ اشاره

١٧٢ اللغه

١٧٣ و جاءك فى هذه الحق

١٧٣ هدى من الآيات:

١٧٤ بينات من الآيات:

١٧٤ سنه الصراع:

١٧٥ شهاده التاريخ:

١٧٦ خلاصه السوره:

١٧٧	سوره يوسف
١٧٧	اشاره
١٧٩	فضل السوره:
١٨١	الإطار العام
١٨١	لماذا الاسم؟
١٨١	أهداف القصة في القرآن:
١٨٢	[سوره يوسف (١٢): الآيات ١ الى ٣]
١٨٢	اشاره
١٨٣	أحسن القصص
١٨٣	بينات من الآيات:
١٨٣	الهدف من الكتاب:
١٨٥	[سوره يوسف (١٢): الآيات ٤ الى ١٠]
١٨٥	اشاره
١٨٥	اللغه
١٨٧	رؤيا تبشر بالمستقبل
١٨٧	هدى من الآيات:
١٨٨	بينات من الآيات:
١٨٨	الرؤيا بصيره المستقبل:
١٩٠	المؤامره:
١٩٣	[سوره يوسف (١٢): الآيات ١١ الى ١٨]
١٩٣	اشاره
١٩٣	اللغه
١٩٤	مؤامره الحاسدين
١٩٤	هدى من الآيات:
١٩٥	بينات من الآيات:
٢٠٠	[سوره يوسف (١٢): الآيات ١٩ الى ٢٣]

٢٠٠ اشاره

٢٠٠ اللغة

٢٠٢ يوسف يتحدى الفساد

٢٠٢ هدى من الآيات:

٢٠٣ بينات من الآيات:

٢٠٣ فأرسلوا واردهم:

٢٠٤ التمكين:

٢٠٨ [سوره يوسف (١٢): الآيات ٢٤ الى ٢٩]

٢٠٨ اشاره

٢٠٨ اللغة

٢٠٩ مراحل التحدى

٢٠٩ هدى من الآيات:

٢١٠ بينات من الآيات:

٢١٠ ما هي العصمه؟

٢١٣ المفاجأه:

٢١٥ [سوره يوسف (١٢): الآيات ٣٠ الى ٣٤]

٢١٥ اشاره

٢١٥ اللغة

٢١٧ وكبرت دائره التحدى

٢١٧ هدى من الآيات:

٢١٨ بينات من الآيات:

٢١٨ في مهب الفساد:

٢٢٠ السجن أحب الى:

٢٢٢ [سوره يوسف (١٢): الآيات ٣٥ الى ٤١]

٢٢٢ اشاره

٢٢٤ رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ

- ٢٢٤ هدى من الآيات:
- ٢٢٥ بينات من الآيات:
- ٢٢٥ قرار السجن:
- ٢٢٥ برنامج السجن:
- ٢٣١ [سوره يوسف (١٢): الآيات ٤٢ الى ٤٩]
- ٢٣١ اشاره
- ٢٣١ اللغه
- ٢٣٣ الكفاءه
- ٢٣٣ اشاره
- ٢٣٣ هدى من الآيات:
- ٢٣٤ بينات من الآيات:
- ٢٣٤ وصيه يوسف:
- ٢٣٥ رؤيا الملك:
- ٢٣٦ مفاتيح الرؤيا:
- ٢٣٩ [سوره يوسف (١٢): الآيات ٥٠ الى ٥٧]
- ٢٣٩ اشاره
- ٢٣٩ اللغه
- ٢٤١ الملك من بعد
- ٢٤١ هدى من الآيات:
- ٢٤٢ بينات من الآيات:
- ٢٤٢ الآن حصص الحق:
- ٢٤٩ [سوره يوسف (١٢): الآيات ٥٨ الى ٦٦]
- ٢٤٩ اشاره
- ٢٤٩ اللغه
- ٢٥١ فتنه اخوه يوسف
- ٢٥١ هدى من الآيات:

بينات من الآيات: ٢٥٢

بعد أربعين عاما مرت على قصة الجب: ٢٥٢

[سوره يوسف (١٢): الآيات ٦٧ الى ٧٥] ٢٥٧

اشاره ٢٥٧

اللغه ٢٥٧

اتى أنا أخوك ٢٥٩

هدى من الآيات: ٢٥٩

بينات من الآيات: ٢٦٠

قاعده امنييه: ٢٦٠

لقاء الأخوين: ٢٦١

عقاب السرقة: ٢٦٣

[سوره يوسف (١٢): الآيات ٧٦ الى ٨٢] ٢٦٥

اشاره ٢٦٥

اللغه ٢٦٥

يوسف خطه حكيمه ٢٦٧

هدى من الآيات: ٢٦٧

بينات من الآيات: ٢٦٨

استخراج السقيه: ٢٦٨

خبث التهمه: ٢٦٩

الموقف المسؤول: ٢٧١

[سوره يوسف (١٢): الآيات ٨٣ الى ٩٣] ٢٧٤

اشاره ٢٧٤

اللغه ٢٧٤

و لا تيأسوا من روح الله ٢٧٦

هدى من الآيات: ٢٧٦

بينات من الآيات: ٢٧٧

- ٢٧٧ نفحات الأمل:
- ٢٧٩ تأثير البكاء على القلب القاسي:
- ٢٨٠ بث روح الأمل:
- ٢٨١ بين يدى يوسف:
- ٢٨٢ و حل اللغز:
- ٢٨٢ لحظات الاعتراف:
- ٢٨٤ [سوره يوسف (١٢): الآيات ٩٤ الى ١٠٢]
- ٢٨٤ اشاره
- ٢٨٤ اللغه
- ٢٨٤ من الرؤيا الى الحقيقه
- ٢٨٤ هدى من الآيات:
- ٢٨٧ بينات من الآيات:
- ٢٨٧ نسائم البشرى:
- ٢٨٨ فَأَرْتَدَّ بَصِيرًا:
- ٢٨٩ و تحقق الحلم:
- ٢٩٤ [سوره يوسف (١٢): الآيات ١٠٣ الى ١١١]
- ٢٩٤ اشاره
- ٢٩٤ اللغه
- ٢٩٤ فى قصصهم عبره
- ٢٩٤ هدى من الآيات:
- ٢٩٧ بينات من الآيات:
- ٢٩٧ البشر و طبيعته:
- ٢٩٨ مهمه الرسول:
- ٢٩٩ منطلق السماء:
- ٣٠٣ سوره الرعد
- ٣٠٣ اشاره

- ٣٠٥ فضل السوره - السوره
- ٣٠٧ الإطار العام للسوره
- ٣٠٩ [سوره الرعد (١٣): الآيات ١ الى ٢]
- ٣٠٩ اشاره
- ٣٠٩ اللغه
- ٣١٠ أسماء الله و تجلياتها
- ٣١٠ بينات من الآيات:
- ٣١١ آفاق القرآن:
- ٣١٢ حقائق كونه:
- ٣١٦ [سوره الرعد (١٣): الآيات ٣ الى ٧]
- ٣١٦ اشاره
- ٣١٦ اللغه
- ٣١٨ عظمه الله تتجلي في الطبيعه
- ٣١٨ هدى من الآيات:
- ٣٢٠ بينات من الآيات:
- ٣٢٠ نَأْيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ :
- ٣٢١ الغزيره التي تجتمع منها الأنهار العظام
- ٣٢٢ نَأْيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ :
- ٣٢٤ لماذا الكفر بالبعث؟
- ٣٢٥ سنه الله و موقف الكفار:
- ٣٢٦ الاستخلاف:
- ٣٢٨ [سوره الرعد (١٣): الآيات ٨ الى ١٤]
- ٣٢٨ اشاره
- ٣٢٨ اللغه
- ٣٣٠ ينابيع الايمان و عوامل الشرك
- ٣٣٠ هدى من الآيات:

- ٣٣٢ بينات من الآيات:
- ٣٣٢ علم الله:
- ٣٣٤ مظاهر علم الله:
- ٣٣٥ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ :
- ٣٣٧ آيات القدره و الهيمنه فى السماء:
- ٣٣٩ الايمان بالله و متاهات الشرك:
- ٣٤٠ [سوره الرعد (١٣): الآيات ١٥ الى ١٨]
- ٣٤٠ اشاره
- ٣٤٠ اللغه
- ٣٤٢ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَ النَّبْصِيُّ
- ٣٤٢ هدى من الآيات:
- ٣٤٣ بينات من الآيات:
- ٣٤٣ الخضوع بين الطوع و الإكراه:
- ٣٤٥ فأما الزبد فيذهب جفاء:
- ٣٤٨ [سوره الرعد (١٣): الآيات ١٩ الى ٢٤]
- ٣٤٨ اشاره
- ٣٤٩ المؤمنون..صفات و تقييم
- ٣٤٩ هدى من الآيات:
- ٣٥٠ بينات من الآيات:
- ٣٥٠ أُولَ الْأَنْجَابِ :
- ٣٥٠ الصفه الاولى:
- ٣٥١ الصفه الثانيه:
- ٣٥٢ الصفه الثالثه:
- ٣٥٢ الصفه الرابعه:
- ٣٥٢ الصفه الخامسه:
- ٣٥٤ الصفه السادسه:

- ٣٥٤ الصفه السابعه:
- ٣٥٤ الصفه الثامنه:
- ٣٥٥ الصفه التاسعه:
- ٣٥٧ [سوره الرعد (١٣): الآيات ٢٥ الى ٢٩] .
- ٣٥٧ اشاره
- ٣٥٧ اللغه
- ٣٥٩ الكافرون..صفات و تقييم
- ٣٥٩ هدى من الآيات:
- ٣٦٠ بينات من الآيات:
- ٣٦٠ صفات الكفار:
- ٣٦٠ /انقض العهد:
- ٣٦١ /٢قطع الرحم:
- ٣٦١ /٣الفساد فى الأرض:
- ٣٦١ ملاحظتان:
- ٣٦١ الملاحظه الاولى:
- ٣٦٢ الملاحظه الثانيه:
- ٣٦٢ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ :
- ٣٦٤ كيف يطمئن القلب:
- ٣٦٦ [سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٠ الى ٣٥] .
- ٣٦٦ اشاره
- ٣٦٦ اللغه
- ٣٦٨ لله الأمر جميعا
- ٣٦٨ هدى من الآيات:
- ٣٦٩ بينات من الآيات:
- ٣٦٩ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالَّذِينَ آمَنُوا :
- ٣٧٠ حقيقه القرآن:

- ٣٧١ اليأس من الإصلاح:
- ٣٧٣ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا :
- ٣٧٥ تغيير المقاييس الفطريه:
- ٣٧٦ نهايتان:
- ٣٧٨ [سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٦ الى ٣٨]
- ٣٧٨ اشاره
- ٣٧٩ حكما عربيا
- ٣٧٩ هدى من الآيات:
- ٣٧٩ بينات من الآيات:
- ٣٧٩ الايمان المصلحي:
- ٣٨١ الحقائق القرآنيه في مواجهه الأهواء:
- ٣٨٢ حياه الرسل و قدراتهم:
- ٣٨٣ [سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٩ الى ٤٣]
- ٣٨٣ اشاره
- ٣٨٣ اللغه
- ٣٨٤ الحتم و الممكن يمحو الله ما يشاء
- ٣٨٤ هدى من الآيات:
- ٣٨٤ بينات من الآيات:
- ٣٨٥ أولا:الدعاء:
- ٣٨٥ ثانيا:صله العمل الصالح:
- ٣٩١ سوره إبراهيم
- ٣٩١ اشاره
- ٣٩٢ أحاديث في فضل السوره:
- ٣٩٥ الإطار العام
- ٣٩٦ [سوره إبراهيم (١٤): الآيات ١ الى ٥]
- ٣٩٦ اشاره

اللغه - ٣٩٦

مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ٣٩٨

هدى من الآيات: ٣٩٨

وَ وَيُلِّ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ : ٣٩٩

إتمام الحججه: ٤٠١

[سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٦ الى ١٢] ٤٠٣

اشاره ٤٠٣

اللغه - ٤٠٤

طاعه الرسل..هدايه و نجاه ٤٠٥

هدى من الآيات: ٤٠٥

بينات من الآيات: ٤٠٦

أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ: ٤٠٦

لئن شكرتم و لئن كفرتم: ٤٠٧

لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ : ٤٠٨

[سوره إبراهيم (١٤): الآيات ١٣ الى ٢٠] ٤١٤

اشاره ٤١٤

اللغه - ٤١٤

و خاب كل جتار عنيد ٤١٦

هدى من الآيات: ٤١٦

بينات من الآيات: ٤١٧

لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ : ٤١٧

المنهج الالهى حصن الحضاره: ٤١٩

[سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٢١ الى ٢٧] ٤٢١

اشاره ٤٢١

اللغه - ٤٢١

فَلَا تُلْمُوا نِيَّيَ وَ لَوْمُوا أَنفُسَكُمْ ٤٢٣

- ٤٢٣ هدى من الآيات:
- ٤٢٤ بينات من الآيات:
- ٤٢٤ حوار الضعفاء مع الذين استكبروا:
- ٤٢٤ و ادخل الذين آمنوا الجنة:
- ٤٢٧ كلمه طيبه و كلمه خبيثه:
- ٤٢٩ القول الثابت:
- ٤٣١ [سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٢٨ الى ٣٤]
- ٤٣١ اشاره
- ٤٣١ اللغه
- ٤٣٣ الشكر بين الصلاه و الزكاه
- ٤٣٣ هدى من الآيات:
- ٤٣٤ بينات من الآيات:
- ٤٣٤ و أحلوا قومهم دار البوار:
- ٤٣٥ الشكر الحقيقي:
- ٤٣٦ توالى النعم:
- ٤٣٩ [سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٣٥ الى ٤١]
- ٤٣٩ اشاره
- ٤٣٩ اللغه
- ٤٤١ إبراهيم أسوه فى الشكر
- ٤٤١ اشاره
- ٤٤١ هدى من الآيات:
- ٤٤٢ بينات من الآيات:
- ٤٤٢ الاستقلال الفكرى:
- ٤٤٤ دعوه إبراهيم لأبنائه:
- ٤٤٥ كيف نشكر الله؟
- ٤٤٧ [سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٤٢ الى ٥٢]

٤٤٧ اشاره

٤٤٧ اللغة

٤٤٩ وَ بَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ

٤٤٩ هدى من الآيات:

٤٥٠ بينات من الآيات:

٤٥٠ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِئَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ:

٤٥١ أقسام الظالمين فى العذاب:

٤٥٢ المكر الخاسر:

٤٥٧ سورة الحجر

٤٥٧ اشاره

٤٥٩ أحاديث فى فضل السورة:

٤٦١ الإطار العام:

٤٦٢ [سورة الحجر (١٥): الآيات ١ الى ٨]

٤٦٢ اشاره

٤٦٣ الأمل الذى لم يسعده العمل

٤٦٣ هدى من الآيات:

٤٦٤ بينات من الآيات:

٤٦٤ اشاره

٤٦٤ الأمل الوثيرى:

٤٦٥ سنه العذاب:

٤٦٥ التبرير منطلق التقهقر:

٤٦٧ [سورة الحجر (١٥): الآيات ٩ الى ١٨]

٤٦٧ اشاره

٤٦٧ اللغة

٤٦٩ هكذا يحفظ الله رسالته

٤٦٩ هدى من الآيات:

٤٧٠ بينات من الآيات:

٤٧٠ كيف حفظ الله كتابه:

٤٧١ الرسائل و مهمه الوحده:

٤٧٢ دليل الله فى السماء:

٤٧٤ [سوره الحجر (١٥): الآيات ١٩ الى ٢٥]

٤٧٤ اشاره

٤٧٤ اللغه

٤٧٥ قدره الله و حكمته ينبوع العطاء

٤٧٥ هدى من الآيات:

٤٧٦ بينات من الآيات:

٤٧٦ دليل الله فى الأرض:

٤٧٨ قدره الله و حكمته:

٤٧٩ [سوره الحجر (١٥): الآيات ٢٦ الى ٤٤]

٤٧٩ اشاره

٤٧٩ اللغه

٤٨١ كيف يتحدى المؤمن غوايه الشيطان

٤٨١ هدى من الآيات:

٤٨٢ بينات من الآيات:

٤٨٢ مراحل الخلق:

٤٨٢ المرحله الاولى:

٤٨٣ الطبايع البشريه:

٤٨٤ المرحله الثانيه:

٤٨٧ المرحله الأخيره:

٤٩٠ [سوره الحجر (١٥): الآيات ٤٥ الى ٦٠]

٤٩٠ اشاره

٤٩٠ اللغه

- ٤٩٢ النهايه بين المتقين و المجرمين
- ٤٩٢ هدى من الآيات:
- ٤٩٣ بينات من الآيات:
- ٤٩٣ اشاره
- ٤٩٤ ضيف إبراهيم:
- ٤٩٧ [سوره الحجر (١٥): الآيات ٦١ الى ٨٤]
- ٤٩٧ اشاره
- ٤٩٧ اللغه
- ٤٩٩ العذاب حصاد الظالمين
- ٤٩٩ هدى من الآيات:
- ٥٠٠ بينات من الآيات:
- ٥٠٠ و جاء الضيوف:
- ٥٠٢ المسؤوليه الاجتماعيه:
- ٥٠٦ أصحاب الأيكة تحت الغمام:
- ٥٠٧ أصحاب الحجر: الأمن الحجري:
- ٥٠٩ [سوره الحجر (١٥): الآيات ٨٥ الى ٩٩]
- ٥٠٩ اشاره
- ٥١٠ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ
- ٥١٠ هدى من الآيات:
- ٥١١ بينات من الآيات:
- ٥١٢ السبع المثاني:
- ٥١٤ التجزيئون في الميزان:
- ٥١٦ يَضِيقُ صُدْرَكَ :
- ٥١٨ تعريف مركز

سرشناسه: مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور: من هدی القرآن / محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر: تهران: دار مجبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری: ج ۱۸

شابک: ۱۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۱۸-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳

وضعیت فهرست نویسی: فهرست نویسی قبلی

یادداشت: عربی

یادداشت: کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت: کتابنامه

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره: BP۹۸/م ۴م ۱۳۷۷۸

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی: م ۷۷-۱۲۵۶۱

ص: ۱

اشاره

سوره هود

اشاره

ص: ۳

فضل السوره

عن النبي محمد صلى الله عليه وآله قال:

«من قرأها أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح و كذب به و هود و صالح و شعيب و لوط و إبراهيم و موسى و كان يوم القيامة من السعداء» مجمع البيان-ص-١٤٠-الجزء-٥،٦

عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«شيبتي سورة هود و أخواتها» نور الثقلين-ص-٣٣٤-الجزء-٢-

عن الامام الباقر عليه السلام قال:

«من قرأ سورة هود في كل جمعه بعثه الله يوم القيامة في زمرة النسيين و حوسب حسابا يسيرا و لم تعرف له خطيئه عملها يوم القيامة» مجمع البيان-ص-١٤٠-الجزء-٥-

ص:٥

لعلّ الآيات (١١٢-١٢٠) في نهايه السوره تحدّد الإطار العام لها. حيث تأمر الرسول بالاستقامه، والابتعاد عن الظالمين، و اقامه الصلاه، والصبر، والإحسان.

كما تذكره بدور بقيه الله-ممن ينهون عن الفساد-في التاريخ، و كيف ان الله أنجاهم وحدهم بينما أهلكت الظالمين الذين اتبعوا ما أترفوا فيه. و كانوا مجرمين! و تبين: أنّ الله لم يهلك القرى الآ حين انعدم الصلاح بينهم.

و ان الاختلاف سنه تاريخيه بين الناس و ان الله لم يخلق الناس ليعذبهم-بل ليرحمهم-بيد انه قد قضى بان يملأ جهنم من الجنه و الناس أجمعين.

و أنّ القصص التي ذكرها الرب كانت بهدف تثبيت فؤاد الرسول. كما لبيان الحق، و لتوفير الموعظه و الذكرى للمؤمنين.

و تكاد تكون آيات سوره هود تفصيلا لهذه البصائر المحكمه ببيان جوهر

رسالات الله.الذى حملها النبيون عليهم السلام الى الناس،و تحمّلوا-من أجلها- ألوانا من العناء،و أنجاهم الربّ من بطش قومهم،و انزل العذاب الأليم على الكافرين برسالاته.

و هكذا..اضحت الرسالات هذه محور النجاه و العذاب فمن اتبعها أنجاه الله.

و من خالفها لحقه العذاب و اللعنه فى الدنيا. و النار و الشقاء فى الآخرة.

جوهر رسالات الله،و فى طبيعتها رساله القرآن التى أحكمت آياته ثم فصّلت، هى:توحيد العبوديه لله.و الإنذار و البشاره.و الأمر باستغفار الربّ فى الدنيا و التوبه اليه.لضمان حياه سعيده.(٣/١) و اتقاء يوم البعث.و الخشيّه من الله الذى يعلم سرهم و إعلانهم و يعلم كل شىء أو ليس قد خلق السماوات و الأرض فى ستة أيام.و الهدف هو ابتلاء الناس.

و لأن تم تأخير العذاب عن هؤلاء الذين كفروا بالله.و رسالاته و بيوم الدين.

فلأنه يوم يأتيهم لا يؤخر عنهم.(٨/٤).

و بعد بيان طبيعه الجزع عند البشر الا المؤمنين منهم يثبت القرآن فؤاد النبى صلى الله عليه و آله بأنه منذر اما المنتقم فهو الله الوكيل على كل شىء،ثم يأمره بتحديهم بان يأتوا بمثل القرآن.و إذ يظهرون عجزهم فليعلموا:ان القرآن انزل بعلم الله.(١٤) و هكذا جاءت رسالات الله على لسان نوح.و كانت فصول الجدل...و الصراع بينه و بين قومه تعكس حاله العناء عند قومه.و قوه الاستقامه عند نوح عليه السلام، و انتهت بالطوفان.حيث أنجى الله نوحا و الذين آمنوا و أغرق الظالمين و بينهم ابن نوح الذى لم يغن عنه انه ابن نوح لأن محور النجاه هو توحيد الله.(٤٨/٢٥) و من بعد نوح جاء هود يدع قومه عادا.بتلك الرسالات فلم يستجيبوا له و جرى

بينهم صراع مشابه. و عاندوا و تحداهم و أیده الله و اهلكهم بعذاب غليظ. (٦٠٠) و كذلك ثمود حين جاءهم أخوهم صالح. و أمرهم بتوحيد عباده الرب و جاءهم بآيه هي ناقته التي لم يلبثوا ان عقروها فجاء امر الله و نجى الرب عبده و رسوله صالحا و أخذ الذين ظلموا الصيحه. (٦٨/٦١).

و هكذا.. إبراهيم و لوط و شعيب و موسى. و بالرغم من أن جوهر رسالات الله واحد. إلا ان هناك بعض التفاصيل المختلفه بسبب اختلاف الظروف.

و بعد بيان كل تلك القصص بين السياق العبره منها. و تذكر بالقيامه. حيث ان عذاب الله في الدنيا، ايه عذابه في الآخره، كما ان رحمته و نجاته هنا آيه نعيم الجنه التي هبتها للمؤمنين و أخيرا يذكر القرآن رسوله بضروره الاستقامه. ذلك الأمر الذى شيب الرسول-صلى الله عليه و آله- كما جاء فى حديث مشهور.

ص: ٩

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (۱) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَ
بَشِيرٌ (۲) وَ أَنْ إِشْتَعَفَرُوا رَبُّكُمْ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ يُمْسِكْكُمْ مَتَاعًا حَسِينًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَ يُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (۳) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۴)

هدى من الآيات:

ما هو الكتاب؟ انه آيات محكمه قد اتقنتها حكمه الرب، ثم فصلتها و أوضحت الحقائق بها، و الذى بعث بالكتاب هو الرب الحكيم الذى يمنع الفساد و يخلق الصلاح، و الخير العالم بألطف الأمور سبحانه.

و من محكمات آيات الكتاب التذكرة بالله، و الأمر بإخلاص العبوديّه له، و أن الرسول نذير و بشير منه، و كلما أبعدت الخطايا و الذنوب و الغفلات البشر عن رحاب ربهم، فعليهم ان يستغفروه و يتوبوا إليه ابتغاء الحياه السعيده فى عاجل الدنيا حتى يبلغ أجله، و ابتغاء فضل الله، و إذا استمر البشر فى غيّه، و تابع سيره الضلاله و الانحراف، فانه يخشى عليه من عذاب يوم كبير، و غدا حينما يرجع البشر الى ربهم، يبعثهم من جديد بقدرته الواسعه.. آئنذ يحاسبون عند الله.

بينات من الآيات:

اشاره

[١] ماذا تحمل هذه الكلمات الثابته المكتوبه (الر) فى طياتها؟ انها تحمل

آيات تشير إلى الحقائق، تذكر بها و تهدي العقول إليها.

الرِّبَابُ أَحْكَمُ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلَتْ فالقرآن ليس أفكارا بل هو آيات تشير مباشرة الى الحقيقه لكي يراها البشر فور ما تشير إليها، والآيه بمعنى العلامه و الكلمه مأخوذه من ماده(أوى)بمعنى الذهاب إلى البيت و كأن العلامه تذهب بك الى رحاب الحقيقه ذاتها،و القرآن هو ذلك الكتاب الذى يبصرك بالحقائق.

و آيات القرآن محكمه و مفصله،اما الأحكام فهي آتية من حكمه الله،التي لا تدع ثغره فى كلماته،و لا سبيلا للباطل إليها،بل يصبّ الكلمات على مقياس الحقيقه دون زياده بوصه أو نقيصه بوصه،أو فراغ فى جزء،فهو يقول كل الحقيقه و بكل أبعادها،و اما التفاصيل فهو تحديد تلك البصائر المحكمه ضمن واجبات و محرمات فرعيه،فالقرآن مثله مثل الشجره راسخه الجذور منتشره الفروع.

و الأحكام بحاجه الى حكمه،فمن لا يعرف الخطوط العامه لأنظمه الحياه، كيف يتسنى له ان يضع برنامجا متكاملًا لها،و يعطى رؤيه صادقه، كما ان التفصيل بحاجه الى خبره و معرفه سابقه لدقائق الأمور و لطائفها،و الله حكيم خبير.

مَنْ لَمَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ و تلك الحكمه التي نشاهدها فى الإطار العام للكون،و تلك الخبره التي نراها فى أدق الأمور،و ألطفها مثل صنع أوجه النمله و مفاصل أرجلها،أو فى صنع الخليه الحيه،أو صنع الذره المتناهيه فى اللطف.إن كل ذلك شاهد على حكمه الله و خبرته،و أن خالق المجرات الحكيم و صانع الذره الخبير،هو الذى أمر بحكمته إخلاص العبوديه له،و وضع بخبرته برنامجا تفصيليا لهذه العباده.

[٢] و من الآيات المحكمه الموجوده فى الكتاب دعوته الصريحه إلى نبذ الشركاء من دونه.

□ □
أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِذْ أَنْ التوحيد بصيره عامه تتفرع عنها سائر الشرائع الإلهيه، و بعدها تأتي الرساله التى هى بدورها فرع من فروع التوحيد.

إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ [٣] و استغفار الله فرع ثان للتوحيد. إذ حينما يعمر قلب الفرد بأيمان صادق بالله، و يعرف عظمته و كبريائه □ و نعمه التى لا تحصى، آنئذ يشعر الفرد بالصغار امام الله، و يستغفره و يتوسل اليه، لذلك جاء فى آيه اخرى فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا □ □
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ (١) حيث ان الاستغفار جاء بعد الايمان بالله لأنه فرع متصل به، و بعد حاله الاستغفار تأتي مرحله التوبه و هى العوده الى الله و خلوص العباده له و إخلاص العمل فى سبيله، فلا يكفى الندم على ما مضى من الذنوب، بل لا بد من إصلاح المستقبل.

وَ أَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ وَ بالاستغفار و التوبه يوفر الرب لعباده حياه طبيعيه هنيئه، إلى وقت محدود.

يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَ يُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ

ص: ١٣

أى كلما زاد الفرد من تقربه إلى الله، واستغفاره له و توبته اليه، كلما منحه الله فضلا أكثر.

وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ من نوع عذاب عاد و ثمود، حيث انه فى يوم واحد حطّم مكاسب دهر طويل.

لذلك سمى باليوم الكبير.

[٤] وبعده يعود الناس الى الله، حين يبعثون فى القيامة إلى الله، و ذلك بقدرته البالغه التى لا يقف فى طريقها شىء.

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلِيمٌ كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و يبدو من هذه الآيه و من آيات أخرى أن أهم حاجز نفسى امام إيمان الناس بالقيامة، هو عدم إيمانهم بقدره الله على البعث الجديد، لذلك يذكرنا السياق بعد ذكر القيامة بقدره الله.

ص: ١٤

اشاره

أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (۵) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (۶) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا - وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (۷) وَلَئِنْ أَخْرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّه مَعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَحْسِبُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (۸)

اللغه

(۵)[يثنون]:أصل الثنى العطف،و المقصود يطوونها على العداوه و على ما هم عليه من الكفر.

[ليستخفوا]:الاستخفاء طلب إخفاء الشيء،يقال استخفى و تخفى.

[يستغشون ثيابهم]:يتغطون بثيابهم.

۸[أمه]:حين من الزمان.

هدى من الآيات:

فى الدررس الأول من سورره هود، بىن القرآن بعض الآيات المحكمات و استعرض الخطوط العريضة للرساله، و فى هذا الدررس يدخل الكتاب فى التفاصيل، بدء بواقع كفر و جحود الناس، و يبدو أن أحد الأسباب الاساسيه للجحود هو الجهل بإحاطه علم الله بهم، و بالدوافع الأصيله لكفرهم، فتراهم يثنون صدورهم و يعطفونها بهدف إخفاء حقيقتهم بينما الله يعلم أسرارهم حتى فى لحظه تسترهم بالثياب.

و كلّ حى يدب فى الأرض رزقه على الله، و يعلم أيام حياته، و ميعاد موته. كل ذلك مكتوب فى الكتاب الواضح، و الله خلق السماوات و الأرض فى ستة أيام، و كانت سلطته و قدرته مهيمنه على الماء المخلوق الأول الذى جعل منه كل شىء حى. و حكمه الخلق هى ابتلاء الناس ليعلم من هو الأحسن عملا، فيجازى فى الآخره، بينما لا يؤمن البعض بالآخره، و يزعمون أنها سحر مبين، الغايه من طرحه

تمويه الحقيقه، أما لو أخر الله عنهم عذاب الدنيا الذى هو طريق آخر لتنبههم فستراهم ينكرونه أصلاً، ويقولون: ما الذى يحبس العذاب عنا ما دمنا مستحقين له، ولا يعلمون ان العذاب لو نزل بساحتهم فلا يصرف عنهم، وسوف يحيط بهم ذلك الذى كانوا به يستهزون.

بينات من الآيات:

إحاطه علم الله:

[٥] الكفار يثنون صدورهم، استخفاء للحقيقه، فتراهم يسرون فى قلوبهم و كأنهم يطوون صدورهم فوق الشر، و يعطفونها عليه، أو كأن المرء منهم حين يريد ان يقول سرا ينحنى و يثنى -تبعاً لذلك- صدره، و لكن هل ينفعهم ذلك شيئاً.

كلا.. لأن الله عليم بسرهم و علانيتهم، و ما يتداخل فى صدر البشر من شهوات و أهواء و عوامل مختلفه للرفض و الإنكار كالاستكبار و الجهل و اللامبالاه و حب الدنيا و الدعه.

ألا- إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا- حِينَ يَسْتَغْشُونَ لِيَبْأَثْبُهُمْ فِي اللَّحْظَاتِ الَّتِي يَخْتَلُونَ بِأَنْفُسِهِمْ تَحْتَ غِشَاءِ الثِّيَابِ، حيث يبقى الفرد و وجدانه و يحاكمه وجدانه على إنكاره للرساله، و كذبه و نفاقه، و الله شاهد آتذ عليه.

يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [٦] و علم الله محيط بكل شىء و كذلك رحمته، فهو الذى يرزق كل دابه فى الأرض، فكيف لا يعلم بها.

وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا

وَمُسْتَوْدَعَهَا أَي يَعْلَم حَيَاتِهَا وَ مَوْتَهَا.. أَوْ فِي بَيْتِهَا وَ فِي رِحْلَتِهَا.

كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ مَكْتُوبٍ بوضوح و بتحديد.

الكفار بين عذاب عاجل و آجل:

[7] فالله محيط علما و رحمه بما في الأرض من دابه، و قبل ذلك خلق السماوات و الأرض في ستة أيام خلقا بعد خلق، فارضا هيمنته و سلطانه على الكون، و في ذات الوقت ناشرا رحمته و بركته في ستة أيام.

وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ يَبْدُو أَنْ عَرْشَ اللَّهِ هُوَ قَدْرَتُهُ وَ سُلْطَانُهُ، وَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَنْتَ ذَ شَيْئًا، غَيْرَ مَادَةٍ سَائِلَةٍ كَالْمَاءِ، فَانْ عَرْشَ رَبِّنَا كَانَ مُسْتَوِيًا عَلَى الْمَاءِ وَ اللَّهُ الْعَالَمِ.

لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا- انْ حَكْمَهُ خَلَقَ الْبَشَرَ هِيَ امْتِحَانٌ إِرَادَتُهُ وَ عَقْلُهُ، وَ هَذِهِ الْحِكْمَةُ لَا تَتَحَقَّقُ مِنْ دُونِ الْإِيمَانِ بِالْآخِرَةِ. وَ لِأَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِالْآخِرَةِ تَرَاهُمْ لَا يَخْضَعُونَ لِلرَّسَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ.

وَ لَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ يَبْدُو أَنْ الْكُفَّارِ كَانُوا يَتَّخِذُونَ مَوْقِفًا سَلْبِيًّا مِنَ الرَّسَالَةِ وَ مِنْ تَوَجِّهَاتِهَا، وَ يَعْتَبِرُونَ كُلَّ كَلِمَاتِهَا تَمْوِيهَا وَ تَضْلِيلًا- كَمَا السِّحْرِ- فَلَا يَفْكُرُونَ فِيهَا لِيَعْرِفُوا صِحَّتِهَا،

بينما لو تدبروا قليلا- فى خلق السماوات و الأرض لرأوا آيات الحكمة، و أن تطور الكون و تكامله، و تحقيق كل جزء منه لغايه معينه، شاهد على ان البشر خلق أيضا لتحقيق هدف محدد، و انه لا يكون إلا بالابتلاء، و تمام الابتلاء هو الجزاء فى يوم البعث.

[٨] و الجزاءات عاجلا- أم آجلا- و إن تأخيره ليس إلا- لحكمه مثل الابتلاء، بيد انهم يتخذون من هذا التأخير مبررا للكفر و الجحود.

وَ لَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّهٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ إِنَّ التَّأخِيرَ لَيْسَ بِإِخْطَاءٍ حَكِيمَةٍ وَ تَقْدِيرٍ رَّشِيدٍ، انما هو لوقت معين (امه معدوده) و لكنهم يتساءلون عن سبب تأخيره، و كأن التأخير دليل عدم العذاب، و هذا من أبرز نواقص البشر، انهم يخشون الجزاء العاجل، و يكفرون بالجزاء الآجل، و لكن عليهم أن يعلموا.

أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرِوفاً عَنْهُمْ وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ فَلَقَدْ كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِالْعَذَابِ، و ها هو محيط بهم، يحاصرهم دون أن يقدروا على رده، بينما استهزءوا سابقا به.

وَ لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤْسِكُ كُفُورًا (۹) وَ لَئِنْ أَذَقْنَا نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا (۱۰) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ (۱۱) فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَ ضَائِقٌ بِهِ صِدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَ اللَّهُ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (۱۲) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (۱۳) فَالَّذِينَ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۱۴)

هدى من الآيات:

فى هذا الديرس يذكرنا الله بما فطر عليه البشر قبل الترييه و التزكيه من صفات جاهليه. إنه يتعرض لليأس و الكفر بالنعم إذا فقد نعمه.

اما إذا أصاب نعمه بعد شده، يزعم ان هذه الحاله ستبقى عنده، فينغمس فى غمرات الفرح و الفخر، اما الصابرون الذين يقيمون الأحداث كلها السابقه و القادمه و الحاضره تقييما سليما فحالتهم مختلفه، فهم ليسوا بحيث تفقدهم النعمه أو الشده توازنهم و لذلك فلهم مغفره و أجر كبير.

و الرسول ينبغى ان يجسد أعلى الصفات الحسنه و منها الاستقامه، فلا- ينبغى له ان يهتز للمواقف الجاهليه التى تنبع من هذه النفسيه الضيقه الأفق، التى تطالبه بكنز ينزل عليه، أو ملك يساعده، أو ما يقولونه: ان الرسول قد افترى الرساله، بينما يتحداهم القرآن بأن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات بمستوى القرآن فى علمه و بلاغته، و يقارنوها مع القرآن، و يشهدوا على ذلك بمن شأؤوا ان كانوا صادقين فى اتهام

القرآن بأنه مفترى.

و لكنهم لا يستجيبون حتما لهذا التحدى و لا بد ان نعلم ان الذى انزل انما انزل بعلم الله و هو صنيعة ذلك العلم المحيط بكل شىء، و علينا أن نسلم للقرآن بكل جوانحنا و جوارحنا.

و يبدو ان هذا الدرس تمهيد لبيان حقيقه الرساله و قصص استقامه الرسول ضد خرافات الجاهليه.

بينات من الآيات:

بين النعماء و الضراء:

[٩] ما دامت النعمه من الله، فزوالها عن البشر لفته أو وجودها عنده فى وقت آخر ليس دليلا على بقائها أو زوالها الى الأبد، إذ ان تلك القدره التى منحت النعمه أو إزالتها انما الحكمه بالغه، و الله قادر على ان يعيدها وفق تلك الحكمه و مع توافر شروطها، لذلك لا ينبغى ان يحيط اليأس بالبشر عند افتقاد النعم، و لا يجوز ان يكفروا بسائر النعم التى أسبغها الله عليهم، و يلبسوا نظاره سوداء يبصرون الحياه من خلالها، فلا يرون شيئا الا ملبسا بالسواد.

وَ لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤْسُّ كَفُورٌ [١٠] و عند النعماء و هى حاله هبوط النعمه التى لو جاءت بعد الشده و الضراء لكانت اعماق أثرا فى النفس و لذلك قد تفقد توازن الإنسان، و يحسب ان الصعاب قد و دعتة الى الأبد، فيستبد به الفرح و السرور البالغ، و لا يرى اى نقص أو عجز فى ذاته، بل يظل يركز نظره حول تلك النعمه و يفتخر بها.

وَ لَئِنْ أَذَقْنَا نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ

فَخُورٌ [١١] أو سواء الكفر و نكران النعم، أو الفخر و الغفله عن النواقص فانها من صفات الإنسان قبل ان تزكيه الرسالات السماويه، التي تبين له ان النعمه إذا جاءت فهي محكومہ بشروطها و أهدافها، و الحكم التي ورائها، و كذلك النقمه، و ان على الإنسان الا ييأس مع زوال النعمه التي هي (رحمه الله) و لم تكن جزءا من ذات البشر. لأن هذه النعمه قد تعود اليه هي أو أحسن منها، ثم لأن هناك نعمًا اخرى أعظم منها لا تزال قائمه عنده فباليأس و الكفر سوف تزول- لا سمح الله- تلك النعم أيضا، فلا يخرجك الفرح عن طورك و تفتخر بالنعمه، فان هناك نواقص كثيره لا تزال تحيط بك، و عليك ان تعمل من أجل إصلاحها جميعا و هكذا تجد المؤمنين صابرين يقيمون الاحداث جميعا، فيصرون في أيام شدّتهم أيام رخائهم المنتظره، و يتذكرون أيامهم الماضيه، و يعلمون ان الحياه في تعيّر دائم، و ان سبب التغير المباشر و غير المباشر هم أنفسهم فعليهم إذا ان يعملوا صالحا في أيام الشده لكي لا تدوم، و في أيام الرخاء لكي لا تزول، و لكي يبلغوا درجات أعلى منه.

إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَهُمْ فترتفع أسباب الشده.

وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ بسبب أعمالهم الصالحه فهم في تقدم مستمر.

انما أنت نذير:

[١٢] لأن رسالات السماء جاءت لتزكيه البشر، فيجب ان يستقيم الرسول صلى الله عليه و آله في إبلاغها حتى و لو عارضت أهواء الناس، و ليس لهم ان يتركوا بعض

الرساله تنازلا- لرغبه الناس أو خشيه من غضبهم لأنهم آئذ لا يقدرّون على تحقيق هدف الرساله و هو إصلاح ما فسد من الناس، ولقد رأينا فى الآيات السابقه كيف ان الإنسان بطبعه جاهل و عجول لولا الترييه الايمانيه إذا على الرسول الاستقامه فى إصلاحه حتى يخرج من هذه النفسيه الجاهليه.

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضٌ مَّا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَ ضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ كَلَّا عَلَيْكَ ان تبقى صابرا امام ضغط أهوائهم و دعاياتهم التى منها.
أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ انهم لا- ينتظرون قليلا- حتى يروا ان تطبيق الرساله كفيلا بأن يفتح لهم أبواب الرحمه، و أكثر بكثير من مجرد كنز ينزل على الرسول، و أن انتصارات الرسول صلى الله عليه و آله أكبر من مجرد نزول ملك معه، لان (روح القدس) و هو أعظم ملك يهبط معه، و لا يفقهون هذه الحقيقه.

ان عملهم و ليس اى شىء آخر يضمن مستقبلهم، و انما دور الرسول هو التذكيره و التوجيه.

إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ فهو الذى يوفر الحياه السعيده بقدرته لمن يعمل بالرساله، و يسلبها ممن يكفر بها.

فَاتُوا بَعْشَرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ:

[١٣] و لا- يسع الجاهليون الا- انكار الرساله و اتهام الرسول صلى الله عليه و آله بأنه قد افتراه كذبا على الله تعالى، و القرآن يتحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثل القرآن افتراء على الله كذبا إن كانوا صادقين.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ لِصَادِقِينَ [١٤] أو لكنهم فاشلون حتما في ذلك لأن القرآن جاء بعلم الله تعالى المحيط بكل شيء، فيه قيم خالصة من شرك الجاهليه و من عصيياتهم، و قيم إنسانيه ساميه تتجاوز اطار القبيله و العشيره و القوم و الأرض و اللغه و الدم، و سائر ما ابتلى به البشر منذ هبوطه إلى الأرض و حتى اليوم، و كل الكتاب و الشعراء و المفكرين كانوا خاضعين لهذه القيم الا الرسل و المخلصون من المؤمنين، كما ان القرآن حمل الى الناس برامج لكل حقول الحياه مما عجزت ادمغه الفلاسفه و فقهاء القانون و السياسه و الاقتصاد عن ان تبلغ جزء منه في مطابقتها لأنظمه الحياه، و سنن الطبيعه، و في تناسقها و متانه علاقاتها بطبيعه البشر، و دوافعه و دواعيه و نقاط ضعفه و..و.. فهل يقدر البشر على مثله؟! فَإِلَٰمٌ يَشِيءُ تَجِيئُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ و ان الإله الذي يجب ان يطاع، و تتبع مناهجه و رسالاته هو الله تعالى و على البشر ان يسلم نفسه لله.

وَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

اشاره

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)

اللغه

١٥ لَا يُبْخَسُونَ: البخس نقصان الحق.

ص: ٢٧

هدى من الآيات:

من الشبهات التي تحوم حول قلوب الكفار ضد الرسالة، ما يرونه من تقدم ظاهر في معيشتهم في الدنيا، والله يذكرنا في هذا الدرس بأن للعمل جزاءه، فمن عمل للآخرة فان جزاءه يوفّر اليه هناك و في الدنيا يعطى له نصيب منه، و من عمل للدنيا فان كل جزائه يعطى له في الدنيا دون ان يبخس منه شيء، و لكن ذلك يعنى في المقابل أن جزاءهم في الآخرة هو النار، لأن ما عملوه في الدنيا من خير قد أخط و بطل، فلم يبق الا أعمالهم السيئة و مسؤولياتهم التي لم يقوموا بها.

بينات من الآيات:

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ:

[١٥] كثيرا ما يخدع البسطاء من الناس ما يرونه من ازدهار و تقدم للكفار و المنافقين سواء لمجتمعاتهم أو لأفرادهم، و يزعمون أنه لو كانت الرسالة صحيحة و انها على حق، و أعداؤها على باطل إذا لم يتقدم أعداء الرسالة في الدنيا؟ و ينسى

هذا الفريق الساذج من الناس حقيقتين:

الأولى: ان دار الدنيا دار ابتلاء و اختبار، و ان الله لم يقدر الجزاء العاجل فيها لحكمه ابتلاء الناس بما يفعلون، و اختبار و عيهم و عقلهم و إرادتهم و حسن أو سوء اختيارهم، و لو عجل ربنا في عقاب الكافرين أو ثواب المؤمنين، لانعدمت فرصه ابتلائهم، و كما

جاء في الحديث عن الامام على عليه السلام في موضوع الأنبياء انه.

«لو كانت الأنبياء أهل قوه لا ترام، و عزه لا تضام، و ملك تمد نحوه أعناق الرجال، و تشد إليه عقد الرحال لكان ذلك أهون على الخلق في الإعتبار و أبعدهم في الاستكبار، و لأمنوا عن رهبه قاهره لهم، أو رغبه مائله بهم، فكانت التيات مشتركه، و الحسنات مقتسمه» (1) الحقيقه الثانيه: ان طبيعه عمل الكفار صلاح ظاهره و فساد باطنه، فهو كشجره مسوسه أو بناء أنيق يكاد يتهدم بسبب تزلزل قواعده. و كل جزاء يرتبط بظاهر العمل، و صورته الخارجيه، فانه يعجل لهم دون نقيصه، بينما يبقى الجزاء الحقيقى الباقي لأولئك الذين يصلحون واقع عملهم.

فالشجره المسوسه تعطيك البهجه و الظل، و لكنها لا تعطيك الثمر، و هكذا العمل الذى يفقد عنصر الايمان و الصدق مثل الذى يرائى الناس فى أعماله، يكسب بعض الشهره عندهم، و لكن الصلاه التى يقيمها رياء لا تعرج بنفسه فى سماء الفضيله و التقوى، و كذلك المجتمع الكافر الذى يعمل من أجل الرفاه فقط فان حياته الماديه العاجله سوف تتحسن ظاهرا، و لفته محدوده إذ ان الذنوب و المعاصى، و ظلم بعضهم لبعض، و ظلمهم لسائر المجتمعات كل ذلك يصبح كالسوسه التى تنخر فى أعماقهم

ص: ٢٩

حتى ينهار بناؤهم الأنيق، ويكون مصيرهم مصير عاد و ثمود و أصحاب الرّس و أصحاب الايكه،الذين انهارت حضاراتهم التي اغتروا بها،و زعموا انها خالده.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَ هُمْ فِيهَا لَا يُنْجَسُونَ [١٦] و لكن مثل هذا الفريق مثل الشاب الذي يستنفذ كل طاقاته فى أيام صحته و فراغه و قوته،فاذا حل بساحه الشيب لم يجد شيئا ينفعه..أمواله صرفت، طاقاته استنفذت،و امكاناته أنفقت،كذلك المجتمع الذى يفكر فى لحظته لا يفكر فى القيم و لا فى المجتمعات الثانيه،و لا فى مستقبله انه لا حظ له فى الآخره،بل إن اعماله السابقه تبطل لأنها لم تكن قائمه منذ البدء على أساس ثابت.

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَ حَبِطَ مَا صَبَّغُوا فِيهَا وَ بَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لقد بنوا حضارتهم على قاعده الاعتداء و الظلم و الفساد،فهى على شفا جرف هار.تنهار بهم فى نار جهنم.

اشاره

أَقَمْنِ كَانَ عَلِيٌّ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَى إِمَامًا وَ رَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ
فَالذَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِزْيِهِ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (۱۷) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَ يَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (۱۸) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَتَّبِعُونَهَا عِوَجًا وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (۱۹) أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَعْجِلُونَ السَّمْعَ وَ مَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (۲۰) أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا
كَانُوا يَفْتَرُونَ (۲۱) لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ (۲۲)

اللغة

۱۷ [مريه]: شك.

۱۸ [الاشهاد]: جمع شاهد.

۱۹ [عوجا]: العوج العدول عن طريق الصواب.

۲۰ [معجزين]: الاعجاز الامتناع عن المراد بما لا يمكن معه إيقاعه.

هدى من الآيات:

هناك فريقان فى الناس لو قارنا بينهما لعرفنا إلى أى واحد منهما ينبغى الانتماء.

أولاً: المؤمنون الذين هم على طريق هدى بينه لهم ربهم، و يقودهم شاهد من الله هو الرسول و الامام، و هم على خط تاريخى ذى تجربه غنيه، حيث موسى الشاهد جاء بكتاب بين إمام و رحمه.

ثانياً: الكافرون الذين تشتتوا أحزاباً مختلفين، و النار موعدهم و مصيرهم فهل يبقى شك فى ان الحق هو الذى يؤمن به المؤمنون، بيد أن أكثر الناس لا- يؤمنون! و بينما المؤمنون هم على بينه من ربهم، ترى الكافرين يفترون على الله الكذب ظلماً لأنفسهم، و غدا يعرضون على ربهم ليشهد عليهم الشهداء و يميزوهم، و يقولوا: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، و هؤلاء هم الظالمون، الا لعنه الله على

و من صفاتهم أنهم يصدون عن سبيل الله، و يريدونه منحرفه مثل مجتمعهم الزائغ و نفوسهم المعقده، و يكفرون بالآخره، و لكن اين يهربون، و هل يقدرون على الخلاص من عذاب الله، و هل هناك من ينصرهم و يمنع عنهم جزاء ربهم؟ كلا..

بل يضاعف لهم العذاب بقدر قدراتهم السمعيه و البصريه التى لم يستفيدوا منها للهدايه، و الواقع أنهم خسروا أنفسهم، و ما خولهم ربهم من طاقات و امكانيات، و اما مفترياتهم و أكاذيبهم فقد تبخرت و لا بد بالتالى ان يكونوا هم الأخسرين فى يوم القيامه لأنهم لا شىء يملكون. اللهم الا جبالا من الذنوب!

بينات من الآيات:

و منهم من يؤمن به و منهم من يكفر:

[١٧] اى الناس أفضل حياه، و أرقى هدى النموذج الايماني أم الكافر؟ قبل ان تختار طريقا انظر الى مجمل حياه الذين سلكوه، فهناك المؤمن الذى يسير فى طريق واضح المعالم بين الجوانب، اقام الله الحججه عليه، فهو واثق من طريقه، عالم به..

أَقَمَّنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَ هُنَاكَ شَاهِدٌ قَدْ اكْتَمَلَتْ شَخْصِيَّتُهُ الْاِيْمَانِيَه بِوَحْيِ اللّٰهِ وَ هُوَ الرَّسُولُ أَوْ الْاِمَامُ يَتَّبِعُهٗ، يَشْهَدُ لَهٗ بِصَحْهٖ طَرِيقَهٗ، وَ يَدِيرُهٗ وَ يُوْجِهُهٗ حَتَّى لَا يَضِلُّ وَ لَا يَغْوَى، وَ هَذَا الشَّاهِدُ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ، مَبَارَكٌ بِاللّٰهِ، مُؤَيَّدٌ بِنَصْرِهٖ، مَسْدُدٌ بِنُورِهٖ.

وَ يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا اِنْ هَذَا الْخَطُّ قَدِيمٌ قَدَمِ الْاِنْسَانِ وَ قَدْ جَرَّبْتَهٗ الْبَشْرِيَهٗ عِبْرَ الْعَصُورِ،

و كان أروع مثال للفلاح.

وَ مِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَ رَحِمَهُ فِكَتَابِ مُوسَىٰ كَمَا الْقُرْآنَ كَانَ بَيْنَهُ وَ طَرِيقًا سَوِيًّا لَا عِوَجَ فِيهِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسِيرَ عَلَيْهِ، وَ مُوسَىٰ شَخْصِيًّا كَانَ ذَلِكَ الشَّاهِدَ الْإِلَهِيَّ عَلَىٰ قَوْمِهِ السَّائِرِينَ عَلَىٰ نَهْجِ الرِّسَالَةِ، وَ بِالتَّالِي كَانَ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَ رَحِمَهُ، فَهُوَ مِنْ جِهَةٍ هَدَىٰ وَ اسْتَقَامَهُ وَ عِلْمَ وَ عِرْفَانَ وَ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ حَيَاةً وَ سَعَادَةً وَ رِفَاهًا.

أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ بَيْنِهِ مِنَ اللَّهِ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ كِتَابِهِ، وَ هَذَا هُوَ نَمُودَجُهُمْ، وَ هُنَاكَ نَمُودَجٌ آخَرٌ هُوَ نَمُودَجُ الْأَحْزَابِ الْمُتَفَرِّقِينَ فِي الدُّنْيَا الْمُجْتَمِعِينَ فِي النَّارِ.

وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَامَامَكَ أَحَدَ النَّمُودَجِينَ، وَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَجَاوَزَ الشَّكَّ بِعَقْلِكَ وَ أَرَادَتِكَ وَ تَوْمَنَ بِهِ لِأَنَّهُ الْحَقُّ.

فَلَا تَكُ فِي مَرِيئِهِ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ وَ عَلَيْكَ الْإِتِّبَاعُ بِهَذِهِ الْأَكْثَرِيَةِ الضَّالَّةِ الَّتِي لَا تَوْمَنَ بِاللَّهِ، بَلْ تَبْعِدُ الشَّكَّ عَنِ نَفْسِكَ وَ تَوْمَنَ بِهِ وَ تَتَّقِ بِعَقْلِكَ.

[١٨] اللَّهُ هُوَ ذِي الْعَرْشِ الَّذِي يَبْتَغِي كُلَّ النَّاسِ السَّبِيلَ إِلَيْهِ وَ الْإِتِّصَالَ بِهِدَاهِ، وَ لَكِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسِيرُونَ فِي الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ فَيَبْلُغُونَ مَرَادَهُمْ، وَ الْبَعْضُ تَضَلُّهُمْ الْأَهْوَاءُ، فَيَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ، وَ يَدْعُونَ كُذْبًا أَنَّهُمْ عَلَىٰ سَبِيلِ اللَّهِ، وَ لَكِنَّ كَمَّ سَيَكُونُ ذَنْبٌ هَؤُلَاءِ كَبِيرًا وَ ظَلَمَهُمْ لِأَنفُسِهِمْ وَ لِلنَّاسِ عَظِيمًا. إِذْ أَنَّهُمْ يَحْرَمُونَ النَّاسَ

وأنفسهم من نور هدى ربهم؟! وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ

صفاه ادعاء الدين:

[١٩] ما هو الأثر السلبي للتشريع البشرى الخاطئ و للثقافه الماديه الكافره، أو للافتراء على الله؟ إنه يتلخص فى ثلاثه:

أولاً: منع الناس عن السير فى سبيل الله الذى يهدى اليه العقل و الفطره، و يذكر به الوحي.

□
الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَوْ لَا الثَّقَاتُ الْمُنْحَرِفَةُ، التى ينسبها ادعاء الدين الى الله زورا و بهتاناً، إذا لاهتدى الناس بالتذكرة.

ثانياً: طرح سبل منحرفه للناس و الادعاء بأنها هى سبيل الله.

□
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ثالثاً: تحديد نظر الإنسان فى الدنيا، و قتل طموحه الروحى، و تطلعه الفطرى الى الآخرة.

□
وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ

و يبدو ان هذه الصفات الثلاث هي أيضا سمات ادعياء الدين الظاهره التي يعرفون بها،فهؤلاء يمنعون الخير،و يجعلون من أنفسهم حجر عثره عن تقدم الناس و رفاهم،و يعقدون الأمور،و ييغضون الرساله الى الناس،كما انهم لا يذكرون الناس جديا باليوم الآخر.

[٢٠]و لكن اين يهرب هؤلاء الخونه بدين الله و هل يقدرّون الخروج عن سلطان الله؟و هل هناك من ينصرهم من دون الله؟كلا..بل ان عذابهم مضاعف بسبب عملهم و قولهم الفاسد الذي انحرف به الناس.

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ عِلْمَاءِ السُّوءِ وَ ادعياء الدين يحتالون على الدين و كأنهم يفرون من احكام الله، و من فطرتهم و علمهم،فهل يقدرّون على الهرب أيضا من عذاب الله؟! وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ان هؤلاء يغيرون الدين طمعا في استماله الناس،و جمع المزيد من الاتباع، و لكن هل ينفعهم هؤلاء شيئا؟كلا- بل ان إغواءهم للناس يسبب تحمل أوزارهم مضافه الى أوزار الذين أضلوهم.

يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَ مَا كَانُوا يُبْصِرُونَ لقد فسرت هذه الكلمه الاخيره على وجهين:

أحدهما:ان معنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون،و بما كانوا يستطيعون الأبصار فلا يبصرون عنادا،و بتعبير آخر:لأنهم كانوا قادرين على السمع و الأبصار بما وهب الله لهم من نعمه العلم و القرب من

مصادر الهدايه فلم ينتفعوا بهما.

و الثانى: انه لاستقلالهم استماع ايات الله، و كراحتهم تذكرها و تفهمهما.

جروا مجرى من لا يستطيع السمع و الأبصار.

[٢١] و هل ربح هؤلاء شيئا، و هل يسمى الذين يخسرون مستقبلهم و مجمل فرصهم رابحين حتى لو اكتسبوا بضع دراهم أو مجموعه أنصار؟! أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ من الأراجيف التى جمعوا حولها الناس غرورا، فلا بقيت تلك الأفكار الباطله التى زينت لهم و لا أولئك المغرورين بها.

[٢٢] انهم لا- بد أن يكونوا الأخسر من الناس لأنهم لم ينتفعوا بمواهبهم، و عوضا من ان يكونوا فى مقام الأنبياء و الصديقين بعلمهم و هدايتهم، و يؤجرون مرتين. مره بعملهم الصالح، و مره بما اهدى الناس بهم. أصبحوا يعذبون عذابا مضاعفا بعملهم الفاسد، و بإضلالهم الناس ليحملوا أوزارهم كَامِلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ (١) لا جرمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ أصل الجرم القطع، و لا جرم تقديره لا قطع قاطع عن ذا، فهذه هى نهايتهم التى اختاروها لأنفسهم.

و كلمه اخيره:- حين نقارن هذه الآيات بالآيه الثالثه عشره نستفيد مقياسا

ص: ٣٨

مبيناً للتمييز بين صاحب الرسالة الحق الذي لا يتنازل قيد أنمله عن رسالته برغم ضيق صدره، وازدياد الضغوط عليه، وبين الذي يضل الناس عن الحق طمعا في ولائهم أو رغبة في هدايا السلاطين.

ص: ٣٩

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ اخْتَبُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (۲۳) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَبْصَرِ وَالصَّبْرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَمْ لَا تَذَكَّرُونَ (۲۴) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (۲۵) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ (۲۶) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ إِلَّا تَبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (۲۷) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنِهِ مِنْ رَبِّى وَآتَانِى رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيتْ عَلَيْكُمْ أَنْ نُنزِلُكُمْ مَوْهَا وَ أَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (۲۸)

اللغه

۲۷[أرادلنا]:الردل الخسيس و الحقير من كل شىء و الجمع أرذل و يجمع على أرادل.

هدى من الآيات:

يبدو ان السياق القرآنى يشرع منذ هذا الدرس فى سرد قصص الرسل فى إنذارهم الشديد لقومهم،الذين كانوا يرفضون قبول الرساله فأخذهم الله بعذاب شديد،و ذلك لعدده اهداف منها تذكره الناس بأن هذا القرآن واحد من النذر،و أن من يعرض عنه يصاب بما أصاب أولئك،(و تشير الى ذلك الآيه الاولى من هذا الدرس).

و منها تثبيت قلب الرسول و المؤمنين برسالته لكى يستقيموا كما أمروا،و لا يركنوا الى الظالمين.جاء فى الآيه العشرين بعد المأه من هذه السوره: « وَ كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَبْنَاءِ الرَّسُلِ مَا نُنبِئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَ جَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ».

ان عاقبه المؤمنين الصالحين الذين اطمأنوا الى ربهم هى الجنة خالدين فيها، لأنهم أصحاب سميع و ابصار،بينما الكفار كالأعمى و الأصبم لا يهتدون سبيلا.

وقصه نوح مع قومه تكشف هذا الفرق بين الفريقين..المؤمنين و الكفار.حين أرسله الله إلى قومه لينذرهم لا يعبدوا الا الله،و حذرهم انه فى غير هذه سوف ينزل عليهم عذاب يوم أليم،فقال الملائ الذين كفروا من قومه:أنك واحد مثلنا،وان الذين اتبعوك هم من الطبقات السفلى من مجتمعنا،وانه لا فضل لكم بالرساله بل نظنكم كاذبين،فحذرهم نوح عليه السلام مره اخرى قائلاً:ماذا لو كنت صادقاً،وان عندى بينه من ربي و أنا مهتد بها الى الصراط السوى،و آتانى رحمه من عنده،بينما أنتم لا ترون الطريق السوى،أو يمكن ان ألزمكم به و أنتم له كارهون؟! و فى الدروس القادمه يتلو علينا القرآن سائر فصول القصه.

بينات من الآيات:

هل يستوى الفريقان؟

[٢٣]حين يكون الايمان مستقراً فى القلب،مستويًا على عرش النفس،فأن المؤمن يشعر بالاطمئنان و السكينه و الرضا،فلا يعمل الا من أجل الله،و بهدف تحقيق مرضاته سبحانه،و جزاؤه عند ربه الخلود فى جنات الله الواسعه.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ الْإِخْبَاتِ:الطمأنينه،و أصله الاستواء من الخبت،و هو الأرض المستويه الواسعه فكأن الإخبات خشوع مستمر على استواء فيه.

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [٢٤]الفريقان المؤمن المخبت و الكافر،نموذجان مختلفان يعرف واقعهما بالمقارنه بينهما فهذا كما البصير السميع الذى يسير وفق عقله و هدى الوحي،بينما يتخبط الثانى كما الأعمى و الأصم.

مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْمَأْعَمِيِّ وَالْمَأْصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَ الْمَسْأَلَةُ لَيْسَتْ بِحَاجَةٍ إِلَى الْمَزِيدِ مِنَ الْبَحْثِ، بَلْ هِيَ حَقِيقَةٌ وَاضِحَةٌ مَعْرُوفَةٌ لِمَنْ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا.

شيخ الأنبياء و قومه:

[٢٥] و يضرب القرآن أمثالا- عديده يقارن فيها بين الفريقين، و عاقبه كل واحد منهما، كما يبين من خلال هذه الأمثال- حقائق أخرى تَمَّتْ التذكرة بها في بدايه السوره-.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ الملاحظ بالتدبر في هذه الآيه ان نوحا أرسل الى قوم كان منهم، و كان ذلك أبلغ في بيان رساله لهم، و ابعده عن العصبية، كما أن أهم بنود دعوته كان الإنذار، و هو أبلغ أثرا في النفوس باعتبارها قد فطرت على الدفاع عن الذات، و ابعاد كل مكروه محتمل، و الإنسان مفطور على الدفاع عن ذاته أكثر مما هو مفطور على جلب المنفعه لها.

[٢٦] و خلاصه دعوه نوح و هدف رسالته كانت عباده الله وحده، و نبذ الشركاء، و حين ينبذ الشركاء تسقط السلطه السياسيه، و المنهاج الاقتصادي و الثقافى، و السلطه الاجتماعيه و كل ما يقوم على أساس عباده الأوثان و الشركاء.

أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ان مجرد الخوف من ذلك اليوم الذى ينشر فيه العذاب حتى يصبح اليوم ذاته أليما. حيث ان كل لحظاته تصبح ميعادا للعذاب، أقول: ان مجرد الخوف من ذلك

اليوم يكفى البشر دافعا نحو الايمان بحثا عن الخلاص.

[٢٧] اما جواب قومه فقد كان متوغلا فى التحجر و الماديه و الطبقه.

فأولاً: زعموا بأن صاحب الرساله يجب ان يكون من غير البشر، و كأن البشر هو المخلوق العاجز عن حمل الرساله، و هذا نوع سخيف من التحجر الجاهلى.

و ثانياً: قاسوا الرساله بمن يحملها أو من يبادر بالايمان بها، و لم ينظروا إليها ذاتها باعتبارها قيم فاضله، و دعوه الى العداله و الهدى، و هذا نوع من الماديه و تشييء القيم.

ثالثاً: نظروا الى تابعى الرساله من المستضعفين نظره ازدراء بسبب تكبرهم و طبقتهم.

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا بِرَأْيِ الْمَلَأِ هُمْ أَشْرَفُ عَلَيْهِ الْقَوْمِ، و لأنهم كفروا بالرساله شأنهم شأن أغلب الذين هم من طبقتهم كذلك يعتبرون فاسدين، و كان من الصعب عليهم الخضوع لمن هو مثلهم، دليلاً على انحطاط نفوسهم، و انعدام الثقه فيها، فنعثوا المؤمنين بأنهم من الطبقة الدنيا، و أنه من ينظر إليهم يعرف منهم هذ النعت (بأدى الرأى).

وَ مَا تَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ غَافِلِينَ عَنِ ان رِسَالَه ذاتها فضل كبير.

بَلْ نُنَبِّئُكُمْ كَاذِبِينَ

و كان هذا الفريق يتبعون الخيال و الظنون، و يرمون الأفكار الجديده التي تخالف مصالحهم بأنها كذب. انطلاقا من عنجهيتهم و تكبرهم.

[٢٨] و أجاب نوح عليه السلام على شبهاتهم:

أولا: بأنه على بينه من ربه، فهو بالرغم من بشريته فإنه يملك ما لا يملكون و هو الهدى، و الحجج من ربه عليه.

ثانيا: ان المال الذي يفقده يعوض بما يؤتيه الله من رحمته الواسعه، التي هي أهم من المال. إذ ان الثروه لا تحل كل المشاكل بعكس رحمه الله التي تقضى على أكثر الصعاب.

و ثالثا: ان ظنهم الفاسد بكذبه عليه السلام، آت من عماهم، و عدم تفكرهم الجدى، و فى هذه الحاله لا- يجبرهم نوح على الرساله، و هذا الكلام قد يكون ردا على قولهم:

وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ حَيْثُ كَانُوا يَزْعَمُونَ: ان الرسول كالمملك، يجب ان يملك قوه ماديه قاهره تفرض على الناس خطأ معيناً، بينما الرسول جاء من أجل الهدايه التي لا تتأتى من دون الإختيار و الحريره.

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنِهِ مِنْ رَبِّي وَ أَنَا بَيْنِي وَ رَحْمَةٍ مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمُ أَيُّ خَفِيَتْ هَذِهِ السَّبِيلَةَ، و ربما السبيله هي الصراط السوى أو الحجج الواضحه.

أَنْزَلْنَاهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ

اشاره

وَيَا قَوْمِ لَا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا - إِن أَجْرِي إِلَّا - عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ
(۲۹) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (۳۰) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ
إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (۳۱)

اللغه

۳۱ [تزدري]: الازدراء، يقال زريت عليه إذا عبته.

هدى من الآيات:

قوم نوح كما المستكبرين فى كل عصر ردوا رساله الله بسبب الظنون و الشبهات، و شرع نوح فى هذا الدرس ببيان واقع الرساله ورد الشبهات و الظنون الباطله، فلقد زعم أولئك الجاهلون بأن نوحا يريد أن يتسلط عليهم، أو يغنى على حسابهم، و أزال نوح عليه السلام، تخوفهم و قال: انه لا يريد منهم مالا، و لكنه فى الوقت ذاته لا يجعل المال مقياسا لتقييم الناس، فيطرد المؤمنين لأنهم فقراء، بل يقول: ان حسابهم على الله، و انهم سيلاقون ربهم، أما قوم نوح فقد كانوا يجهلون، و يتخذون القيم الزائفه مقياسا لتقسيم الناس، و هذا تقسيم باطل لا يرضى به الله، و الذى يطرد المؤمنين اعتمادا على مثل هذه القيم، بعيد عن رحمه الله، و غير منصور أيضا.

ثم ردّ نوح عليه السلام شبهه اخرى حيث بيّن أنه ليس برجل خارق يملك خزائن الله، أو يعلم الغيب، و أنه خلق من نور كالملائكه.

ثم عاد و أكدّ عليه السلام على انه لن يطرد المؤمنين الذين يقلل من شأنهم قومه

لان الله أعلم بما فى أنفسهم،فان كانوا صادقين وافاهم أجلهم و أعطاهم الخير، فكيف يطردهم نوح فيصبح ظالما لهم.

بينات من الآيات:

الرسول و أولياء الرساله:

[٢٩] لان الملاء من قوم نوح،و كذلك الملاء المستكبرين من كل قوم يستغلون الناس،و يستثمرون طاقتهم،فلا يسعهم النظر الى الاحداث إلا من خلال واقعهم الطبقي،لذلك يتهمون الرسل بأنهم إنما يريدون الثروه من وراء دعوتهم،و ينفى الرسل بكل قوه هذه التهمه ليفصلوا بين دعوتهم الاصلاحيه و بين دعوات الملاء التى تهدف المزيد من استغلال المستضعفين.

وَ يَا قَوْمِ لَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنِ اجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ فَنُوحٍ -شأنه شأن كل البشر- يطلب أجرا و يعمل لهدف،و لكنه لا يطلبه من الناس بل من الله،و بذلك أثبت نوح -مره اخرى- الطابع الغيبي لرسالته.

و لأن نوحا عليه السلام لا يريد الانتفاع بعلمه ليصبح رقما جديدا فى قائمه الملاء يتقاسم معهم المكاسب الآتية من ظلم الناس و استغلالهم،كما كان يفعل علماء السوء.

لذلك فهو يقف الى جانب المظلومين و يقول بصراحه:

وَ مَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا و قد يكون للطبقه السفلى التى تهرع الى الايمان بعض السلبيات المترسبه فيهم بسبب الجاهليه،أو بسبب تعرضهم للظلم،فرساله السماء ليست مسئوله عن سلبياتهم،و عدم طردهم لا يعنى أبدا أن رسول الله يزيههم تماما،بل إن حسابهم عند الله.

ص: ٤٨

إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ يَبِيدُ أَنْ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ لَمْ يَزَالُوا عَلَى ضَلَالَتِهِمْ الَّتِي تَقَسَّمُ النَّاسُ عَلَى أَسَاسِ الْمَالِ أَوْ الدَّمِ.

وَ لِكَيْتَىٰ أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ [٣٠] الطَّبَقَةُ الدُّنْيَا الَّتِي بَادَرَتْ بِالْإِيمَانِ دَخَلَتْ حِصْنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ يَحْمِي الَّذِينَ يَتَحَصَّنُونَ بِهِ، وَلَوْ أَرَادَ أَحَدٌ طَرْدَهُمْ، وَأَرَادَ اللَّهُ نَصْرَهُمْ فَانْ ارَادَهُ اللَّهُ هِيَ الْغَالِبَةُ، وَلَا يَمْلِكُ مَنْ يَطْرُدُهُمْ قُوَّةُ يَرُدُّ بِهَا غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهِ.

وَ يَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ وَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ احْتِفَازَ رَسُولِ اللَّهِ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنَ الطَّبَقَاتِ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِهَدَفِ الْإِنْتِصَارِ بِهِمْ أَوْ تَكْثِيرِ الْعِدَدِ حَوْلَ نَفْسِهِ، بَلْ لِأَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ.

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ فَالْمَسْأَلَةُ بِحَاجَةِ إِلَى تَذَكُّرِهِ، وَ لَفَتْ نَظْرَ حَتَّى يَعْرِفَ الْإِنْسَانُ أَنَّ الْأُمُورَ بِيَدِ اللَّهِ، وَأَنَّ رَبَّنَا لَا يَنْظُرُ إِلَى الْغِنَى وَالْجَاهِ بَلْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

إِنِّي بَشَرٌ مِثْلَكُمْ:

[٣١] وَ عَادَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَبِينُ أُبْعَادَ رِسَالَتِهِ الَّتِي هِيَ أَيْضًا أُبْعَادَ رِسَالَةِ كُلِّ رَسُولٍ وَ كُلِّ مَصْلِحٍ يَتَّبِعُ خَطَّ الرِّسَالَةِ.

فَأَوْلَا: إِنْ الرِّسُولَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ وَ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي تَعْرِفُهُ فِطْرَتُهُمْ، وَ هَذَا هُوَ

رأسماله، ولا يدعوهم الى نفسه باعتباره صاحب ثروه طائله.

وَ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ بَلْ خَزَائِنُ اللَّهِ مَوْجُودَةٌ فِي ذَاتِ الْإِنْسَانِ، وَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَعْطَى اللَّهُ الْبَشَرَ الْقُدْرَةَ عَلَى تَسْخِيرِهَا بِالْإِيمَانِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

فالفكره المتخلفه التي تنتظر من صاحب الرساله (تفجير الأرض بالينابيع، و استخراج كنوز الحياه، و تقديمها لهم بلا عمل) انها فكره خاطئه.

ثانيا: إن الرسول لا يدعى الغيب إلا بقدر ما يوحى إليه ربّه عبر رسالته، و لذلك فهو لا يعد الناس بالرفاه، و انه مثلا يأخذ بأيديهم و يدلّهم على معادن الذهب و الفضة.

وَ لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ثَالِثًا: انه لا يدعى امتلاكه لقوه قاهره، باعتباره من عنصر الملائكه.

وَ لَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ رَابِعًا: انه لا يتعالى على الناس.

وَ لَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا بَلْ إِنْ الْخَيْرَ وَ الشَّرَّ هُمَا مِنَ الْإِنْسَانِ نَفْسِهِ، مِنْ عَمَلِهِ النَّابِعِ عَنْ نِيهِ صَالِحِهِ، وَ لَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ.

اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ

اشاره

قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ (۳۲) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللّٰهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ (۳۳) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصِحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللّٰهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۳۴) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ (۳۵) وَ أَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئَسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (۳۶) وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَ وَحِينَا وَ لَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِيْنَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ (۳۷) وَ يَصْنَعِ الْفُلْكَ وَ كَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (۳۸) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحُلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (۳۹)

اللغه

۳۶[تبتئس]:الابتئاس حزن فى استكانه.

هدى من الآيات:

و ظلّ نوح عليه السّلام يسعى جاهدا حتى أتعب قومه، وقالوا: (يٰٓأَيُّ نُوحٍ قَدْ جَادَلْتُنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) و طالبه قومه بانتهاء مرحله الكلام و البدء بتنفيذ ما يوعدهم به. غافلين عن أن نوح ليس إلّا رسولا و مبلغا عن ربه، و حين يشاء الله عذابهم لا يقدرّون على الفرار من حكومته و سلطانه، و مهمه التبليغ التي يقوم بها نوح تختلف عن الهدايه. فالله هو الهادي المضل، و إذا شاء إبقاء قوم على الضلاله بسبب كفرهم بنعمه الرساله، فان الرسول لا يقدر على هدايتهم، و هكذا فان رسالات الله ليست من صنع الأنبياء و انما هي من وحي الله، و إذا كان الرسول هو الذي افترى الرساله كذبا على الله فانه يتحمل مسؤوليه عمله، أمّا إذا كانت صادقه فهو لا يتحمل مسؤوليه كفر قومه به بل هو برىء منهم.

أوحى الله الى نوح أن مدّه تبليغه قد انتهت. إذ أن قومه لن يؤمنوا أكثر من هذا بعد اليوم، فلا يحزن بما يفعلون، و بدأت مرحله الاعداد ليوم العذاب. إذ أمر الله

رسوله بصنع الفلك ولا- يخاطب ربه حول الظالمين من قومه، فيحاول الشفاعة لهم لأنهم مغرقون لا- محاله، و كان نوح عليه السلام يصنع الفلك، و يمر عليه المستكبرون من قومه فيسخرون منه، و لكنه كان يقول لهم: لنا يوم نسخر منكم كما تسخرون بنا اليوم، و فى ذلك اليوم ستعرفون: ان عذاب الخزي سيكون من نصيبكم.

بينات من الآيات:

لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ:

[٣٢] من أبرز الصفات الرسالية التى كان الأنبياء العظام يتمتعون بها هى الاستقامة و الاستمرار فى الدعوه دون كلل.

فروح عليه السلام أتعب قومه من كثرة جداله معهم. حتى طالبوه بما وعدهم من العذاب، و زعموا ان نزول العذاب بهم أفضل من هذه الدعوه التى تلاحقهم فى كل وقت و فى كل مكان.

قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ لَقَدْ دَعَا نُوحٌ قَوْمَهُ لَيْلًا وَ نَهَارًا. سِرًّا وَ جَهَارًا، وَ لَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا يَدُقُّ مَسَامِعَهُمْ بِكَلِمَاتِهِ الْبَلِيغَةِ، وَ إِذْ بَارَاهُ الشَّدِيدَ حَتَّى سَمِعُوا مِنْهُ وَ لَمْ يَسْأَمْ وَ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الرَّسَالِيُّونَ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى الدَّعْوَةِ أَنْى كَانَتْ الْفِتْرَةُ طَوِيلَةً.

[٣٣] و لم يترك نوح كلامهم الآخر من دون جواب. بل تبههم مره اخرى الى أن الله و ليس هو يأتيهم بالعذاب، و أنهم لا يقدرّون آتئذ على الفرار.

قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ

من تلقاء نفسه، وقيل: يعنى نوحا، وانه يقول على الله الكذب». (١)

بيد انه يمكن ان يفسر القرآن على أكثر من وجه فيكون المراد ليس فقط رساله محمد صلى الله عليه وآله و انما رساله نوح أيضا.

[٣٦] و لم يترك نوح عليه السلام الجدال مع قومه الا بعد أن اوحى اليه ربه انه يستحيل ايمان قومه بعد الآن، و ان عليه الا يحزن عليهم، و الا يعيش حاله البؤس بسبب أفعالهم.

وَ أَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ان رسل الله عليهم السلام يتمحصون حول الله، و يصحبون شعله من الحركة و الاندفاع من أجل تبليغ رساله الله. حتى يكادوا يهلكون أنفسهم حزنا بسبب عدم إيمان الناس، و جاء فى القرآن: طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ (٢) و جاء:

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٣) و هذا نوح عليه السلام يبلغ حاله البؤس و الاستكانه بسبب ما يفعله، و لكن الله ينهاه عن ذلك. و يأمره بمتابعه دربه.

انهم مغرقون:

[٣٧] و تبدأ رحله الجزاء التى بدأت بصنع السفينه.

ص: ٥٥

١-١) المجمع ج ٥، ٦ ص ١٥٨.

٢-٢) طه ١.

٣-٣) الكهف ١٦.

وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا كَانَ نوح عليه السلام لا يقوم بخطوه الا حسب المنهاج الذى رسمه له ربه.

تحت مظله واقيه من حمايه ربه.

□ □
وَ لَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ و لم تزل فى قلب نوح بقيه أمل تدعوه الى التضرع الى الله ليمنع عن قومه العذاب فى آخر لحظه. و لكن على الرسول-بعد أن ييأس من إيمان قومه- ألا يشفق عليهم لأنهم يستحقون العذاب.

[٣٨] و أخذ نوح يصنع الفلك فى الفلاه القاحله استجابه لأمر الله و إيماننا بأن وعد الله حق، و كان ذلك أبسط دليل على انه لا يتبع هواه، و لا يقول على الله كذبا.

لأنه لو كان كذلك فما الذى دعاه الى صنع الفلك فى الصحراء؟! ان أنبياء الله عليهم السلام يقومون بأعمال يحسبها الناس من حولها نوعا من الجنون، لأنها لا-تناسب و معلومات و أفكار العصر، و لا-مع ما يجرى حولهم من أحداث أو يتوقع من احتمالات. هذا بذاته دليل واضح على انهم يتبعون الوحي، و قد لا يعرف النبي لماذا يأمر بعمل ما للشهاده على مدى خلوصهم فى الله، و تجردهم لرسالته الغيبية.

وَ يَصْنَعِ الْفُلْكَ وَ كَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ إِنْ استهزاء الناس بنوح عليه السلام شاهد على انه كان رسولا لا يتبع المألوف و الشائع فى ظروفه، بل كان يتحداها بسبب إيمانه بالغيب.

□ □
قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ

[٣٩] واذرهم نوح بالعاقبه السواى التى تنتظرهم.

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَرْضَاهُ فِي الدنفا عبر التاريخ.

وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ دائم فى الآخرة.

ص: ٥٧

اشاره

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (۴۰) وَقَالَ اذْكُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (۴۱) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ اذْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (۴۲) قَالَ سَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (۴۳) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودَىٰ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۴۴)

اللغه

۴۰ [و فار]: الفور الغليان، و أصله الارتفاع.

[التنور]: تنور الخبز المعروف.

۴۱ [مرساها]: الارساء إمساك السفينه بما تقف عليه.

۴۳ [ساوى]: من آوى يأوى إذا اتخذ مأوى و محلا، أى سأرجع الى مأوى.

[يعصمنى]: يمنعنى.

٤٤ [أقلع]: الإقلاع إذهب الشىء من أصله حتى لا يرى له أثر، يقال أقلعت السماء إذا ذهب مطرها حتى لا يبقى شىء منه، وأقلع عن الأمر إذا تركه رأساً.

[الجودى]: اسم جبل.

ص: ٥٩

هدى من الآيات:

بقى نوح ينتظر أمر الله. مستعدا لتنفيذ واجباته حتى إذا جاء أمر الله، وتفجر التنور (الذى كان فى بيت عجوز حسبما جاء فى بعض الأحاديث) أوحى الله الى نوح أن يركب السفينه، و يحمل فيها معه من كل زوجين اثنين من سائر ما خلق الله، و يحمل معه أيضا أهله إلا الكفار منهم و هما زوجته و ابنه اللذان اغرقا أيضا، و يحمل معه كل المؤمنين الذين كان عددهم قليلا، و توكل نوح على الله مطمئنا بأن حركه السفينه و وقوفها بإذن الله و رعايته، و تلاحقت أمواج الطوفان كأنها جبال.

و صاح نوح بابنه الذى جلس فى ناحيه، و دعاه الى الركوب معه و ان يترك الكفار، و لكنه زعم بان الطوفان فيضان عادى و ان صعود الجبل ينجيه منه، و لكن نوح حذره من انه لا عاص اليوم من أمر الله إلا من رحم الله، و قبل ان ينتهى الحوار جاء الموج و أغرق ابن نوح.

و جاء صوت غيبى يصدر الأوامر الحاسمه للأرض بان تبتلع الماء، و للسماء بأن

تكف عن المطر. و غاص الماء و انتهت القضية الحاسمه و وقفت السفينه فوق جبل.

و ابعده القوم الظالمون.

بينات من الآيات:

و ما آمن معه إلا قليل:

[٤٠] ان تلك اللحظه التي كان أبناء الرساله يتوعدون بها، و كان الكفار يستهزئون بها قد حانت اليوم و أصبحت الحقيقه التي أنذرت بها الرساله واقعا لا مهرب منه، فلقد أصدر ربنا امره، و فار الماء من التنور الذي يبقى عاده بعيدا عن الماء، و امر الله رسوله نوحا بان يحمل معه في السفينه من كل حي زوجين اثنين، و ان يحمل أهله الذين لم تسبق عليهم كلمه العذاب بسبب كفرهم كزوجته و ابنه، و ان يحمل معه الذين آمنوا و هم قليلون.

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ

في الحديث المأثور عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«كان التنور في بيت عجز مؤمنه في دير قبله ميمنه مسجد الكوفه قال: قلت فكيف بدأ خروج الماء من ذلك التنور، قال: نعم ان الله أحب ان يرى قوم نوح آيه آيه، ثم ان الله سبحانه أرسل عليهم المطر يفيض فيضا، و فاض الفرات فيضا، و فاضت العيون كلها فيضا فغرقهم الله و أنجى نوحا و من معه في السفينه، فقلت:

فكم لبث نوح في السفينه حتى نضب الماء فخرجوا منها؟ فقال: لبث نوح في السفينه سبعة أيام و لياليها». (١)

ص: ٦١

[٤١] وحين ركب نوح وقومه الصالحون السفينه تجلت عندهم روح الايمان الخالص، و توكلوا على ربهم متذكرين اسمى الغفران و الرحمه-لله-فيمغفرته يحط ذنوبهم و برحمته ينزل عليهم بركاته و فضله.

وَ قَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا فَاكُلْ شَيْءٍ فِي الْكُونِ موجود بالله و قائم بالله، و يتحرك أو ينمو أو ينطق باسم الله. بيد ان هناك حوادث يتجلى فيها التدبير المباشر لله تعالى أكثر، مثل سفينه نوح التي صنعها بأمر الله دون أن يعرف منذ البدء ابعاد العمليه، و لا- يعرف أين تجرى السفينه، و اين تقف و فى أية فتره، انما توكل على الله فيها، لعلمه انها فى اطار تدبير الله و هيمنته المطلقه على الكون.

إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

بعدا للقوم الظالمين:

[٤٢] و بين لحظه و اخرى تحولت الصحارى الى بحار مواجهه، و تلاطمت الأمواج الهائله و كأنها جبال متحركه، و لاحظ نوح ابنه واقفا فى معزل عن الناس فناده ليركب معه، و ربما أخذته شفقته الأبوه أو رحمه النبوه، و لكن الابن السىء الحظ رفض لانعدام توكله على الله، و لاعتماده على ماده الجاهليه، بسبب تعلقه السابق بها، و قال سوف ألتجئ الى جبل يحفظنى من الطوفان.

وَ هِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَ نَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَ كَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَ لَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ كَانَ ابْنُ نُوحٍ وَ يُقَالُ ان اسمه كنعان، من جمله الذين اعزلوا المعركه الساخنه بين الحق و الباطل، و أراد الا يتدخل فى القضايا الرساليه، شأنه شأن الكثير من الجبناء الذين لا يملكون شجاعه الاقدام فى سبيل الله. بيد ان مثل هؤلاء سوف

يكونون مع الكفار لان الايمان وحده هو الذى ينقذ البشر.

[٤٣] قَالَ سَاوَى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ
[٤٤] بين عشيه و ضحاها تبدل وجه الأرض و هلك القوم الظالمون، و إذا بهاتف الحق ينادى: (يا أرض ابلعى ماءك)، فعادت مياه الأرض التى تفجرت ينابيع الى مخازنها تحت الأرض، و تقشعت السحب التى كانت تسيل ماء بأمر ربها، فأقلعت عن الانهمار و غاض ماء الأرض، و تحولت بقيه المياه الى الأنهار و البحار كما جاء فى حديث، و انتهت القصة كلها، حيث استقرت السفينه على أرض مرتفعه..

و خلت الأرض من الظالمين الذى لعنوا و طردوا منها بقدره الجبار.

وَ قِيلَ يَا أَرْضُ اْبْلَعِي مَاءَكَ وَ يَا سَمَاءُ اْقْلَعِي أَى تَوْقَفَى قَالَ الْبَعْضُ أَنَّ الْمَاءَ الَّذِى سَالَ مِنَ السَّمَاءِ بَقِيَ فَوْقَ الْأَرْضِ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِلْأَرْضِ اْبْلَعِي مَاءَكَ، وَ لَمْ يَطْلُقْ بِالْقَوْلِ الْمَاءَ، بِيَدِ ان هَذَا الْقَائِلِ يَنْسَى ان كُلَّ الْمِيَاهِ فِى الْوَاقِعِ مِنَ الْأَرْضِ.

وَ غِيضَ الْمَاءُ وَ هَبَطَ الْمَاءُ أَوْ رَسَبَ فِى الْأَرْضِ.

وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى لَقَدْ نَفَذَ أَمْرَ اللَّهِ بِهَلَاكِ الظَّالِمِينَ، وَ نَجَاهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَ تَحْقِيقِ الْجَزَاءِ لِكُلِّ الْفَرِيقِينَ فِى عَاجِلِ الدُّنْيَا.

وَ قِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

وَ نَادَى نُوْحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ اِئْتِي مِنْ اَهْلِي وَ اِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَ اَنْتَ اَحْكَمُ الْحَاكِمِيْنَ (۴۵) قَالَ يَا نُوْحُ اِنَّهُ لَيْسَ مِنْ اَهْلِكَ اِنَّهُ
عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ اِنِّي اَعْطُكَ اَنْ تَكُوْنَ مِنَ الْجَاهِلِيْنَ (۴۶) قَالَ رَبِّ اِنِّي اَعُوْذُ بِكَ اَنْ اَسْئَلَكَ مَا
لَيْسَ لِيْ بِهِ عِلْمٌ وَ اِلَّا تَغْفِرْ لِيْ وَ تَرْحَمْنِيْ اَكُنْ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ (۴۷) قِيْلَ يَا نُوْحُ اهْبِطْ بِسَلٰمٍ مِّنَّا وَ بَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَ عَلٰى اُمَّم مِّمَّنْ
مَعَكَ وَ اُمَّمٌ سَيُنْمِطُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ اَلِيْمٌ (۴۸) تِلْكَ مِنْ اٰلِآءِ الْغَيْبِ نُوْحِيْهَا اِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا اَنْتَ وَ لَا قَوْمُكَ مِنْ
قَبْلِ هٰذَا فَاصْبِرْ اِنَّ الْعٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِيْنَ (۴۹)

هدى من الآيات:

وقبل هبوط نوح عليه السلام الى الأرض تساءل عما انتهى اليه مصير ابنه الغريق و ذلك بسبب جاذبيه الشفقه التي أودعها الله في قلب كل أب، ولو كان الأب شيخ المرسلين، تلك الجاذبيه التي جعلت سيدنا نوحا يدعور به في ابنه و لكن الله وعظه و ذكره بان المقياس عنده العمل الصالح و ليس الانتساب الى هذا أو ذلك، وهكذا عرف نوح ان سبب انحراف البشر ليس فقط وجود بيئه فاسده أو تسلط الظالمين، إذ قد يكون السبب كامنا في نفسه فدعا ربه بان يغفر له و ان يرحمه فيعصمه من الزيغ و من دون رحمته الله و مغفرته يكون البشر خاسرا. وهكذا الحال بالنسبه الى الذين كانوا مع نوح في السفينه، و الذين اهبطهم الله الأرض، بسلام و بركات و لكن عوامل الانحراف نزلت معهم أيضا، فبعضهم انحرف مع هذه العوامل و بعضهم صمد أمامها و اعتصم بهدى الله.

و في نهايه قصه نوح يذكرنا القرآن بالعبره فيها و هي الصبر و التقوى فان العاقبه

للمتقين و لكنها بحاجه الى الصبر و الاستقامه.

بينات من الآيات:

التسليم لقضاء الله:

[٤٥]

فى بعض الأحاديث المرويه: «ان الشيطان دخل سفينه نوح متسللا» و الواقع ان الحكمه فى خلق البشر هى ابتلاؤه، و وجود الشيطان جزء من معادله الامتحان، و انحراف البشر ليس دائما لوجود ضغوط خارجيه عليه، بل ان الهوى و الشهوه، و الانجذاب الى مظاهر الحياه الذى أودعه الله فى كيان كل شخص هو الآخر جزء من معادله الامتحان و حكمه الحياه.

و هكذا نجد آدم عليه السلام-أبا البشر-أول من ارتكب الخطأ بدافع الملك و الخلود، قبل أن تدركه رحمه الله و تعصمه من الزلل.

و نجد نوحا و قد خرج من محنه الصراع منتصرا على الجبت الداخلى و الطاغوت الخارجى، و لكنه لا يزال بحاجه الى مغفره الله و رحمته. يحتاج الى رحمه الله حتى يعصمه من تكرار الزلل، و هكذا دعا نوح ربه بلباقه ان يفى بوعده بانقاذ أهله، و لكن الله أجابه بصراحه: انه ليس من أهلك لان رابطتك الحقيقيه هى مع الذين يعملون الصالحات، و هذا الابن لا يملك مقياس العمل الصالح.

و نادى نوح ربه فقال رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِن وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ [٤٦] قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَعْلِنَ بِمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ربما توحى هذه الآيه بضروره الرضا الكامل بالاقدار التى لا يعرف المرء

ص: ٦٦

و ذلك بسبب ان هذا النوع الثانى من الأمم ينحرفون عن رساله،و يدلون دين الله.

و ربما توحى هذه الآيه بأن سنه الحياه الأوليه هى السلام و البركه لولا انحراف البشر فيها.

خلاصه القصة:

[٤٩]تلك كانت قصه نوح و قومه،و العبره التى نستفيدها منها اثنتان.

أولاً:ان هذه الرساله امتداد لتلك الرساله حيث لم يكن أحد من قوم الرسول محمد صلى الله عليه و آله عالما بقصه نوح،أو لا أقل بتلك التفاصيل الدقيقه التى تسجل حتى الحالات النفسيه،و الأسباب الاجتماعيه،و العوامل الطبيعيه التى ساهمت فى صنع وقائع القصة،فجاء ذكرها جميعا شاهدا على صدق رساله النبى محمد صلى الله عليه و آله .

ثانياً:ان كل رساله تتعرض لتحديات جاهليه،و على حاملها أو حملتها التسلح بالتقوى،و الصبر انتظارا للعاقبه.

تَلْمَعُكَ مِنَ الْبُيُوتِ الْعُيُوبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَ لَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَحَتَّى رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ مُحِيطًا بِعَلْمِ مَا جَرَى لِنُوحٍ،مما يدل على ان ما لديه من علم،انما هو من عند الله،لا من عبقريته و ذكائه.

فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ وَ الْوَاقِعَ ان صبر نوح عليه السلام كان طويلا و شاقا و كان بالتالى ذا أثر حاسم فى هلاك أعدائه.

اشاره

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (۵۰) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (۵۱) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (۵۲) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (۵۳) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (۵۴) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ (۵۵) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَائِبَةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (۵۶) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (۵۷)

اللغه

۵۲[مدرارا]:المدرار الكثير التابع على قدر الحاجه اليه دون الزائد المفسد المضر.

۵۴[اعتراك]:من قولهم عراه يعروه إذا اصابه.

ص: ۶۹

هدى من الآيات:

و جاء هود مرسلا من عند الله الى قوم عاد، و دعا قومه بذات النبره الايمانيه التي وجدناها عند سلفه الصالح نوح عليه السلام.

١/ أمرهم بعباده الله حيث لا إله و لا معبود سواه، و بين ان عبادتهم للطغاه أو الأصنام افتراء و ضلاله.

٢/ و بين لهم انه لا- يطالبهم بأجر، و أن أجره، على الله الذي فطره أفلا- يعقلون فيعرفوا الفرق بين الرسول الصادق، و بين أولئك الطغاه و الكهنة المفتريين الذين يهدفون السلطه و الاستكبار فى الأرض! ٣/ و طالبهم بإصلاح أنفسهم، و العوده الى تعاليم الله لتترداد نعم الله عليهم، و ليزدادوا قوه الى قوتهم الحالیه، و فى غير هذه الحاله فهم يصبحون مجرمين مخالفين لله و لرسالته، و يستحقون العذاب.

و لكن قوم هود ردّوا دعواته الثلاث، فقالوا: انك لا تملك بينه كافيه على صدق رسالتك، و اننا لن نترك آلهتنا، و اننا لن نعطي أزمه أمورنا بيدك، بالرغم من أنك لا تطالب بأجر، و زعموا أن كلامه نوع من الجنون الذى مسّه بسبب غضب الآلهه عليه، فمّيز هود نفسه عن قومه و تبرأ من شركهم، و أشهد الله على ذلك، و توكل على ربه، و تحداهم جميعا، و أمرهم بالألا- يمهلوه بل يكيّدون له ليعرف مدى ضعف كيدهم، لأنه يعتمد على الله الذى يملك كل دابه و يدبر أمورها، و هو على صراط مستقيم... يدعو اليه و يجريه بقوته، و بين لهم هود أنه قد انهى مسئوليته ببلاغ الرساله، و أن الله سوف يبدلهم بغيرهم دون أن يضرّوه شيئا، و أن الله على كلّ شىء حفيظ.

بينات من الآيات:

رساله هود و أبعاده:

[٥٠] أرسل ربنا الى عاد واحدا منهم يسميه ربنا بأخيهم لكى يكون أقرب الى قبول الرساله، و أوضح بيانا، فأمرهم بعباده الله و نبذ الشركاء. و فضح منذ اللحظه الاولى كذب و دجل الشركاء من دون الله. شأنه شأن سائر الرسل التى لا تهادن فى دين الله أبدا.

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ إِيَّاكُمْ تَفْتَرُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الْكُذْبُ، بادعائكم ان هذه الآلهه تمثل الله فى الأرض، و ربما تدل هذه الآيه على أن انحراف البشر الاساسى يكون عاده فى تبديل جوهر الدين لا إطاراته الخارجيه، فيفسر ذات النص الدينى (الأمر بعباده الله، و نبذ الشركاء بمفهوم متناقض ليصبح داعيا الى عباده الشركاء افتراء على الله، مثلا:

يفسر قوله سبحانه: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ بان معناه اطاعه كل حاكم ظالم متجبر بمجرد تسلطه على الناس الذى يناقض تماما فكره التوحيد و اطاعه الله هكذا حدث عند المسلمين اما عند عاد فقد حدث شبه ذلك، حيث أطاعوا الشركاء باسم انهم مستخلفون من قبل الله، و أطاعوا الأصنام باسم أنها شفعاء عند الله.

[٥١] و إذا كانت الكهنة سدنه معابد الأصنام، و علماء السوء المحيطون ببلاط المستكبرين يبيعون علمهم على من يشتري، و يستطيون على الضعفاء، فان هودا عليه السلام لم يطالبهم بأى أجر، و كفى ذلك شاهدا و دليلا على صدق رسالته، فلما ذا إذا كان يعرض نفسه لكل تلك الصعاب، ان لم يكن صادقا، و هو لا يطالب الناس بأجر و لا يهدف الوصول الى غايه خاصه؟! يَا قَوْمِ لَا- أَشَيْتُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ [٥٢] و طالب هود قومه أن يصلحوا أنفسهم بطلب المغفره من الله تعالى، و ٧ ظهار الندم من الذنوب السابقه، و بعدئذ العوده الى تعاليم السماء و تطبيقها.

و يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَاِنَّ اللَّهَ سَوْفَ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ بِانزال قطر السماء بغزاره، و اعطائهم المزيد من القوه و المنعه.

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَ يَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَ فِى هَذِهِ الْحَالِ يَعْتَبِرُونَ مجرمين خارجين عن القانون و يستحقون العذاب.

و لَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ

[٥٣] ورفض قوم هود رساله الله، وادعوا انهم لم يقتنعوا بأدلته و حججه، و لكن كذبا إذ أن دافعهم الاصلى فى رفضهم لها كان تمسكهم الأعمى بالتقاليد و عبادتهم للآلهه التى رفضوا تركها اعتمادا على كلام هود، و ربما كان هناك سبب آخر لرفضهم للرساله. هو استنكافهم عن التسليم لهود. و يوحى الى ذلك تعابيرهم التى كرر فيها (الخطاب) و نسبت الرساله الى شخص هود، بينما لم يكن هود سوى رسول حامل للرساله. تدبروا فى الآيه:

قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ و قد زعموا أن ايمانهم، إنما هو للرسول و فى منفعته، بينما كان الواقع غير ذلك تماما.

[٥٤] و لكى يبرروا جهلهم بواقع الرساله، و يغطوا على نقاط الضعف فى كلامهم نسبوا الرساله الى حاله مجهوله غيبية، اعترت الرسول -مما لا يعرف أبعادها-.

إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ و هكذا اعترفوا ضمنيا بخطأ أقوالهم السابقه، و زعمهم بأن هودا إنما يدعوهم لنفسه. و هنا عرف هود ان العصبية العمياء تحيط بقلوب هؤلاء القوم فيرفضون الحق بلا تفكر لذلك.

قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَ أَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ و بدأت مرحله جديده من الصراع هى مرحله المواجهه الساخنه حيث أعلن هود براءته من أفكارهم. و انفصاله عن مجتمعهم الفاسد.

[٥٥] و أعلن هود عن استعدادة للمواجهه الآن و من دون مهله، و تحداهم لو عندهم كيد فليكيده به.

مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ فَمَا دَامَ الْكَيْدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَ بَعِيدٌ عَنِ الْاِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ فَهُوَ فَاشِلٌ لَا مَحَالَةَ.

[٥٦] هل كان يملك هود قوه يعتمد عليها فى مواجهته مع جميع قومه؟ بلى قوه الله الذى آمن به و حمل رسالته، و هذا أكبر شاهد على صدق دعوته.

إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ مِمَّنْ دَايِبُهُ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا أَي مَا مِنْ حَى يَدْبُ فَوْقَ الْأَرْضِ إِلَّا وَ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ يَمْلِكُ تَوْجِيهَهُ كَمَنْ يَأْخُذُ بِمَقْدَمِ رَأْسِ أَحَدٍ يُوْجِهُهُ أَيْ شَاءَ، وَ لَكِنَّ اللَّهَ لَا يَسِيرُ الْكُونَ عِبْثًا أَوْ لَعْبًا، وَ انَّمَا يَسِيرُهُ بَعْدَالَهُ وَ عِبْرَ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَكَمَا يَسِيرُ اللَّهُ كُلِّ مَا فِي الْكُونَ فِي طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ، فَانَّهُ سُبْحَانَهُ يَسِيرُ الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَ عَلَيْهِ عِبْرَ ذَلِكَ الصِّرَاطِ الْأَقْرَبِ إِلَى الْهَدْفِ.

[٥٧] و انذرهم هود حين لم ينفعمهم التبشير و قال: إذا توليتم عن قبول الرساله.

فقد أدت مهمتى و هى إبلاغ الرساله، و ان الله سوف يهلككم و يأتى بآخرين مكانكم دون أن تقدرُوا على إلحاق الأذى بى.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَ لَا

تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ فَهُوَ يَحْفَظُ الْأَشْيَاءَ بِهَيْمَنَتِهِ عَلَيْهَا وَتَسْلُطِهِ، فَاذَا تَرَكَهُ هَلَكَ، لِأَن بَقَاءَهُ مُسْتَمِدٌّ مِنَ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ص: ٧٦

اشاره

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمِهِ مِنَّا وَنَجَّيْنَا هُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (۵۸) وَتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي كُنَّا نُزِّلُهَا عَلَيْكَ لَعَلَّ لَئِيْلَ قَوْمٍ يُفَكِّرُونَ (۵۹) وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ أَسْمَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْضَ الْقَوْمِ الَّذِي يَصْلَحُ (۶۰)

هدى من الآيات:

و كذب قوم هود برسولهم و جاء أمر الله بنجاة المؤمنين من عذاب غليظ، و إهلاك الباقين و لم يبق منهم سوى العبره، فها هي عاد جحدوا بآيات ربهم، و عصوا رسله، و أطاعوا امر الجبارين المتكبرين الجاحدين. فلحقتهم اللعنه و البعد عن رحمه الله فى الدنيا و الآخره. كل ذلك بسبب كفرهم بالله و برسالاته و رسوله.

بينات من الآيات:

أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ :

[٥٨] و انتظر هود و الذين آمنوا امر ربهم لأنهم منذ البدء توكلوا عليه -سبحانه- و لم يعتمدوا فى دعوتهم على أنفسهم أو على قبيلتهم أو ايه قوه ماديه اخرى، و بعد ان أعطيت لعاد فرصه كافيه ليتهدى من يتهدى منهم بوعى، و يضل من ضل بحجه. بعدئذ جاء أمر الله تعالى الذى هو فوق العادات و السنن المعروفه

للناس، والدليل على ان العذاب الذى أخذ عادا كان خرقا للقوانين الطبيعه المعروفه، ان العذاب لم يشمل المؤمنين و الكافرين الذين كانوا متواجدين فى مكان واحد، بل أخذ الكفار وحدهم بينما العذاب الطبيعى كالوباء و الزلزال و المجاعه لا يميز المؤمن من الكافر.

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ نَجَّيْنَا هُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ هُوَ ذَلِكَ الْعَذَابُ الثَّقِيلُ الْمُتْرَاكِمُ الَّذِي أَخَذَ الْكُفَّارَ.

[٥٩] لماذا عذَّب الله عادا بذلك العذاب الغليظ؟ لأنهم بعد ان عرفوا آيات الله جحدوا بها، و بعد ان عرفوا رسولهم الذى أرسل إليهم للطاعه عصوه، و اتبعوا امر كل جبار عنيد يتصف باستخدام العنف ضد الناس. فهو ديكتاتور مستبد برأيه، لا يحكم بالشورى و لا يتبع الهدى.

وَ تَلَمَّكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَ عَصَوْا رُسُلَهُ وَ اتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ [٦٠] و لانحرافهم الفكرى و لانحرافهم السياسى و الاجتماعى لحقتهم لعنه الأبد، و أبعدها عن رحمه الله فعذبوا فى الدنيا و الآخره. كل ذلك لكفرهم بالله و برسول الله هود.

وَ اتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَهُ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ

اشاره

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ثُمَّ تَوْبُوا
إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (۶۱) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا
تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (۶۲) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا
تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (۶۳) وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَمَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ لَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ
(۶۴)

اللغه

۶۲[مرجوا]:رجى و ترجى أى أمل.

۶۳[تخسير]:خسران.

ص: ۸۰

هدى من الآيات:

أهلك عاد، و بنت ثمود مدينتها فبعث الله إليهم واحدا منهم (صالحا) و دعاهم الى توحيد الله و نبذ الشركاء من دونه، و بين لهم ان مدينتهم ليست من عمل الشركاء بل من نعم الله، فهو الذي انشأهم و استعمرهم فى الأرض، و ان عليهم ان يستغفروه، و يصلحوا أخطاءهم الماضيه، و ان يتوبوا اليه فيعملوا فى المستقبل بهداه فانه قريب يسمع استغفارهم، و مجيب يحقق طلباتهم، و لكنهم رفضوا رساله صالح لا- لأنهم شكوا فيه و فى أمانته و أخلاقه، و لا لأنهم لم يفقهوا ابعاد الرساله، بل لأنهم تعصبوا لآبائهم، و قال صالح: انه على بينه واصله، و ان الله سبحانه قد منح له فضلا منه و رحمه فهو لا يترك ربه ليمسح كلام قومه الذين لا يزيدونه غير خساره و ضرر. و حين طالب قومه بآيه قال لهم: هذه ناقة الله. أنها آيه لكم فاتركوها تأكل فى ارض الله و لا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب.

هكذا كانت رساله صالح الى ثمود على نهج رسالات الله الى قوم نوح و عاد،

داعيه الى توحيد الله، و كان جواب الجاهلين واحدا و هو التعصب للآباء و لأفكارهم الباطله، أما العاقبه فهى واحده، كما سيأتى فى الدرس القادم (إنشاء الله).

بينات من الآيات:

ركيزه الحضاره:

[٦١] من ميزان رسالات الله، انها تأتى بلغه الذين تهبط لهم، و على يد واحد منهم ليكون أبلغ فى التأثير، و ابعد عن العصبية.

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا يَقَالُ بَانَ ثَمُودَ قَوْمِ عَرَبٍ عَاشُوا فِي الْقَرْيَةِ بَيْنَ الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ.

قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَ نزلت هذه الكلمه على رؤسهم كالصاعقه لأنها استهدفت تغيير مسار تفكيرهم، و منهج حياتهم و قيم سلوكهم، و نظام مجتمعهم السياسى و الاقتصادى.

عباده الله يعنى القبول بمناهجه و قيمه. عباده الله تعنى نبذ المسلمات الثقافيه التى يؤلهاها الناس، و يعتبرونها مقدسه لا يحوم حولها ريب، و لا- يقترب إليها التفكير، و لا- يتناولها النقاش، تلك المقدسات الموجوده فى كتب الكهنه، و التى يحكم من يخالفها بالخروج عن المجتمع، و يجازى بأشد العقاب.

و عباده الله تعنى بالتالى رفض سلطه رؤساء العشائر و وجهاء البلد، و أصحاب الثروه و القوه، لذلك كانت ردود الفعل الاولى لهذه الدعوه، هى الرفض المطلق خصوصا و ان المستكبرين و المفسدين يوهمون الناس أبدا بأن التقدم و الرفانه و الأمن و الازدهار و حتى الرزق الطبيعى الذى يوفر لهم كل ذلك جاء نتيجة الكيان

الاجتماعى و الثقافى، و النظام السياسى و الاقتصادى الذى يشرفون على تسييره، فلو تزلزل الكيان و انهدم النظام فان كل الخيرات مهدده بالزوال هى الأخرى. لذلك ذكرهم رسولهم صالح عليه السلام بأن الخيرات إنما هى من الله الذى انشأهم، و جعلهم قادرين على عماره الأرض.

هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاللَّهُ هُوَ الَّذِى أَوْدَعَ فِى الْبَشْرِ الطُّمُوحَ وَ أَعْطَاهُ الْقُدْرَةَ، وَ طَوَّعَ لَهُ مَا فِى الْأَرْضِ، وَ تَلَكَّ هِىَ شُرُوطُ عِمَارِهِ الْأَرْضِ وَ بِنَاءِ الْمَدِينَةِ، وَ لَيْسَ النَّظَامُ الْفَاسِدُ سِوَى سَارِقٍ لَخِيَرَاتِ النَّاسِ، وَ هَادٍ لَهُمْ إِلَى الْهَلَكَةِ. وَ لَوْلَا رَفْضُ النَّاسِ لِلنَّظَامِ الْفَاسِدِ، وَ عَوْدَتِهِمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ فَان الْمَدِينَةَ مَهْدَدَةً بِالْفَنَاءِ.

فَاسْتَعْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ فَمَنْ أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنَى، وَ كَذَلِكَ مِنْ نِعْمَةِ الْكِبْرَى هِىَ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَ تَعَالَى فَتَحِ إِمَامِ النَّاسِ بَابَ الْاسْتِغْفَارِ وَ التَّوْبَةِ، وَ أَعْطَى النَّاسَ الْقُدْرَةَ عَلَى تَصْحِيحِ مَسِيرَتِهِمْ الضَّالَّةِ، وَ تَطْهِيرِ آثَارِ الْمَاضِي الْفَاسِدِ، كَمَا أَعْطَاهُمْ الْفُرْصَةَ لِفَتْحِ صَفْحِهِ جَدِيدِهِ مَعَ اللَّهِ، وَ مَعَ سُنَنِ اللَّهِ، وَ لَنَا فِى هَذِهِ الْآيَةِ وَقْفَتَانِ لِلتَّدْبِيرِ:

الاولى: ان ما فى عالم اليوم من مدنيه مزدهره، ليست بسبب الأنظمه الجاهليه الحاكمه هنا و هناك، فليست الرأسماليه الماديه، و لا الاشتراكيه الجاهليه هما سبب تقدم امريكا و أوروبا و اليابان من جهه، و روسيا و أوربا الشرقيه من جهه ثانيه، و لقد رأينا كيف ان بلدانا كثيره فى العالم الثالث ازدادت تخلفا لما قلدت الغرب فى ماديتها الرأسماليه، أو الشرق فى جاهليتها الشيوعيه أو الاشتراكيه، فمصر عبد الناصر لم يزدتها تقليدها للشرق إلا سوء، و كذلك مصر فاروق و أنور السادات، ما ازدادت بالرأسماله إلا سوء، و السبب: أن التقدم لم يكن بسبب النظام

المادى ولا- حتى بسب فصل الدين عن السياسه،أو الانفصال عن الجذور التاريخيه مثل ما فعلته تركيا اتاتورك،و انما السبب وراء المدينه و التقدم هو السعى من أجل عماره الأرض عبر الالتزام بسنن الله الصالحه،كالعمل و الاجتهاد و التعاون و التطلع،و ما دامت هذه الشعوب ملتزمه بهذه السنن فهى تحافظ على مكاسبها، و حين تنحرف و تعوض عن السعى بالفخر،و عن الاجتهاد بالغرور،و عن التعاون و التطلع بالمفاخره و الاستغلال،فانها مهدده بفقدان مكاسبها،و هذه الحقيقه تدعونا الى الاعتقاد بأن الأنظمه الماديه،و العادات الجاهليه السائده على الشعوب المتقدمه سوف تضيع مكاسبها و تفسد مدينتها،و ان بدايه الضياع هو تجيير جهود الناس و مساعيهم لمصلحه فئه الأغنياء المتسلطين فى الغرب،أو حزب المستكبرين الحاكم فى الشرق.

الثانيه:ان الحضارات البشريه تبدأ بتطبيق سنن الله فى تسخير الحياه كالسعى و التعاون و لكنها تنسى دور هذه السنن فى تقدمها،و تتوجه الى الأصنام و تزعم انها هى واهبه التقدم و الرفاه، و هذا الانحراف عاده بشريه تكاد تكون سنن ثابتة لولا حريه البشر التى تتحداها،و لولا رساله الله التى تذكر البشر بهذه الحريه،و من هنا لا يعترف الإسلام بحتميه الانهيار فى الحضارات،بل يضع لها فرصه الاستمرار عن طريق إصلاح نفسها،و التوبه الى سنن الله،و هذا ما تشير اليه هذه الآيه التى تعطى المزيد من الأمل فى الاستمرار فى نهايتها و تقول:إن الله قريب مجيب،أى ان إصلاح الفاسد،و تجديد الحضارات(بالاستغفار و التوبه)أيسر مما يزعم البشر.

ضلاله الآباء أم هدى الرساله:

[٦٢]و كان قوم صالح غارقين فى الماضى يعتزون بامجادهم الغابره،و يقلدون آباءهم،و لذلك عادوا صالحا بالرغم من ثقتهم بشخصه.

ص:٨٤

قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا و لقدسيه الماضى فى أعينهم ارتابوا فى الرساله سلفا و من دون تفكر، و قالوا:

وَ إِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ربما تشير الآيه الى ان قوم صالح لم يكتفوا بالشك فيه، بل اتهموه بالباطل ردا على تجهيل آبائهم، و رميهم بالضلاله.

[٦٣] و دافع صالح عن نفسه، و بين سبب استقامته على هدى الرساله رغم ضغوطهم، و ضرب لهم مثلا بعمله هذا، لكى يقاوموا ضغط الماضى، و يتحرروا من قيوده، فبين انه على سبيل واضح بينه له ربه، و قد انتهى به السير فى السبيل الى تحقيق مكاسب عمليه من الهدى و الطمأنينه و.. و.. و انه يخشى ربه ان عصاه، و أنهم لا يقدررون على تقديم العون له.

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنِهِ مِنْ رَبِّي وَ أَنِ اتَّانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَلَمَّا ذَا لَا تَشْكُونَ فى طريقكم، و تفكرون بأن هذا الطريق قد يكون صحيحا؟! لا سيما و هناك خوف الضرر.

فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ان البشر يفكر فى تغيير طريقته لو أحس بالخطر و خاف منه، و لذلك ينبه القرآن الى احتمال الخطر فى حاله عدم التفكير فى صدق الرساله.

فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ

فبالإضافة الى احتمال الخطر، هناك احتمال الضرر و الخساره، و انعدام الريح و الكسب.

[٦٤] و كآخر محاوله لهدايتهم، و لقطع حجتهم، و بعد أن طالبوه بالآيه الواضحه، أخرج الله لهم ناقه، و قال لهم صالح عليه السلام :

وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ

ص: ٨٤

اشاره

فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ (۶۵) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَ مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (۶۶) وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (۶۷) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا
فِيهَا أَلَّا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَّا بُعْدًا لِّثَمُودَ (۶۸)

هدى من الآيات:

انتهى وضع ثمود بمواجهه الرساله و عقروا الناقه، و حانت ساعه الجزاء الشديده، حيث أمهلهم الله ثلاثه أيام فأتاهم وعد الله غير مكذوب، و نجى الله صالحا و الذين آمنوا معه نجاه نابعه من رحمته، و انقذهم من خزي ذلك اليوم المعيب، و تجلت صفتا القوه و العزه لربنا الجليل، فبقوته قدر على إهلاك الأعداء و نجاه المؤمنين، و بعزته فعل ذلك، و كان نوع العذاب صيحه أخذت الذين ظلموا فأصبحوا كأنهم هامدين فى ديارهم، و انتهى كل شىء، و لم يبق من ثمود اى اثر كأنهم لم يكونوا هنا، و لم يتمتعوا بالرفاه و ان ذلك كان جزاء كفرهم الذى سببه ابعادهم عن رحمه الله.

بينات من الآيات:

جزاء السكوت:

[٦٥] جاءت نهايه ثمود التى انحدروا إليها شيئا فشيئا بسبب استكبارهم عن الحق، و ذلك حينما عقروا الناقه الايه الإلهيه التى طالبوا بها، و التى لم تكن تضرهم

شيئا، بل كانت تنفعهم، و لم يعقر الناقه سوى أشقاهم و هو شخص واحد، إلا ان رضا الجميع بفعله و سكوتهم عنه جعلهم شركاء في الجريمة، و نسبت الخطيئه إليهم جميعا.

فَعَقَرُواهَا فَقَالَ تَمَنَعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكُمْ وَعَيْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ان السلطه السياسيه أو الاجتماعيه أو الاقتصاديه الفاسده هي التي بادرت بعقر الناقه في جو من الاستسلام الساذج، و كانت تلك النتيجة الطبيعيه للجمود و التقليد و الاعتزاز بالمكاسب، و هكذا كان شأن الديكتاتوريات عبر التاريخ، انها تنوم الناس على انغام المكاسب الظاهره فتسلب منهم قدرتهم على التفكير السليم بعدئذ تقوم باستغلالهم و استثمار طاقاتهم حسب ما تشاء، و توردهم المهالك من دون اى خوف من التمرد أو المقاومه.

[٦٦] و هكذا فعلت السلطات المستكبره بقوم ثمود، و لكن ثمود هي التي فعلت بنفسها هذه الجريمة حين سكتت في أول الأمر عن تلك السلطات. ان الرضا بالديكتاتوريه هي الخطوه الأولى الى المجزره، لان الديكتاتوريه تسلب أعز شىء عند الإنسان هو عقله و تفكيره... فيكون ضررها أكبر من نفعها مهما كان نفعها كبيرا.

لذلك جاء الأمر الالهي الحاسم.

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ العزه هي مظهر القوه في الحقل الاجتماعى، و الله لا يدع قيم الحق قائمه في النفوس و العقول و بين اضلع الكتب و الخطب، بل يجسدها في ضمير الواقع فاذا بالظلم يتحول إلى ظلمات، و الجريمة الى عقاب، و الفساد الى خراب.

[٦٧] وإذا بالسكوت عن الظلم، و الرضا بالجريمه، و الاستسلام أمام الفساد يتحول كل ذلك الى صيحه مدمره. هي صيحه الحق الذى سكتوا عنه، و هي عقاب الجريمه التى رضوا بها، و هي نهايه الفساد الذى استسلموا له.

وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ لَقَدْ كَانَتِ الصَّيْحَةُ فِي لِحْظِهِ وَاحِدَةً بِحَيْثُ اسْكُتَتْ حُنَاجِرُ السَّاكِتِينَ عَنِ الظلم، و اهدمت حركه المغرورين بمكاسبهم، و جعلتهم يسقطون على وجوههم (فى حاله الجثوم) تلك الوجوه التى استكبرت عن قبول الحق.

[٦٨] اين تلك الديار التى تمتعوا بها و أقاموا دهرها فيها؟! اين الصخب و الحركه، و اين العماره و الأثاث؟! لقد شمل التخريب الساحق كل زاويه من زوايا ديارهم، و كأنها كانت خاليه من السكان...

كَأَنَّ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا أَي لَمْ يَقِيمُوا فِيهَا.

أَلَا إِنَّ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعِيداً لَتَمُودَ لَقَدْ كَفَرُوا بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَ بِرِسَالَتِهِ، وَ بِرَسُولِ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ لِيَطَاعَ بَازِنَهُ، وَ لَكِنْ كَفَرَهُمْ هَذَا كَانَ فِي الْوَاقِعِ -مَتَوَجِّهًا مَبَاشِرَةً إِلَى رَبِّهِمْ جَلَّ جَلَالُهُ، وَ هَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ الْكُبْرَى الَّتِي يَنْسَاهَا أَوْ يَتَجَاهَلُهَا الْبَشَرُ فَيَفْصِلُ بَيْنَ اللَّهِ وَ رِسَالَاتِهِ، وَ يَرِيدُ أَنْ يَكْفُرَ بِالرِّسَالَاتِ كَفَرًا عَمَلِيًّا وَ يَحْتَفِظُ بِإِيمَانِهِ بِاللَّهِ، وَ هَذَا هُوَ التَّنَاقُضُ الْبَعِيدُ وَ الْمَسْتَحِيلُ.

ان تمود بعدت عن رحمه الله، و عن الذكر الحسن، و عن ثواب الآخره بسبب محاولتها الفصل بين الله و رسوله. فهل نكرر التجربه؟!

اشاره

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (۶۹) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (۷۰) وَإِمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (۷۱) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (۷۲) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (۷۳)

اللغه

۷۰ [أوجس]: الإيجاس الاحساس و أوجس، و يقال أوجس خوفاً أى أضمر.

[خيفه]: خوفاً.

۷۲ [بعلى]: البعل الزوج و أصله القائم بالأمر.

هدى من الآيات:

يتابع السياق القرآني قصه الرساله فى عهد إبراهيم عليه السلام، و يلخص قصته التى تتصل بقوم لوط. و يبدأ الحديث بجو السلام و البشاره التى يختلط بها الخوف، لقد جاءت رسل الله و ملائكته الى إبراهيم عليه السلام يزفون اليه البشرى بأبنائه-الذين كانوا يشكلون امتدادا لخطه-، و هلاكاً لأعدائه.

فجاء إليهم إبراهيم بالطعام و كان عجلاً- مشوياً، و لكنهم لم يلامسوه فتوجس منهم خيفه، و أثير عنده سؤال: لماذا لا يأكلون؟! فطمأنوه و قالوا: اننا رسل الله و قد أرسلنا الى قوم لوط، و بينما كانت امرأته قائمه تصلى أو تقوم بخدمه الضيوف ضحكت تعجبا و فرحا بهلاك قوم لوط فبشرها الله بإسحاق و من بعده يعقوب، و لم تتمالكك من شدة التعجب فصاحت: كيف ألد و انا عجوز و بعلى شيخ طاعن فى السن؟! فردّ عليها الرسل قائلين: لماذا تعجبين من امر الله. ان رحمه الله و بركاته عليكم أهل البيت لان الله يفعل ما يحمد عليه و هو رفيع المقام سبحانه؟!!

هكذا مهد الله لقصه أصحاب لوط الذين كانت رساله إبراهيم عليه السلام -نازله لهم أيضا-.

بينات من الآيات:

إبراهيم و البشارات الثلاث:

[٦٩] ظل إبراهيم يقاوم و يقاوم. و لم يرق الى قلبه السامى اليأس أو الشك، و حانت الآن ساعه البشاره المنتظره. لقد أرسل الله اليه رسله بصوره رجال حسان الوجوه تعظيما له و تكريما لجهاده الطويل، فجاءوا يبشرونه:

أولاً: بان الله اذن له بالنصر.

ثانياً: بان أعداء الرساله سيهلكون، الا و هم قوم لوط الذين بعث الله إليهم أول المؤمنين برساله إبراهيم.

ثالثاً: بأن الله سوف يرزقه -بعد طول المعاناه و اليأس- أولادا يتابعون دربه...

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامًا تَبادل رسل الله أول ما تلاقوا مع إبراهيم عليه السلام و ربما كانوا الوحيديين من ضيوف إبراهيم الذين اخرجوا الشيخ الذى أكلت سنون النضال عمره المبارك من غربته الروحيه فى رحم الصحراء. لذلك بادر إبراهيم بإحضار الطعام السمين إليهم و هو عجل مشوى.

فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ العجل ولد البقره و الحنيد المشوى.

[٧٠] وانتظر إبراهيم ضيوفه ليأكلوا أو حتى لبيادروا الى التهام العجل الحنيد على عاده الراحلين عبر الصحراء، ولكنهم لم يفعلوا، فأنكرهم كيف لا يأكلون؟! و خاف منهم لأن الضيف الذى لا يأكل يضمّر الشر، ولكنهم سرعان ما بددوا خوفه الذى أحس به، و اظهروه على حقيقه الأمر، و أعلنوا مهمتهم و هى بشارته بهلاك قوم لوط بعد طول عنادهم.

فَلَمَّا رَأَى أَيَدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْ قَوْمِ لُوطٍ [٧١] و ظهرت فى الصورة المرأه الصبوره التى رافقت زوجها إبراهيم فى جهاده الطويل و هى ساره بنت هارون ابنه عم إبراهيم، و زوجته و رفيقه دربه، فاذا بها تضحك من بشاره الرسل و هى قائمه تصلى، أو تخدم الضيوف.

وَ امْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ وَ هُنَا بَادِرُ الرِّسْلِ بِإِطْلَاقِ البِشَارَةِ الثَّانِيَةِ وَ الأَعْجَبُ حَيْثُ بِشَرُوها بِانْجَابِ الأَوْلَادِ...

فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَ مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ [٧٢] و تعجبت كيف تلد و هى عجوز و زوجها شيخ طاعن فى السن.

قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَ هَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ [٧٣] و عاد الرسل يبشرونهم بثالته البشارات و أعظمها و هى مرضاه الله التى تتجسد فى الرفاه و الخير و الرحمه من الله، و فى الانتشار و التقدم و التعامل، و بالتالى البركات من جهه ثانيه، لأنهم أهل بيت الجهاد و الايمان و لأن الله حميد مجيد.

قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ان ربنا يحمدہ الناس بکرمہ و فضلہ الواسع.

ص: ۹۵

اشاره

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (۷۴) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (۷۵) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (۷۶) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (۷۷) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَعْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (۷۸) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (۷۹) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ (۸۰) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْطَلُوا إِلَيْكَ فَاسِيرًا بَأْهْلِكَ بِقَطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا تَكُنَّ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (۸۱) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (۸۲) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ (۸۳)

اللغة

۷۴[الرَّوْع]:الافزع،و يقال راعه يروعه إذا أفرعه،و ارتاع ارتباعا إذا خاف، و الزوع بضم الراء النفس يقال ألقى في روعى فى نفسى،و سميت بذلك لأنها موضع الروع.

۷۵[آواه]:كثير الدعاء.

[منيب]:راجع الى الله سبحانه فى جميع أموره.

۷۷[سئء بهم]:سأه مجيئهم.

[ذرعاً]:طاقه و وسعا.

[عصيب]:الشديد فى الشر،و أصله من الشر يقال عصبت الشئ أى شدته.

٨٠[ركن]:الركن معتمد البناء بعد الأساس.

[شديد]:الشده تجمّع يصعب معه التفكك.

٨١[بقطع]:القطع القطعه العظيمه تمضى من الليل،وقيل نصف الليل كأنه قطع نصفين.

٨٢[سجيل]:الحجاره الشديده.

[منضود]:متتابع فى الإرسال أى بعضه يلاحق بعضا،و المنضود من نضدت الشىء بعضه على بعض.

٨٣[مسومه]:المسومه من السيماء و هى علامه.

ص:٩٧

هدى من الآيات:

و بعد ان ذهب عن إبراهيم الروح بسبب خوفه من الملائكة المرسلين. و استلم منهم البشرى. هنالك أخذ يتضرع الى الله لنجاة قوم لوط. حقا كان إبراهيم قمه فى الحلم. حيث لا يزال يرجو نجاه قومه. و قد اكتسب ذلك بعلاقته بربه العظيم. بيد ان الله أخبره ان أجل قوم لوط قد أتى. و ان لا مرد لعذاب الله.

فى الجانب الآخر من الصورة نجد لوطا عليه السلام يضيق ذرعا بالمرسلين، لعلمه بفساد قومه الذين أخذوا يهرعون إليه، استمرارا لعاداتهم السيئه. و طلب منهم لوط ان ينكحوا النساء اللاتى هن اطهر لهم من الشذوذ. و رجاهم بالألا يتعرضوا لضيغه.

و انتخاهم و قال أليس فيكم رجل رشيد؟! فرفضوا. و عرف لوط الا ملجأ له الا الله ذا الركن السديد. هنالك كشف الرسل عن أنفسهم. و طمأنوه و أمروه بأن يترك المدينة ليلا. لأن ميعاد العذاب قريب عند

الصباح و هكذا جعل الله مدن قوم لوط عاليها سافلها و أمطر عليها حجاره من سجيل منضود. سجلت باسمهم. و كانت جزاء الظالمى. و هلكوا و بقيت منهم عبره للتاريخ.

بينات من الآيات:

[٧٤] حين سكنت نفسه إبراهيم عليه السلام من المفاجآت، و بشر بالنصر، عاد إليه حنانه المتدقق نحو إنقاذ الناس من الجاهليه، و أخذ يجادل ربه فى قوم لوط و يتضرع اليه ان يؤتوا فرصه اخرى للهدايه.

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَ جَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ [٧٥] و يشهد جدل إبراهيم عليه السلام و دفاعه المستميت عن الناس على مدى اهتمام الرسل بالناس، و ان دعوتهم ليست من أجل مصالح ذاتيه، بل من أجل حبيهم العميق للآخرين.

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ فبحلمه العظيم صبر على أذى قومه، على أمل ان يهتدوا فى يوم من الأيام، و لا يزال ينتظر هدايتهم لا هلاكهم، و لأنه دائم التضرع الى الله، و قلبه متصل أبدا بالله عن طريق المناجاه نراه يدعو الله لكى ينقذ قوم لوط، و يعطيهم فرصه اخرى للهدايه دون ان يعلم الغيب، و انه لا- أمل فيهم أبدا، و لذلك فهو أواه، بيد انه يسلم لله الأمر و ينيب الى ربه و لا يجعل الدعاء إذا لم يستجب سببا لعدم رضاه من الله فهو إذا منيب.

[٧٦] و لأن إبراهيم منيب تجده يعود عن قراره بطلب الخلاص لقوم لوط، و ذلك

حين قال له ربه:

يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ فَمَا دَامَ الْأَمْرُ لَمْ يَصْبِحْ جَدِيًّا وَمَحْتَمًا يَجُوزُ أَنْ يَسْعَى الْفِرْدَ لِتَغْيِيرِهِ، بِالْعَمَلِ أَوْ بِالدَّعَاءِ، وَأَمَّا إِذَا قَضَى اللَّهُ أَمْرًا فَلَا يُمْكِنُ تَغْيِيرَهُ.

في ضيافته لوط عليه السلام :

[٧٧] و انتقل رسل الله من عند إبراهيم عليه السلام الى بيت لوط عليه السلام، و حدثت هناك المفاجأة الثانية حيث ضاقت الأزمه لتنفرج، و اشتدت لتحل.

وَ لَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَ قَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصَيْبٌ أَنْ لُوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ حَسَبَ أَنْ هَؤُلَاءِ الرُّسُلَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَيْهِ فِي صُورِهِ فَتِيهِ حَسَانُ الْوَجْهِ، حَسَبَهُمْ أَنْهُمْ ضَيُوفُهُ وَ كَانَ قَوْمُهُ يَفْعَلُونَ الْفَاحِشَةَ بِالضُّيُوفِ، لِذَلِكَ اسْتَاءَ مِنْهُمْ وَ ضَاقَ ذَرْعًا بِحُضُورِهِمْ، وَ رَأَى أَنْ ذَلِكَ الْيَوْمَ شَدِيدٌ عَلَيْهِ، وَ أَنَّهُ لَا حِيلَةَ لَهُ فِي عَمَلِ شَيْءٍ أَبَدًا، لِأَنَّهُ وَحِيدٌ بَيْنَ قَوْمِ طَغَاهُ لَا يُؤْمِنُونَ بِدِينِهِ، وَ لَا يَدِينُونَ بِشَرَفِهِ.

[٧٨] و لما رأى قومه الفتية أسرعوا الى بيت لوط عليه السلام ليفعلوا ما اعتادوا عليه من الفاحشه، و دعاهم لوط عليه السلام الى ترك الشذوذ الجنسي و العوده الى سنه الله فى الحياه بالزواج من البنات.

وَ جَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ أَيْ يَسْرَعُونَ إِلَى بَيْتِهِ.

وَمِنْ قَبْلِ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ قَالُوا: بَأْسَ لَوْطَا عَلَيْهِ السَّلَامُ طَالِبُهُمْ بِزَوَاجِ الْبَنَاتِ مِنْ أُمَّتِهِ وَ هُنَّ بَنَاتُهُ بِالْأَبْوَةِ الرُّوحِيَّةِ وَ الرِّسَالِيَّةِ، كَمَا قَالُوا: بَأْسَ عَرَضَ عَلَيْهِمْ بَنَاتُهُ لِيَتَزَوَّجُوا مِنْهُنَّ، وَ كَانَ ذَلِكَ الْعَرَضُ السَّخِيَّ مِنْ أَجْلِ نَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، بَأْسَ وَسِيلُهُ مُمْكِنُهُ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ هَكَذَا أَمَرَهُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَ تَرَكَ الْعَادَةَ السَّيِّئَةَ، بَعْدَ أَنْ أَوْضَحَ لَهُمُ الطَّرِيقَ السَّوِيَّ لِإِشْبَاعِ الشَّهْوَةِ الْجَنَسِيَّةِ، وَ طَالِبُهُمْ لَوْطَا بِرِعَايَةِ الشَّرْفِ.

وَ لَا تُخْزُونَ فِي ضَيْفِي فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينَ فَلَا أَقْلَ مِنَ التَّمَسُّكِ بِالْعَرَفِ الَّذِي يَنْكَرُ طَبِيعِيَا اغْتِصَابِ الضِّيُوفِ.

أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ [٧٩] وَ كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ بِالْغَا فِي الْمِيُوعَةِ وَ الرِّعُونَةِ.

قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ أَيْ فِيمَا يَتَّصِلُ بِقَضِيَّةِ الْبَنَاتِ، لَا بَدَّ أَنْ نَتَزَوَّجَهُنَّ وَ الزَّوْجَ حَقٌّ نَعْمَلُ بِهِ وَ نَمشِي عَلَى هِدَاةٍ، أَمَا الْآنَ فَنَحْنُ نُرِيدُ تِلْكَ اللَّذَّةَ الَّتِي لَا تَوْجِبُ عَلَيْنَا تَكَالِيفَ وَ مَسْئُولِيَّاتٍ.

وَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ

ربما كان قوم لوط قد استصعبوا قوانين الزواج على أنفسهم، مما دفعهم إلى إشباع الغريزة بالشذوذ، وربما كان لوط يدعوهم إلى التخفيف من قيود الزواج مما قد يدل عليه قوله عليه السلام: (هؤلاء بناتي) وقولهم: (مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ).

[٨٠] وقطع لوط أمله منهم، واستبد به اليأس من كل شيء، وقال بكلمات تتفجر أسي.

قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ تَمْنَىٰ لَوْ كَانَتْ لَدِيهِ قُوَّةٌ قَادِرَةٌ عَلَىٰ مَوَاجِهَتِهِمْ، أَوْ كَانَتْ لَدِيهِ عَشِيرَةٌ تَمْنَعُهُ مِنْهُمْ.

أليس الصبح بقريب:

[٨١] هكذا اشتدت الانزيمه و ضاقت عليه المشكله، و عندها ترجى رحمه الله، و هكذا أظهر الضيوف الذين حاول الجاهليون الاعتداء الخلقى عليهم، أظهروا واقعهم و بينوا أنهم ملائكه الله.

قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ وَ جَاءتِ الْأُمَمُ مَتَلَحِّقَةً صَارِمَةً:

ألف: فَأَسْرِبَ أَهْلِكَ بِقُطْعِ مِنَ اللَّيْلِ بَعْدَ أَنْ يَسْدَلَ اللَّيْلُ سِتَارَهُ وَيَذْهَبُ رَدْحٌ مِنْهُ وَ تَهْجَعُ الْعَيْونُ، وَ تَأْوِي النُّفُوسُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهَا.

باء: وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ مَا وَرَاءَهُ لِيَعْرِفَ كَيْفَ سَيَكُونُ حَالُ قَوْمِهِ، بَلْ يَبْقَىٰ مُنْفَصِلًا عَنْهُمْ

نفسيا لكي لا يشاركهم العذاب، و لذلك أصاب امرأه لوط ما أصابهم من العذاب بسبب انتمائها النفسى و القلبى إليهم.

ثم جاء الأمر الالهى الصارم على لسان الملائكة.

إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ [٨٢] ماذا صنع الله بقوم لوط؟ لم يفعل بهم إلا ما فعلوه بأنفسهم. انهم غيروا سنن الله، و حولوها عن وضعها العادى فاذا بهم يأتون الرجال شهوه من دون النساء، فقلب الله مدينتهم على رؤوسهم تنكيلا.

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا و انهم لم يقبلوا وصايا الله، و مواعظ الأنبياء التى تستمطر الرحمة، فاذا بهم يتعرضون لعذاب الله الشديد يمطر عليهم من السماء بدل البركات.

وَ أَفْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ربما يكون معناه الحمم المتلاحقه و كأنها منضوده بما يشبه حجاره البراكين المتفجره، و الله أعلم.

[٨٣] و قد قدر الله تلك الحجاره لمثل هذه الطائفه المنحرفه، و كأنها قد وضعت عليها علائم خاصه تقول هذه لهؤلاء.

مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَ مَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (٨٤) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (٨٦) قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصِلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧)

هدى من الآيات:

فى سياق حديث القرآن الكريم عن الشعوب الضالّه. يذكّرنا بمصير مدين قوم شعيب الذين ابتلوا بالفساد الاقتصادى، فأخذوا ينقصون المكيال و الميزان فنهاهم شعيب عن ذلك بعد ان أمرهم بعباده الله و اتباع مناهجه فى الحياه الاقتصاديه، و حذّرهم من أن الرفاه قد يزول بسبب ظلمهم، و يحيط بهم عذاب الله، كما نهاهم عن الفساد و أمرهم بالقسط، و ذكرهم بأن عليهم الانتفاع بهدى الله و رسالته و ذلك خير لهم. و أكدّ بأنه ليس سوى مبلغ للرساله، و ليس وكيلا عنهم. بيد انهم رفضوا قبول دعوته بالرغم من قبولهم لشخصه، فبعد ان اعترفوا بأنه صاحب دين و التزام بالشعائر، و أنه حلیم رشيد لم يقبلوا بأن يتدخل فى شؤونهم و يأمرهم بترك عباده ما كان يعبدّه آبائهم، أو تحديد حرّيتهم فى أمور الاقتصاد.

بينات من الآيات:

اشاره

[٨٤] فى طرف الجزيره العربيه كانت مساكن مدين تلك القبيله التى وسّع

عليها الله الرزق فبطروا، وأخذ بعضهم يظلم بعضا، ويحاول البعض الانقاص من البعض. وان يفسد ما فى الأرض.

فجاء شعيب رسولا- من قبل الله إليهم و أمرهم بعباده الله، و تنفيذ تعاليم السماء، و نهاهم عن عباده ذواتهم، أو عباده الثروه الزائله، كما نهاهم عن الانقاص فى المكيال و الميزان لأنه نوع من الظلم و العلاقه الفاسده بين أبناء البشر و التى سوف تؤدى الى زوال الخير، و حذرهم من يوم يحيط بهم عذابه فلن يجدوا مفرا منه.

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ رَبَّمَا كَانَتْ مَدْيَنَ كغَيْرهم من الشعوب الجاهليه، تدعى الايمان بالله ظاهرا، و لكنهم لا يطبقون واقعا رساله الله. فلذلك أمرهم شعيب بعباده الله و تحكيم سيادته التشريعيه على واقعهم الاجتماعى، دون أن يكتفوا بترداد اسمه سبحانه، بينما يتخذون آلهه أخرى للعباده، كالكهنه و الطغاه و الاشراف و أصحاب المال.

وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ أَيْ إِنِّي أَجِدُ حَيَاتِكُم الماديه مرفهه، و لكن هذه الحياه قد تزول فى أيه لحظه بسبب الظلم الاجتماعى الذى تمارسونه.

وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ

عوامل الانهيار:

[٨٥] و أمرهم شعيب بأن يوقفوا رحله الانهيار التى بدأت فى حضارتهم المزدهره عبر ثلاث ثغرات هامه وجدت فيهم و هى:

ص: ١٠٦

أولاً- الاستهانه بالمقاييس الاقتصادية التي كانت موضع ثقته الجميع كالمكيال و الميزان فاذا بخسوا فيهما فان النظام الاجتماعي ذاته يصبح مهددا بالزوال. إذ ان النظام يقوم على أساس الثقة و التوافق الاجتماعي عليه، و لا- ثقته و لا- توافق مع الاحتيايل على المقاييس و القيم التي يجب ان تكون ثابتة و معتمد عليها.

ثانياً: تبديل العلاقة الاجتماعية السابقة التي كانت تعتمد على احترام حقوق الآخرين، و التنافس البناء من أجل الحصول على خيرات الأرض بتعاون الجميع و ثقتهم ببعضهم، و لكنهم بدّلوا ذلك بعلاقة الصراع و محاوله كل فرد أو كلّ جبهه أو جماعه السطو على حقوق الآخرين، مما يهدد محور المجتمع، و أساس المدنيه.

ثالثاً: تبديل علاقة الإنسان بالطبيعة من علاقة الإصلاح و التعمير و البناء، و الانتفاع المعقول الى علاقة الإفساد و الهدم، و الإسراف في الانتفاع أو الشذوذ فيه.

هكذا جاءت رساله الله لأهل مدين على يد شعيب في لحظه التحول. حيث كانوا أحوج شىء الى الهدايه. فقال لهم شعيب عليه السلام :

﴿ يَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ أَي احترموا المكيال و الميزان، و ليكن كيلكم و وزنكم بالعدل التام.

﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ سِوَاءَ كَانَتْ مَادِيَهُ أَوْ مَعْنَوِيَهُ، و ليكن همكم أداء حقوق الآخرين و احترامهم، و الاعتراف بمنزلتهم و كرامتهم دون أى نقص فى ذلك.

﴿ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

[٨٦] و أضاف شعيب عليه السلام فى توجيهه لقومه الجاهليين توجيهها هاما يعتبر ضمانا لاستمرار الحضاره و حفظا لها من أسباب التدهور و الزوال، و هو التسامى عن جاذبيه الماده، و التحليق فى سماء الايمان، و الاعتقاد العملى بالمستقبل، و بالتالى التسليح برؤيه بعيدة فقال:

بَقِيَّتُ اللّٰهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ مَا هِيَ بِقِيَّتِ اللّٰهِ؟ اِنَّهٗ رِضْوَانُهٗ وَ ثَوَابُهٗ.

و السؤال هو: كيف يمكن لقوم مثل قوم شعيب الحصول على الباقيات الصالحات؟ إلا- بترك الموبقات التى ذكرت فى الآيه السابقه، ثم العمل فى سبيل الله بالطعام المساكين، و أداء حقوق الفقراء، و بناء المساجد و المرابط، و الإنفاق من أجل بناء السدود و القنوات و الطرق و..و، و كلما هو فى سبيل الله. أليس كذلك؟! و العمل بكل ذلك يوجب استمرار الحضاره فى الازدهار للمستقبل، و عدم الإسراف فى استهلاك المكاسب الآن، و كل حضاره تقوم بالازدهار فى بدايه تكونها و لكنها تتوقف عن الازدهار، ثم تبالغ فى الاستهلاك انها تنتهى و تزول، أما إذا استمرت الحضاره فى العمل للمستقبل، و فى إيجاد علاقه ايجابية و بناءه مع الناس و مع الطبيعه، فانها سوف تبقى و تستمر، لذلك اعتبرنا هذا الأمر الالهى الذى أظهره شعيب ضمانا لاستمرار الحضاره. و تشير بعض الآيات القرآنيه الاخرى الى هذه الحقيقه مثل قوله سبحانه.

الْمَالُ وَ النَّبُؤْنَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ

أَمَلًا (١) زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَيْنِينَ ..الى قوله.. وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (٢) ثم قال شعيب:

وَ مَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ أَى لا- تفتروا: بأنَّ القائد قادر على منع العذاب عنكم من دون أن تفعلوا شيئاً صالحاً، أو تغيروا ما بأنفسكم، بل عليكم أنتم المسؤولينه أولاً- و أخيراً، و ربما أشارت الآية الى حاله حضاريه اعترت قوم شعيب كملكك التى تعترى الشعوب المتخلفه فيلقون كل المسؤولينه على قياداتهم.

[٨٧] و لكن قوم شعيب ظلوا على وضعهم الفاسد و عثروا شعيباً.

قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصِ لَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَ كَأَن عِبَادَهُ الْأَصْنَامَ تحولت عندهم الى دين مقدس لأنه من عمل الآباء، و لا يجوز ان يعارضها شخص مؤمن كشعيب، و كما عباده الأصنام كذلك سائر الأنظمه كالملكيه الفرديه المطلقه.

أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ وَ نَكْسِبُ الْمَالَ بطريقه مشروعه أو غير مشروعه، سواء نظلم الناس أو بالبخس

ص: ١٠٩

١-١. (١) ١٤٦/الكهف

٢-٢. (٢) ١١٤/آل عمران

عنهم، و أن نصرف المال فى أى وجه نشاء صلاحا كان أم فسادا.

إِنَّكَ لَمَأْنَتَ الرَّشِيدِ و لست بشاب طائش يخالف تقاليد الآباء أو لا يعترف بحقوق أصحاب المال و مزاياهم، و يبدو من حديث قوم شعيب أنهم قد ضلوا ضلالا بعيدا حتى رأوا المعروف منكرا، و المنكر معروفا، و أصبح الفساد دينا مقدسا عندهم و ليس فقط سلوكا شادا، لذلك لم تنفعهم نصيحه شعيب عليه السلام .

ص: ١١٠

اشاره

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنِهِ مِن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسِينًا ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (۸۸) وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (۸۹) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (۹۰) قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا ۖ مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۚ وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۚ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (۹۱) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَمَعَٰ تَعْمَلُونَ مَحِيطٌ (۹۲) وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ ۚ إِنَّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ۚ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (۹۳) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ۚ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (۹۴) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ أَلَا بُعِدًا لِّمَدِينٍ ۚ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ (۹۵)

اللغه

۹۱[نفقه]:الفقه فهم الكلام على ما تضمنه من المعنى،و قد صار علما لضرب من علوم الدين و هو علم بمدلول الدلائل السمعيه،و أصول الدين علم بمدلول الدلائل العقليه.

[رهطك]:الرهط عشيره الرجل و قومه،و أصله الشد.

[لرجمناك]:الرجم الرمي بالحجاره.

٩٢[ظهرياً]:الظهري جعل الشيء وراء الظهر حتى ينسأه،و يقال لكل من لا يعبأ بأمر قد جعل فلان هذا الأمر بظهره.

٩٣[و ارتقبوا]:و انتظروا.

ص:١١٢

هدى من الآيات:

لقد انتهى الدرس السابق فى الوقت الذى كان قوم شعيب يجادلونه فى خرافاتهم و أصنامهم، أما شعيب فهو لا يزال يقاوم ضلالتهم و يحتج عليهم.

أولاً: بأنه قد هداه الله، و جعله على بينه واضحاً.

ثانياً: إن حياته الشخصيه على خير وجه.

ثالثاً: إنه أول من يتبع مناهج ربه التى يأمرهم بها.

رابعاً: إن هدفه هو إصلاح الوضع الفاسد بكل ما أوتى من مقدره.

خامساً: انه لا يهمله الفشل، كما لا يستبد به اليأس لأنه يرى ان توفيقه من الله، و ان عليه لا على نفسه أو على الناس توكله و اعتماده و معاده، و حذرهم من ان عنادهم ضده، و تحديهم له قد يوقعهم فى ذات المهلكه التى وقعت فيها الشعوب

الضاله سابقا، مثل قوم نوح و قوم صالح و قوم لوط القرييين منهم زمانا أو مكانا أو كلاهما.

ثم أمرهم شعيب مره اخرى بالاستغفار و التوبه الى الله فانه رحيم و دود، و لكنهم حين لم يجدوا جوابا قالوا له: لا نفهم كثيرا مما تقول، و ان مقياسنا فى تقييم كلامك ليس ذات الكلام بل ذات الشخص المتحدث، و إنا لنراك ضعيفا فينا، و لولا- وجود أصحاب لك و عشيره. إذا لرجمناك، فقال لهم: هل ان عشيرتى أعز عندكم من الله خالقكم و خالقى المحيط بكم، و الذى تركتم مناهجه.

ثم تحداهم و قال لهم: اعملوا ما شئتم أما أنا سأعمل و سوف تعلمون من يأتيه عذاب الخزى، و هل أنا كاذب أم أنتم، و انتظروا انى معكم رقيب و شاهد، و جاء امر الله فأنجى الله شعيبا و المؤمنين معه برحمه منه بينما اخذتهم الصيحه فأصبحوا جاثمين فى ديارهم كما لو لم يقيموا هناك، فابعدهم الله و لعنهم كما ابعث ثمود من قبلهم.

بينات من الآيات:

شخصيه الرسول:

[٨٨] يظل الأسلوب الرسالى. هو ذلك الأسلوب الذى يثير القلوب، و يتحدث الى الوجدان بعد ان يرفع عنه الصدأ، و يكشف عنه الحجب، و هكذا فعل شعيب حيث بدأ من نفسه و وضع امام قومه واقعا جديدا هو سلوكه:

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنِهِ مِنْ رَبِّيَ مَاذَا لَوْ أَكْشَفَ سَلَامَهُ رُؤْيِي، و صواب طريقي، و اننى على بينه واضحه أعطاها الله لى. أ فلا يكون من الخطأ عدم التفكير فى ذلك أساسا ورده رأسا؟!!

ص: ١١٤

وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسِينًا فَأَخْلَقَهُ الْفَاضِلَةَ، وَسَلُوكَهُ الْحَسَنَ، وَإِرَادَتَهُ الصَّلْبَةَ، وَصَحْتَهُ الْجَسَدِيَّةَ، وَتَكَامَلَهُ الْمَعْنَوِيَّ بِالْإِضَافَةِ إِلَى رِسَالَاتِ اللَّهِ الَّتِي لَا يَشْكُ أَحَدٌ فِيهَا نِعْمَةً كَبْرَى. كُلُّ أَوْلَئِكَ شَوَاهِدٌ عَلَى أَنَّ سَبِيلَهُ مُسْتَقِيمٌ.

وَ مَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ فَإِنَّا أُولَ مِنْ يَطْبِقُ الرِّسَالَةَ كَدَلِيلٍ عَلَى صِدْقِي، وَقِنَاعَتِي بِهَا، وَعَدَمِ تَكْلُفِي فِيهَا.

إِنْ أُرِيدُ إِلَّا- الْإِضَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ فَبِالرَّغْمِ مِنْ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِي مَفْهُومِ الصَّلَاحِ وَ الْفَسَادِ فِي بَعْضِ الْأَبْعَادِ التَّفْصِيلِيَّةِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَعْلَمُونَ أَنَّ تَقْرِيْبَ الْقُلُوبِ، وَتَأْلِيْفَ التَّقْوَى، وَ الْوَفَاءَ بِالْمَكْيَالِ وَ الْمِيزَانِ، وَ الْإِهْتِمَامَ بِالْمَحْرُومِينَ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ، كُلُّ ذَلِكَ صَلَاحٌ، وَ أَنَّ الرَّسُولَ يَقُومُ شَخْصِيًّا بِفَعْلِ الصَّلَاحِ، وَ يَضْرِبُ بِذَلِكَ مِثْلًا عَلَى حَقِيقَةِ رِسَالَتِهِ.

وَ مَا تَوْفِيقِي إِلَّا- بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ إِنَّ نَسْبَهُ نَجَاحُ خَطِّ الرِّسَالِ تَفُوقَ كُلِّ النَّسْبِ، مِمَّا يَكْشِفُ عَنْ عَامِلِ غَيْبِي غَيْرَ مَعْرُوفٍ لِلنَّجَاحِ، وَ هُوَ تَوْفِيقُ اللَّهِ وَ سَلَامَةُ الرَّؤْيَةِ الرِّسَالِيَّةِ، وَ هَذَا بِدَوْرِهِ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ الرِّسَالَةِ، كَمَا أَنَّ وَضْعَ الْخَطِّ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى الْغَيْبِ وَ تَأْخُذُ الْغَيْبَ كَعَامِلٍ هَامٍ فِي مَعَادِلِهِ الْخَطِّ، دَلِيلٌ آخَرَ عَلَى صِدْقِ الرِّسَالَةِ وَ هَذَا هُوَ التَّوَكُّلُ، وَ الرَّسُولُ رَجُلٌ غَيْبِي لَيْسَ فِي تَصَرُّفَاتِهِ وَ إِنَّمَا أَيْضًا فِي إِنْابَتِهِ إِلَى اللَّهِ، وَ ضِرَاعَتِهِ الدَّائِمَةِ، وَ صَلَاتِهِ الْكَثِيرَةِ، وَ رَشْدِهِ وَ حَمَلِهِ، وَ كَانَ شَعِيبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَكْثَرِ الْأَنْبِيَاءِ إِنْابَهُ إِلَى اللَّهِ حَتَّى قَالُوا:

إِنَّ كَرِيمَتَهُ قَدْ أَيْضَتْ مِنْ كَثْرَةِ الْبِكَاةِ خَشِيَهُ مِنَ اللَّهِ، وَ شَكَرَا لَهُ.

[٨٩] و حذر شعيب قومه من العناد. و مخالفه الرساله لمجرد تحدى شعيب، و حاول أن يفهمهم بضروره التفريق بين الفكره و بين قائلها، فلو كانت سلوكيات الداعيه أو اساليبه الاعلاميه تثير فيهم الغضب، فلا- يجوز ان يظلموا أنفسهم بمخالفه الفكره الصحيحه، لأن ذلك سوف يسبب لهم متاعب كبيره.

وَ يَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَي لَا تَدْعُواكُمْ مَخَالَفَتِي إِلَى التَّوْرَطِ فِي الْمَشْكِلَةِ.

أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَ مَا قَوْمٌ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ [٩٠] ثم أمرهم شعيب بإصلاح أنفسهم و الاستغفار من ذنوبهم لكي لا تكون الذنوب السابقه سببا لمعاداه الرساله، و مخالفه أوامر الله.

وَ اسْتَتَفِرُّوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ إذ قد يسبب تعود البشر على الأفعال القبيحه، و ظنه بأن الله قد تركه، و بالتالى يأسه من روح الله، قد يسبب استرساله فى الكفر تبريرا لأعماله الفاسده من هنا دعا شعيب قومه الى مخالفه العاده، و رجاء رحمه الله.

[٩١] و جاء دور قوم شعيب يردون حجج شعيب فانظر ماذا قالوا؟ و كيف انهم قد انطلقوا فى رفض الرساله. من قاعده الجهل و العناد، و التمسك بالماديات، و الغرور بما لديهم من قوه! قالوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَ إِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَ لَوْلَا رَهْطُكَ

لَرَجَمْنَاكَ أَي لولا عشيرتك لقتلناك شر قتله.

وَ مَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ [٩٢] و سفه شعيب أولئك الأغبياء الذين يعاندون ربهم و يخشون رهط شعيب.

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ اتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ فَأَنَّى تَعْمَلُونَ فَلَا تَخْرُجُونَ مِنِ اطَّارِ قَدْرِهِ اللَّهُ، وَ حُدُودِ مَمْلَكَتِهِ سَبْحَانَهُ.

[٩٣] وَ جَاءَتْ مَرَحِلُهُ التَّحْدِي الفاصله حيث نابذهم شعيب العدا، و أمرهم بأن يعملوا على حالهم. بينما يعمل هو بما أمره الله و الكل ينتظر ما يحمله المستقبل من مفاجات.

وَ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَ ارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ وَ هَكَذَا جَاءَ دُورَ انْتِظَارِ الفرج من قبل شعيب، بعد الجهاد و توفير عوامل النصر الظاهره، و انتظار الفرج يعتبر من أفضل الأعمال.

ففي الحديث النبوي:

«أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج» [٩٤] و كل آت قريب، فجاءت العاقبه تكشف الحقيقه المظلومه لتنتقم من المعاندين.

وَ لَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ

ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ الْجَائِمِينَ [٩٥] وَكَأَنَّ أَحَدًا لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الدِّيَارِ.

كَأَنَّ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ تَمُودُ

ص: ١١٨

اشاره

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ (۹۶) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَ مَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (۹۷) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَ بئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ (۹۸) وَ اتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَهُ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (۹۹) ذَلِكَ مِنْ أَلْبَاءِ الْقُرَىٰ نَفْضُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَ حَصِيدٌ (۱۰۰) وَ مَا ظَلَمْنَاهُمْ وَ لَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَلَمَّا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَ مَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْسِيبُ (۱۰۱) وَ كَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَ هِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (۱۰۲) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (۱۰۳)

اللغة

۹۸ [يقدم]: يقال قدمت القوم أقدمهم قدما، إذا مشيت أمامهم و اتبعوك.

[الورد المورود]: الورد ورود الماء الذي يورد، و أصل الورد الاشراف على الدخول و ليس بالدخول، أي بئس الماء الذي يردونه عطاشا لإحياء نفوسهم، تلك النار التي يردونها.

۹۹ [الرفد المرفود]: العطاء المعطى لهم.

۱۰۰ [قائم]: باق و ان أهلك أهله.

[حصيد]: الحصيد بمعنى المحصود، و الحصيد قطع الزرع من الأصل، و حصيد قد حصد و عفى أثره.

۱۰۱ [تتیب]: من تبت یده ای خسرت.

ص: ۱۲۰

هدى من الآيات:

لقد أرسل الله موسى بآياته البيّنات و بسطان مبین. الآيات كانت تلك القيم التي دعا إليها موسى، و تلك الحقائق التي ذكر بها، و تلك الفطره المنسيه التي استشارها في قلوبهم. و تلك المعرفة التي جهلها، فأعادها الى ذاكرتهم..

و جاء موسى فرعون و ملأه بسطان مبین، الا- أن الملأ- لم يتبعوا ذلك السلطان، بل اتبعوا امر فرعون غير الكامل، و غير البالغ مستوى الرشد، لأنه يقود قومه الى بئس المقام و هو النار كما ان اللعنه تلاحقهم، في الدنيا و الآخرة، بئس العطاء، و بئس الضيافه و القرى.

هل ظلمهم الله؟ كلا.. انما ظلموا أنفسهم حيث اتبعوا فرعون و سائر الآلهه من دون الله سبحانه، فلم تنصرهم الآلهه حين نزل عليهم عذاب الله، و كان أخذ الله شديدا و أليما.

فمن خاف عذاب الآخرة اعتبر بأبناء القرى، و من لم يخف يوم القيامة حيث يجمع الناس و تشهد الملائكة فما عسى تنفعه الآيات و العبر؟

بينات من الآيات:

[٩٦] الأنبياء «عليهم أفضل الصلاة و السلام» يأتون الى الناس لكي يستأدوهم ميثاق فطرتهم، و يثيروا فى أنفسهم دفائن العقول. و لا يحتاج الأنبياء الى أن يأتوا الى الناس بسلطان مبین، اى معجز خارق، و لكنه مع ذلك ترى ان رحمه ربنا سبحانه و تعالى، تأبى إلا ان تتم الحججه على العباد بصوره قاطعه. و لا يعذبهم الا بعد ان تتم الحججه عليهم كامله. و لذلك يقول ربنا:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ذَلِكَ السَّلْطَانُ الَّذِي ابْتَلَعَ حِبَالَ أَوْلِيئِكَ السَّحْرَةَ، مِمَّا دَعَا السَّحْرَةَ أَصْحَابَ الْحِبَالِ، اِلَىٰ اَنْ يَسْجُدُوا اِلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ، و يؤمنوا باله موسى و هارون كما كان السلطان أيضا، اليد البيضاء التى كانت لموسى «عليه الصلاة و السلام» معجزه خارقه.

و لكن فرعون الذى أرسل اليه موسى و الى ملاءه الذين أحاطوا به، رفض الرساله.

[٩٧] اِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَاتَّبَعُوْا اَمْرَ فِرْعَوْنَ اتبع أولئك القوم أمر فرعون الذى كان يعبد من دون الله و لم يكن امر فرعون قائما على أساس العقل و لا- على أساس التجربة، انما كان قائما على أساس الهوى و الشهوات. و كم يكون الإنسان ظالما لنفسه حين يتبع من لا يتبع إلا شهواته. فإذا كانت الشهوات هى مقياس الطاعه، فاولى بك ان تتبع شهواتك من ان تتبع أهواء الآخرين.

المقياس فى الطاعه للغير هو ان يكون ذلك الغير اكمل عقلاء و افضل تجربه. اما اذا كانت اوامره طائشه، قائمه على اساس الانعكاسات المرحليه الآنيه، و لم تكن قائمه على خطه عقلانيه ايمانيه سليمه، فكيف يمكنك ان تطيعه.

يقول ربنا:

فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَ مَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ [٩٨] لماذا؟..

لأن فرعون لم يكن يرى الحياه إلا محدوده باطار الدنيا، لم يكن يعلم شيئا عن الحياه الآخره، لذلك فان كل أفكاره، و كل قراراته كانت خاطئه. لان فهمه الاساسى للحياه كان فهما خاطئا.

لذلك تراه يقود قومه الضالين الى النار، و بئس ما يقودهم اليه.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَ بئسَ الْوَرْدَ الْمَوْرُودُ [٩٩] أو ردهم فى نار لا- رحمه فيها و لا نعمه فيها و لا راحه فيها و لا نهايه لها. نار حرها شديد و قعرها بعيد و نورها ظلام و الواردون فيها حطبها و وقودها.

بالاضافه الى العذاب المادى المباشر الذى كان فرعون سببا له، عرض قومه الى عذاب آخر هو عذاب السمع المفقوده، و اللعنه التى ظلت تلاحقهم الى الأبد، و ها هو القرآن نقرأه بعد ألوف السنين من هلاك فرعون و قومه، و هو يلعنهم.

أفليس فى ذلك عبره..

وَ أَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَهُ

ص: ١٢٣

فى الحياه الدنيا.

وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيضاً، اللعنه تلاحقهم، بالاضافه الى العذاب.

بِسُّ الرِّفْدِ الْمَرْفُودِ تَلَكَّ كَانَتِ الْآثَارُ الْمَادِيهَ «الورد المورود».

هذه هى الآثار المعنويه «الرفد المرفود».

اذن ينبغى ان لا يطيع أحد امر من لا يرشد بل يغويه و يضلّه.

[١٠٠] ذَلِكْ مِنْ أَلْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَ حَصِيدٌ هذه القرى التى لا تزال قائمه، سوف لا تبقى إن كانت ظالمه لنفسها. أما تلك القرى التى حصدت و انتهت، حصدت كما يحصد الحقل فلا يبقى منها شىء، تلك القرى ذهبت لتورثنا عبرتها.

عبره القرى:

[١٠١] عبره القرى التى حصدت هى ما يقول تعالى فى الآيه التاليه:

وَمَا ظَلَمْنَا هُمْ وَ لَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ عبره تلك القرى ان ربنا سبحانه و تعالى، و فرّ الحياه الكريمه السعيده لهم. و فر فرصه الهدايه، و فى المنعطفات الخطيره التى كانت تهددهم، أرسل ربنا إليهم المصلحين، و بذل هؤلاء المصلحون كل ما بوسعهم، فبشروا و اندروا و حذروا و ذكروا

ص: ١٢٤

بالآيات و أشاروا فيهم دفائن العقول.. و كل شىء كان بإمكانهم فعلوه الا إجبارهم على الهدايه، فلم يستجب أولئك لفرصه الهدايه، فعاندوا و تحدوا و استكبروا و ظلموا أنفسهم.

و أساس ظلمهم و انحرافهم هو انهم اتبعوا الآلهه التى تعبد من دون الله، و هذه الآلهه لم تغن عنهم فى لحظه الحسم و ساعه العذاب الشديد شيئا..

فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ أَمَرُ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ مَدْفُوعًا وَ لَا مَرْفُوعًا عَنْهُمْ بِسَبَبِ
الآلهه.

وَ مَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ أَمَا زادت الآلهه الطيب بله و العذاب شده.. هلاكاً و تباباً.

[١٠٢] وَ كَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَ هِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ وَ كانت عبره القصة كلها تتلخص فى أمرين:

الاول: ان أخذ الله شديد. فى قوته، اليمى مدى تأثيره، و لا يجوز لنا ان نستهيى بأوامر الله، و نستخف بعقابه.

[١٠٣] إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الَّاخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ الثانى: ان عذاب الدنيا على شدته و عظيم ألمه، دليل المؤمنين الى عذاب

الآخرة، الأشد و الألم.

و إن المؤمن يهتدى بما فى الدنيا من ألم الى يوم الجزاء الأكبر حيث يجمع الناس، كلهم، و يشهده الناس و الملائكة و علينا ان نعيش بوعينا ذلك اليوم الرهيب لتتقيه أشد التقوى.

ص: ١٢٤

إشارة

وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ (١٠٨) فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (١٠٩)

اللغة

١٠٦ [زفير و شهيق]: الزفير إخراج النفس من الصدر، و الزفير ترديد النفس مع الصوت من الحزن، و أصل الزفير الشده، و زفرت النار إذا سمع لها صوت من شده توقدها، و الشهيق ردّ النفس الى الصدر، و الشهيق صوت فظيع يخرج من الجوف بمد النفس، و أصله الطول المفرط.

و قيل الزفير أول نهاق الحمار و الشهيق آخر نهاقه و هما من أصوات المكرويين المحزونين، و الزفير من شديد الأنين و قبحه بمنزله إبقاء صوت الحمار، و الشهيق الأنين الشديد المرتفع جدا بمنزله صوت الحمار.

١٠٧ [ما دامت]: الدوام البقاء.

١٠٨ [مجذوذ]: الجذ القطع.

١٠٩ [مريه]: الشك مع ظهور الدلاله للتهمه.

ص: ١٢٨

اشاره

بين شقاء النار و سعادته الجنه

هدى من الآيات:

انتهى المدرس السابق بالتحذير من يوم القيامة المشهود، و تأكيداً لذلك يبين هذا المدرس بأن تأخير يوم القيامة ليس بلا حدود، بل هنالك أجل ممدود ينتهى اليه التأخير، فنحن نقرب اليه على قطار الزمن، و حينئذ يظهر سلطان الله حيث لا تستطيع اى نفس ان تتحدث الا- بأذن الله، و ينقسم الناس الى سعداء و أشقياء، أما الأشقياء فهم بين الموت و الحياه فى النار لهم شهيق و زفير، بسبب سوء حالهم، و يقون فى النار ما دامت السماوات و الأرض، إلا أن يشاء الله، أما السعداء فهم فى الجنه خالدون ما بقيت السماوات و الأرض الا ان يشاء الله، و تلك الجنه عطاء لا ينقطع من قبل الله.

بينات من الآيات:

فمنهم شقى و سعيد:

[١٠٤] لماذا يؤخر الله العذاب؟ لأنه سبحانه قد حدد سلفاً أجلاً معدوداً،

ص: ١٢٩

و اعطى بحكمته و رحمته فرصه الابتلاء للناس ضمن هذا الأجل، فمن آمن و أصلح عمله. نفعه عمله و لم يخش اجله و من قصر. خسر فرصته التي لا تعود، و متى ما استخرج المرء كل ما عنده من قابليات الخير أو الشر. بسبب تطور الزمان، فانه ينتهي أجل امتحانه، و لا بد ان يستعد لمغادره قاعه الامتحان و هى الدنيا الى حيث جزائه فى الآخرة.

وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ أَي لِسَبَبٍ وَجُودِ أَجَلٍ مَّعْدُودٍ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لِلْبَشَرِ فِي الدُّنْيَا.

[١٠٥] و إذا جاء ذلك اليوم الرهيب يعم الصمت المهيب و يقف الناس امام ربهم ساكتين، لا يتكلم أحد الا بأذن الله مما يدل على احاطه سلطان الله عليهم.

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَ يَنْقَسِمُ النَّاسُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَرِيقِينَ شَقِيًّا اسْتَنْفَذَ فُرْصَ حَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَبْقَ لَهُ حَسَنَةٌ هُنَاكَ فَتَمَحَّضُ فِي السَّيِّئَاتِ بِأَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ فَأَصْبَحَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَ سَعِيدٌ مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ عَمَلَهُ حَتَّىٰ تَمَحَّضَ فِي الْخَيْرِ فَأَصْبَحَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ [١٠٦] أما جزاء الأشقياء فهم فى نار لا يموتون فيها و لا يحيون، بل يكابدون ألوان العذاب، و لذلك تراهم يجرون الآهات الخفيه حيناً بسبب ضعفهم، و العاليه حيناً بسبب شده الألم، فهم بين زفير و هو أول صوت الحمار، و شهيق و هو آخر.

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهيقٌ [١٠٧] و يبقى هؤلاء خالدين فى النار ما دامت السماوات و الأرض التي تحيط

بالنار من فوق و من تحت.

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ و السؤال الذى وجهه المفسرون الى أنفسهم هو: لماذا استثنى القرآن بمشيئه الله؟ و تعددت إجاباتهم حولها، و اعتقد ان الجواب الأقرب هو: ان الله يفى بوعده الصادق و لكنه لا يحتم عليه شىء. لا سيما و ان عذابه و ثوابه للأشقياء، أما السعداء، فليسوا بقدر الجريمة بل بالصلاح فحسب، و أيضا بسبب ارتباط ذلك كله بمقام الربوبية، فالصلاه لأنها كانت لله فهى ذات ثواب عظيم، و كذلك ترك الصلاه أصبح عملا قبيحا ذا عقاب شديد بسبب ارتباطه بمقام الله العزيز المتعال. لذلك فهو الذى يحدد مداه و قدره، و متى نهايته، و ربما يشير الى ذلك قوله سبحانه:

إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ [١٠٨] أما السعداء فهم فى الجنة ما دامت الجنة موجوده بأرضها و سمائها.

و لكن مشيئه الله فوق كل ذلك، فربما شاءت إرادته التى لا تحد ان يعطى للجنة استمرارا أكثر ليعطى للمؤمنين فرصه أكبر للبقاء.

وَأَمَّا الَّذِينَ سُئِلُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ و يشير الى هذا المعنى الذى ذكرناه للمشيئه قوله سبحانه.

عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ اى ان عطاء ربك غير مقطوع.

و لعل ذلك اشاره الى الخلود فى الجنة و لكنه لا بمعنى تبدل ذاتى يحصل فى

الكون،فتتحول طبيعته من طبيعه فانيه إلى طبيعه خالده. كلاب بل بمعنى أن الله شاء ان تبقى الجنه خالده(و الله العالم).

[١٠٩]بسبب إصرار الكفار على باطلهم،و عنادهم في ضلالتهم قد يعترى المؤمن شك في سلامه خطهم،أو وجود نسبه من الحق الى جانبهم.بيد ان ربنا ينهاننا عن هذا الشك،و يأمرنا بعدم الريب في بطلان عبادتهم.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَؤُلَاءِ فِعْبَادَتِهِمْ بَاطِلَةٌ لَا رَيْبَ فِي ذَلِكَ.

و إنهم يقلدون آباءهم الذين كانوا على ضلاله،و كما ان الله اعطى جزاء آباءهم بانزال العذاب عليهم،فانه سوف يعذبهم أيضا.

مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُونَ بِمَا نَصِيبُهُمْ مِنْ قَبْلِ مَن قَبْلُ

ص: ١٣٢

اشاره

وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَ لَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (۱۱۰) وَ إِنْ كُنَّا
لَمَّا لِيُؤْفِقِيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَاهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۱۱۱) فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَ مَنْ تَابَ مَعَكَ وَ لَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
(۱۱۲)

هدى من الآيات:

انتهى الدرس السابق موضحا ان المقياس هو الشقاء أو الفلاح فى يوم البعث، أما هذا الدرس فقد جاء ليكرس الأيمان بالأخره فى واقع الدنيا،فنهى الرسول من الشك فى ضلاله هؤلاء فيما يعبدونه من آلهه،وانهم ليسوا أفضل ممن سبق من المشركين،وان الله سيوفيههم جزاءهم العادل دون نقصان.

و مثل هؤلاء انما هو كمثل الذين اختلفوا فى كتاب موسى فأعطاهم الله فرصه الامتحان بكلمه سبقت منه سبحانه،ولولاها لقضى بينهم بتأييد الصادقين منهم ضد أعدائهم. و ذلك بسبب شكهم المريب فى صدق الكتاب الذى اختلفوا فيه.

ان هذه الفرصه ليست دائمه بل محدوده بيوم انتهاء فرصتهم و مهلتهم،حيث يعد عليهم الله أعمالهم و هو خير بها.

و عليك ايها الرسول ان تستقيم كما أمرت،و عليكم ايها المؤمنون ان تستقيموا

كما أمرتم، و لا تطغوا فالله بما تعملون بصير.

بينات من الآيات:

فاختلفوا فيه:

[١١٠] لقد انزل الله الكتاب ليختلفوا اليه، و يجعلوه قاضيا بينهم، فاختلفوا فيه، و حملوه أهواءهم، و السبب انهم لا- يؤمنون حقا بالكتاب بل بأهوائهم، و لو لا ان الله جعل الدنيا دار ابتلاء و فتنه. إذا لأيد الفريق المؤمن بالكتاب و خذل المفسرين له بأهوائهم.

وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَ لَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ حَيْثُ قُضِيَ بِتَأْخِيرِ الْجَزَاءِ يَوْمَ الْبَعْثِ، أَوْ لِيَوْمِ انْتِهَاءِ مَهَلِهِ الْفَاسِقِينَ وَ نَصَرَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ.

لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ اى بأسلوب آخر غير تنزيل الكتاب الذى لم ينفعهم، و لم يوحدهم على الهدى بسبب طغيانهم و اتباع أهوائهم، و الاختلاف فى الكتاب دليل الشك فيه.

وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ [١١١] و الله لا ينظر الى التبريرات التى يقدمها البشر لأعماله الضالاه، و التخريجات الدينيه التى يتعب نفسه فى تركيبها على اهوائه، و بالتالى لا يعبأ بالتفسير الباطل للكتاب الذى يخدع نفسه و ذوقه به، انما ينظر ربنا سبحانه الى حقيقه اعماله. فيوفيه إياها و هو محيط علما بها و بخلفتها.

وَ إِنَّ كَلَّا لَمَّا لِيُوفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

ان التاكيدات المتتاليه فى هذه الآيه لدليل على ان البشر يخدع نفسه بالكتاب كما يخدعها بغيره، و ان الله سبحانه يذكره بأن خداعه سراب، و ان عمله هو الباقي وحده.

فاستقم كما أمرت:

[١١٢] و لماذا يختلف الإنسان فى الحياه أساسا؟ لأنه لا يرضى بحدوده و حقوقه، بل يطغى و يحاول ان يتجاوز حدوده، و يعتدى على حرمان الآخرين، و حين يطغى الفرد يجرف بطغيانه القيم الالهيه التى وضعت فى طريقه، و يحاول ان يفسرها حسب اهوائه لكى يجعل قيم السماء جزءا من معاملاته الفاسده.

من هنا كان من الصعب جدا على الناس مقاومه ضغط الأهواء باتجاه تفسير الكتاب حسب اهوائه، و الاستقامه فى خط الكتاب، و تكيف أنفسهم حسب مقاييسه، و جاءت كلمه القرآن حاسمه لتؤكد هذه الحقيقه.

[فاستقم كما أمرت] و بعصمه الله، و بحسن التوكل عليه استقام الرسول، اما المؤمنون فان معضلات الفتن ضغطت عليهم، و حرفت مسيرتهم، و لكنهم سرعان ما تابوا الى الله فاستقاموا.

[و من تاب معك] اما سبب الانحراف و تفسير الكتاب حسب الأهواء، و بالتالى الاختلاف فيه فهو الطغيان.

وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

ص: ١٣٦

ان علينا ان نتبع هدى الله دون زياده أو نقصان...فانه طغيان.

و جاء فى الحديث عن ابن عباس: ما نزل على رسول الله آيه كانت أشد عليه و لا أشق من هذه الآيه، و لذلك قال لأصحابه حين قالوا له: أسرع إليك الشيب يا رسول الله:

«شيبتنى هود و الواقعه»

ص: ١٣٧

اشاره

وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ الذَّارُ وَمِمَّا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ (١١٣) وَاقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَإِصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥) فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةِ يَوْمِهِمْ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)

اللغة

١١٣ [ولا تركنوا] الركون الى الشيء هو السكون اليه بالمحبه له، و الإنصات اليه، و نقيضه النفوذ عنه.

١١٤ [طرفي النهار]: صباحا و عصرا، فان صلاه الصبح في الطرف الأول من النهار و صلاه الظهرين في الطرف الآخر منه.

[و زلفا]: جمع زلفه و هي المنزله، و الزلف أول ساعات الليل.

١١٦ [أولوا بقیة یومهم]: البقیة ما بقى من الشیء بعد ذهابه، و هو الاسم من الإبقاء، و يقال فلان بقیة أى فضل مما یمدح به و خیر، كأنه قیل بقیة خیر من الخیر الماضی.

[أترفوا]: أى تعوّدوا الترف بالنعيم و اللذه و ذلك ان الترف عاده النعمه، و انما قيل للمتنعّم مترف لأنّه مطلق له لا يمنع من تنعمه.

ص: ١٣٩

هدى من الآيات:

تلك كانت قصص الظالمين من عاد و ثمود و أصحاب الأيكة و..و،و تلك كانت نهايتهم الأليمه بينها القرآن فى الدروس السابقه،و فى هذا الدرس بالذات يبين لنا الموقف السليم، كما يبين العبره من الدروس السابقه و من نظائرهم و الذى يتلخص فى: أولاً: حرمة مودتهم و طاعتهم، و بالتالى منع الركون إليهم لكى لا يحرق الراكن إليهم بناهم، فلا ينصره الله، و لا يكون منتصرا من قبل غير الله.

ثانيا: الاستعانه بالصلاه و الصبر و انتظار الفرج الموعود من الله.

ثالثا: تشكيل جبهه من الصالحين الذين لم يفسدوا بالنظام المنحرف، و الاعتماد عليها فى مقاومه الفساد.

و يبين القرآن: ان ما يقود الظالمين فى حياتهم هى النعم الوافره الى أترفوا فيها،

و يجرمون بحق الناس من أجلها، و يفسدون فى الأرض غرورا بها، و الله لا يهلك قريه صالحه-حاشا ربنا عن الظلم-انما يهلكهم لفسادهم.

بينات من الآيات:

و لا تركزوا إلى الذين ظلموا:

[١١٣] ليس الظالم وحده مجرم فى المجتمع. بل الساكتون عنه أيضا مجرمون، و المتعاونون معه شركاء فى الظلم، و الله سبحانه ينهانا عن الركون الى الظالمين بالموده القلبيه، و تقديم المشوره الفكرية لهم، أو طاعتهم و دعمهم ماديا، لأن كل ذلك سوف يسبب فى اشتراكنا معهم فى الجريمه، و بالتالى نيل نصيبنا من العذاب الذى إذا جاء عم الجميع.

و لا تَزَكُّوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ و الركون ضد النفور و هو السكون الى شىء، و الاعتماد عليه عن رضا. لذلك يجوز السكوت عن الظالم ظاهرا، تحينا للفرصه المناسبه للإطاحه به.

و ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ان المجتمع الذى يسكت عن الظلم، أو يسكن الى من يمارس الظلم بحقه لا يجد وليا و لا نصيرا لا فى الأرض و لا فى السماء، فلا الله ينصر هذا المجتمع الراضى بالظلم لأنه يأمره بالتمرد على الظالمين، و لا أولياء الله الذين ينتظرون تحرك المستضعفين ضد الظلمه حتى يتدخلوا الى جانبهم أما ان يحاربوا بديلا عنهم فلا و لا كرامه.

و اشْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ:

[١١٤] و لكى نقاوم إغراء السلطه و الثروه اللتين يعتمد عليهما الظالمون، و نقاوم

ضغوطهما الشديده، و لكى تبقى نفوسنا صامده امام تضليل الظالمين، و نمتلك ثقه بقدرتنا على تحديهم، بل و أيضا لكى نستعيد ثقتنا بأنفسنا بعد ان ضيعها الطغاه بأعلامهم و اربابهم، و نكفر عن الذنب العظيم الذى ترتكبه عادة الجماهير المستضعفه، و هو يأسهم من روح الله، و تأليهم للطغاه الظالمين، و اعتقادهم بأنهم لا يقهرون. لكل ذلك لا بد ان نستعين بالصبر و الصلاه. كما قال ربنا سبحانه فى سورة البقره: **وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** (١٤٥/البقره).

ذلك لان الصلاه تربط العبد بربه و تعطيه الطمأنينه و تحفظه عن السيئات.

وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ اى الصباح قبل طلوع الشمس، و بعد انبلاج الفجر الذى هو أول النهار، و أيضا بعد الظهر حين يصلى المسلم صلاتى الظهر و العصر.

وَ زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ اى بعد ان يمضى وقت من الليل، و هى صلاه المغرب و العشاء اللتين

قال عنهما رسول الله صلى الله عليه و آله :

المغرب و العشاء زلفى الليل و هكذا يبقى على المؤمن ان يصلى فى ثلاث أوقات خمس صلوات كما قال سبحانه فى آيه اخرى: **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِمَذْلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ** إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً (١٧٨/الإسراء) و هذه الصلوات تذهب بالسيئات، فاذا لم يركن قلبك الى الظالم، و لا أعنته فان صلاتك اليوميه سوف تعيد إليك إيمانك المفقود و تذهب بالآثار السلبيه الباقية فى

قلبك من تأييدك للظالم.

إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ صَلاةٍ تَذْهَبُ بِالسَّيِّئَةِ، بل الصلاة التي تتخذ ذكرى و مادة لتطهير القلب من الغفلة. اما الصلاة التي أصبحت عادة، أو الصلاة رياء و سمعه فانها لا تنفع شيئا. لذلك قال ربنا:

ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ وَ

جاء فى الحديث المأثور عن النبى صلى الله عليه و آله عن معنى الآية:

أرجى آيه فى كتاب الله وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرْفِي النَّهَارِ..

ثم قرأ الآية كلها ثم قال لعلى عليه السلام :

«يا على! و الذى بعثنى بالحق بشيرا و نذيرا إن أحدكم ليقوم من وضوءه فتساقط عن جوارحه الذنوب، فاذا استقبل الله بوجهه و قلبه لم ينقلب و عليه من ذنوبه شىء. كما ولدته امه، فان أصاب شيئا بين الصلاتين كان له مثل ذلك من عد الصلوات الخمس، ثم قال: يا على! انما منزله الصلوات الخمس لأمتى كنهجر جار على باب أحدكم. كما يظن أحدكم لو كان فى جسده درن، ثم اغتسل فى ذلك النهر خمس مرات، أ كان يبقى فى جسده درن؟ فكذلك و الله الصلوات الخمس لأمتى» (1) [١١٥] و كما أن الصلاة تعطى قدره على المقاومة، و حصانه كافيه ضد التأثير بسلبيات النظام الفاسد، فكذلك الصبر و تحمل الصعاب. انتظارا للمستقبل حيث لا

ص: ١٤٣

يضيع الله أجر المحسنين، وهذا هو جوهر الصبر. حيث ان الثقة بأن العمل الصالح يستتبع الجزاء الحسن عاجلا أم أجيلا انما تسلى النفس عن الشهوات و على الصعوبات.

وَ اصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ [١١٦] و المقاومة تهدف-فيما تهدف-إيجاد مجموعه من المؤمنين يكونون تيارا رافضا للأنظمة الفاسده(حنيفا مسلما).

فَلَمَّا لَمْ يَكُنِ الْقُرُونُ مِّنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّتِهِ يَسْتَهْزِئُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِي لَمْ تَبْقِ الْا-مجموعه باقيه لم تفسد من أبناء المجتمع. لان عملهم كان هو النهي عن الفساد، و مقاومه الانحراف.

إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ لَقَدْ كَانَتْ هُنَالِكَ فَعَلًا مَّجْمُوعَةً بَسِيطَةً مِنْ هَؤُلَاءِ أَنْجَاهُمْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، بَيْنَمَا أَهْلَكَ اللَّهُ الْآخِرِينَ.

وَ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِمَّا أُتْرِفُوا فِيهِ وَ كَانُوا مُجْرِمِينَ كيف فسد الظالمون؟ لقد اغتروا بتلك النعمة التي وفرها الله لهم، حتى اتبعوا مسيره تلك النعمة، و ضيعوا أنفسهم، و توحى هذه الآية بأن فساد الناس بالنعمة إنما يتم بسبب ظلم الناس لبعضهم البعض، و تقدمهم على صفوف الآخرين، كما ان نوع الفساد يرتبط بنوع النعمة المتوفرة لديهم، ففساد الثروه غير فساد القوه أو فساد العلم، و الفساد يؤدي الى الجريمة و هي الاعتداء الصارخ على حقوق الناس، و الانتهاك العلني للقيم

و الحرمات.

[١١٧] و حين يعم الفساد يهلك الله القوى، و لكن إذا تحركت اولو بقيه من أهل القرى فى طريق الصلاح، فان الله سيرحمهم.

وَ مَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصِٰلِحُونَ ۗ إِنَّمَا أَفْسَدت الْقَرْيَةَ إِذَا فسدت القرية الا قليلا ۗ ممن عصمهم الله فان الله سوف ينقذ هؤلاء، ثم يهلك الآخرين، كما فعل بعاد و ثمود.

ص: ١٤٥

اشاره

وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَآ يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (۱۱۸) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَ إِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مَنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (۱۱۹) وَ كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مَنَ آبَاءِ الرَّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَ جَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَ
مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (۱۲۰) وَ قُلْ لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (۱۲۱) وَ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (۱۲۲) وَ
لِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (۱۲۳)

اللغة

۱۲۰[نثبت]:التثبيت تمكين إقامة الشيء من الثبوت.

[فؤادك]:الفؤاد القلب.

ص: ۱۴۶

هدى من الآيات:

في نهايه سوره هود يجيب القرآن الحكيم على هذا السؤال: لماذا الصراع؟ ألم يكن ربنا قادرا على توحيد الناس؟ فيقول: بلى، و لكن الدنيا دار عمل و انتظار، و سيبقى الناس مختلفين- إلا من رحم الله فهدها الى صراط مستقيم- و التاريخ صورته لهذا الصراع الممتد، و الله يقص علينا من أنباء الرسل ليثبت بها قلب الرسول و قلوب المؤمنين، و ليوضح الحق، و ليلقى بالمواعظ، و ليذكر المؤمنين، فالله قد اعطى في دار الابتلاء فرصه لكل الناس، ليعملوا، و المؤمنون بدورهم يعملون، و لينتظر الجميع.

و الله محيط علما و قدره بغيب السماوات و الأرض و بما في مستقبل الأشياء و بحاضرها أيضا، فعلينا أن نعبد الله، و أن نتوكل عليه. فالله ليس بغافل عما يعمله الناس، فعلمه و قدرته محيطه بما يعملون.

و هكذا ينهي القرآن سوره هود ببيان ضروره التوكل على الله، و قد دارت أكثر

آياته حول هذا المحور العام.

بينات من الآيات:

سنه الصراع:

[١١٨] الصراع سنه الحياه التي يجب البحث أبدا عن سبل انهائه، و لكن لا ينبغي السأم منه، أو الالتفات حوله خشيه مجابهته، فهو كالموت المعلق يمكن تجنبه، كالتخلف و المرض، و كالفقر و ككل المشاكل الحضاريه للبشرية التي يجب السعى من أجل تخفيف و وطأتها أنى استطعنا من دون السأم منها.

وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَخَلَقَ النَّاسَ مُؤْمِنِينَ مِنَ الْبَدءِ كَمَا خَلَقَهُمْ خَلْقًا سَوِيًّا، فَجَعَلَ لَهُمْ عَيْنِينَ وَ لِسَانًا وَ شَفَتَيْنِ، وَ لَكِنَّهُ أَرَاكَ فِيهِمْ قَوْتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ وَ هَدْيَيْنَا النَّجْدَيْنِ وَ كَلَّفَهُمُ بَاقْتِحَامَ الْعَقَبَةِ بِأَنْفُسِهِمْ فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَقَبَةَ .

وَ لَا يَزَالُ لُحُونٌ مُخْتَلِفِينَ دُونَ أَنْ يَكُونَ الْاِخْتِلَافُ مَطْلُوبًا مِنَ اللَّهِ، وَ لَكِنْ ضَعْفَ الْعَقْلِ الَّذِي لَمْ يَقْسَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ أَقْلَ مِنْهُ، وَ قُوَّةَ الشَّهَوَاتِ الَّتِي زَيَّنَتْ لَهُمْ كُلَّ ذَلِكَ يَكْرَسَانِ الْاِخْتِلَافَ فِيهِمْ.

[١١٩] و يبقى الناس مختلفين الا الذين رحمهم الله بهداه فانتفعوا به، و اعتصموا بحبله جميعا، فألف بين قلوبهم بدينه و نوره، لو أنفقنا ما فى الأرض جميعا ما ألفنا بين قلوبهم.

إذا فالوحده هدف إنسانى سام يسعى من أجله البشر، و هو فى ذات الوقت

غايه الخلقه، فالله لم يخلق الناس ليعذبهم بل ليرحمهم، و يجعل بعضهم اخوه بعض، و لكنه سبحانه حملهم مسئوليه تحقيق هذا الهدف التشريعي السامى بعد أن هيا لهم كل أسباب تحقيقه. من رسل و قاده و كتب و شرائع.

□
إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذَلِكَ خَلَقَهُمْ □ أما إذا استمروا فى ضلالتهم، و خالفوا الشريعه فإن الله سوف يعذبهم عذابا شديدا لأنهم لم يتحملوا مسئوليتهم.

□
وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ □ إذا الصراع طبيعه اولويه، و الوحده غايه تشريعيه، و الاختلاف واقع فاسد يجب إزالته، و الا فالنار جزاء آت لا ريب فيه.

شهاده التاريخ:

[١٢٠] و القصص التى تليت من صراع الحق و الباطل عبر تاريخ الأنبياء و قومهم الضالين جاءت لتؤكد هذا الصراع، و تعطينا قدره على احتمال صعوباته.

وَ كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ □ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ □ و أنباء الرسل تؤكد أيضا على إن الرساله حق، و انها منتصره فعلى البشر أن يعمل بها، و أن يستشير عقله بذكراها.

□ و جَاءَكَ □ فِي هَذِهِ الْحَقُّ □ أَى جَاءَكَ □ فى هذه الأخبار من تاريخ الرسالات كلمات الحق.

وَ مَوْعِظَةٌ □ وَ ذِكْرٌ □ لِلْمُؤْمِنِينَ

[١٢١] و التاريخ يعيد نفسه. ذلك لأن سنن الله واحده فى الماضى و الحاضر و المستقبل، و لذلك فان الزمن يمر فى صالح الرساله.

وَ قُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اَعْمَلُوا عَلٰى مَكَاتَتِكُمْ اِىَّ اَعْمَلُوا عَلَىٰ طَرِيقَتِكُمْ.

اِنَّا عَامِلُونَ [١٢٢] وَ اَنْتَظِرُوْا اِنَّا مُنْتَظِرُوْنَ فَنَحْنُ واثقون من ان الحق منتصر، و ان صراع الحياه سوف يختم فى صالحنا باذن الله.

[١٢٣] و فى هذا الصراع الممتد عبر التاريخ يتزود الرساليون بالايمان الصادق بالله، و بأنه محيط علما و مقدره بما فى غيب السماوات و الأرض، و ان إليه مصير الأمور، فهو مالك سره و خبيئته، و هو مالك مصيره.

وَ لِلّٰهِ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَ الْأَرْضِ وَ اِلَيْهِ يُرْجَعُ الْاَمْرُ كُلُّهُ مِنْ صَغَائِرِ الْاُمُوْر وَ كِبَائِرِهَا، و من وحى هذا الايمان يأتى إخالص العبوديه و الطاعه لله، و أيضا التوكل عليه و العمل من أجله.

فَاعْبُدْهُ وَ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

سوره يوسف

اشاره

ص: ۱۵۱

فضل السوره:

قال النبي محمد صلى الله عليه و آله :

«علموا أرقائكم سوره يوسف فإنه أيما مسلم تلاها و علمها أهله و ما ملكت يمينه هون الله تعالى عليه سكرات الموت و أعطاه القوه أن لا يحسد مسلما» (مجمع البيان-ص-٢٠٦-الجزء-٥-)

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«من قرأ سوره يوسف في كل يوم و في كل ليله،بعثه الله يوم القيامة و جماله على جمال يوسف،و لا يصيبه فزع يوم القيامة،و كان من أخيار عباد الله الصالحين» (نور الثقلين-ص-٤٠٩-الجزء-٢-)

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«لا- تعلموا نساء كم سوره يوسف،و لا تقرؤهن إياها،فان فيها الفتن، و علموهن سوره النور فان فيها المواعظ» (نور الثقلين-ص-٤٠٩-الجزء-٢-)

الاسم: تكاد قصه يوسف تعم هذه السوره التي سميت باسمه، بحيث لا تدع مجالاً للسؤال:

لماذا الاسم؟

الموضوع: معاناه الرسل الشديده في الحياه، و تحديهم للضغوط المختلفه، انها معراجهم الى حمل رساله الله الى الأرض، و في قصه يوسف بيان تفصيلي لأنواع من المعاناه التي تمخضت عنها شخصيه يوسف الرساليه، التي كانت في الأصل مختاره لهذا المنصب، و ذلك بسبب خصاله الذاتيه، و لكن بعد المعاناه التي كانت بمثابة التدريب العملي له.

أهداف القصة في القرآن:

الرسول- كأي بشر- غافل عما في رساله من ذكر و بصائر، استثاره للعقل فينزل الله آيات الكتاب واضحه و موضحه «قرآنا عربيا» يهدف دفع الناس باتجاه التفكير و العقل، و يستفيد القرآن من القصص التاريخيه النافعه و الجذابه في هذا المجال لتكون أقرب الى مدارك البشر فيذكر بها فيما هو غافل عنها.

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِذَا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣)

بينات من الآيات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كل شيء قائم بالله. و كل شخص حى بالله، و كل تقدم و تكامل يتحقق باسم الله، و بتنفيذ برامج رساله التى أوحى بها الله. و تكامل شخصيه الرسل يكون باسم الله. ذلك لأنه لو لا التوكل على الله لما استطاع الرسل التغلب على مشاكل الحياه..

الهدف من الكتاب:

[١][٢] الر تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ لقد انزل الله الكتاب الذى يبين أحكام الله، و مناهج رساله. (و اى الكتاب هى هذه الألف و اللام و الراء- التى ترمز إليها) أنزله الله ليقرأ على الناس، و يقرؤه الناس بلغتهم العربيه، التى تعرب عما فى ضمائرهم بوضوح، و الهدف من الكتاب

أن يكون مساعدا لعقل البشر، مثيرا لدفائه.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [٣] واللّٰهُ يَلْقَى الضوء على بعض الأحداث التاريخيه، و يقصها علينا باعتبارها أحسن القصص، و أكثرها فائده للناس، و الوسيله هي الوحي الذي لولاه لبقى البشر فى ضلال بعيد، و غفله شامله.

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ أَى الْقَصَصِ الْحَسَنَةِ، و بأسلوب حسن أيضا.

﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ الرسول-لولا رساله الله و هدايته-واحد من البشر، و هذا بالذات سرّ عظمه الرسل لأنهم متصلون مباشره بالله سبحانه، و لذلك يبقى الرسول غافلا حتى يأتيه الوحي، كما يبقى البشر غافلا، ناسيا لما عنده من مواهب معنويه و ماديه حتى يهديه الله بالرسول.

ص: ١٥٨

إشارة

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَلْحَادِيثِ وَتُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَلَوِّينَ (٧) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهٌ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعِيدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي عِلْيَاتِ الْجَبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠)

اللغة

٦ [يجتبيك]: الاجتباء معالي الأمور للمجتمعين.

٧ [آيات]: عبر.

٨ [عصبه]: العصبه الجماعة التي يتعصب بعضها لبعض و يعين بعضها بعضا.

٩[اطرحوه أرضاً]:ألقوه فى أرض بعيدة.

[يخل لكم وجه أياكم]:تخلص لكم محبه الأب،و تملكون قلبه.

١٠[غيابت الجبّ]:الجب هو البئر و انما سمي البئر جبًا لأنه قطع عنها ترابها حتى بلغ الماء من غير طى و منه المخبوب،و كل ما غاب شىء عن الحس بكونه فيه فهو غيابه،فغيابه البئر شبه لحف أو طاق فوق ماء البئر.

[السياره]:الجماعه المسافرون،سمّوا بذلك لأنهم يسيرون فى البلاد،و قيل هم مارّه الطريق.

ص:١٦٠

هدى من الآيات:

ما هي أحسن القصص التي تشير العقل، و ترفع حجاب الغفلة و التي بشرت بها آيات الدرس السابق؟ ها هي قصة يوسف واحده من أحسن القصص و هي أطول قصه قرآنيه ذكرت جملة واحده عن قصّ يوسف رؤياه على والده يعقوب عليه السلام كيف رأى فى المنام أحد عشر كوكبا، و الشمس و القمر يسجدون له جميعا، ففسره والده رأسا بان الله سوف يصطفى يوسف من بين إخوته ليكون وارثا لرساله الله التي أتاها الله من قبل -إبراهيم و إسحاق- و ليكون فاتحا لعهد جديد فى حياه الأسره بفضل نعم الله التامه عليه، و ليكون عالما بعواقب الأمور و بالوحي، و لكم حذر يعقوب يوسف عليهما السلام من نقل رؤياه لأخوته من قبل ان يفسرها له لأن الشيطان عدو مبين للإنسان، فيدفع اخوته ضده بخطط السوء.

ان حسد اخوه يوسف كان سابقا لرؤياه. لذلك جلسوا يتآمرون ضد سلامته

وقالوا: إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ حيث يحب أخانا الأصغر يوسف بينما يتركنا نحن الكبار المتحدين مع بعضنا، فلا بد إذا من التخلص من يوسف بقتله أو نفيه عن هذه الأرض ل يبقى لهم وجه أبيهم خالصا دون منافسه يوسف، وحن قلب واحد منهم، و نصحهم بالألا يقتلوه بل يرموا به إذا أرادوا به شرًا في غيابت الجب لتلتقطه بعض القوافل السياره في ذلك الطريق.

بينات من الآيات:

الرؤيا بصيره المستقبل:

[٤] كان يوسف الثانى عشر من أبناء يعقوب (إسرائيل) و هو حفيد إبراهيم الخليل، و ابن إسحاق، و كان بالرغم من صغر سنه الأكفاء بين أخوته، و لذلك اختاره الله ليكون و ريث الرساله إذ ان.

« اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » و قام ذات صباح مسرعا الى أبيه يقص عليه خبر رؤياه العجيبه. و هو آنئذ غلام مراهق مضى من عمره اثنى عشر ربيعا.

ماذا رأى؟ رأى أحد عشر كوكبا كما رأى الشمس و القمر، ثم كانت دهشته كبيره حين رآهم كأنهم يسجدون له.

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ [٥] أول نصيحه قدمها يعقوب لابنه و قبل ان يفسر رؤياه هى التحذر من أخوته الأ يحسدوه.

قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا

أى يدبروا لك سوء، والسبب أن نوازع الشر موجوده لدى البشر، والشيطان يدغدغ هذه النوازع لثيرها.

إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ و لان يوسف الأخ الأصغر لأخوته، ولأنه من أم أخرى يقال ان أسمها(راهيل) وقد توفيت، و كان يحن عليه أبوه لتعويضه عن الحنان الأمي المفقود فكان الجو مهيا لتنامى الحسد فيهم. لذلك حذر، منهم يعقوب.

و جاء فى حديث ان تظاهر يعقوب بحب يوسف كان السبب فى إثارة أخوته عليه، بينما المفروض ان يخفى الأب شدة حبه لأحد أولاده عن أنظار الآخرين لكى لا- يحسدوه و ربما كان فى تظاهر يعقوب فى حبه لابنه يوسف احترامه للخصال الكريمة التى كانت عنده، و ذلك بهدف تشجيع الآخرين على التحلى بها.

على العموم كان يعقوب يعرف مدى حسد أخوه يوسف تجاه أخيهم النَّابه و يتحذر من اثاره الحسد.

[٦] ثم فسر يعقوب رؤيا يوسف، و بين أنها تدل:

أولاً- على ان الله سوف يصطفى يوسف، و يرزقه علما بعواقب الأمور التى سماها بتأويل الأحاديث. أى معرفه ما يتول اليه الأحاديث- و كيفيه جريانها.

ثانيا: أنه سوف يتم نعمته عليه بنصرته على أعداءه كما فعل بآبائه الصالحين.

وَ كَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ عَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ
إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

يعلم ما يخفيه الناس و ما يظهرونه من نيه و عمل. فيؤتيهم بصلاح نياتهم و أعمالهم. لذلك فهو قد اجتنبى يوسف بحق، و بقيه القصة تدل على ذلك.

[٧] لقد كان فى قصص يوسف. و قصص أخوته الذين كادوا له فى البدء ثم تابوا و أصلحوا- كان للناس فيها آيات تهديهم الى طبيعه الإنسان فى كبوته أمام الشهوات، ثم تعرضه للآلام، و أخيرا توبته و إصلاح نفسه، و لكن هذه العبره ليست لكل الناس بل للسائلين منهم الذين يبحثون عن الحقيقه لإحساسهم بمدى الحاجه إليها.

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ فَمَا هِيَ تِلْكَ الْآيَاتِ؟ سوف نجد نوعين من العبر التاريخيه فى قصه يوسف و أخوته.

الأولى: ان العاقبه للمتقين، و هذا النوع يتبين لنا فى نهايه القصة فقط.

الثانيه: آيات تكشف نفسيه البشر، و طبيعه القوى المتناقضه فى ذاته، و كيف يعين الله عباده فى الأوقات الحرجه، و ما أشبه من العبر التى تستوحى من اللحظات الحساسه فى القصة. لذلك علينا أن نلاحظ فى تدبرنا لقصه يوسف هذين النوعين من الآيات المفيده للسائلين.

المؤامره:

[٨] جلس أخوه يوسف يتآمرون و قالوا: ان يوسف و أخاه من أمه أحب الى قلب أبينا منا، بينما نحن أكثر عددا منهم، و ينبغى ان نكون نحن الوارثين لأمجاد أبينا، فأبونا إذا فى ضلال مبين.

ص: ١٤٤

إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالَ بَعْضُ الْمَفْسُرِينَ مَا يَلِي: أى فى ذهاب عن طريق الصواب الذى هو العدل بيننا فى المحبه، و قيل معناه: أنه فى خطأ من الرأى فى أمور الأولاد و التدبير الدنيوى، و نحن أقوم بأمر مواشيه و أمواله و سائر أعماله، و لم يريدوا به الضلال عن الدين لأنهم لو أرادوا ذلك لكانوا كفاراً، و ذلك خلاف الإجماع (١) و يبدو ان الضلال المقصود انما هو الضلال عن الطريق القويم فى معامله أبنائه.

[٩] و إذا كان الأب فى ضلال فلا بد أن يعارضوه و يقاطعوه، و لكنهم كادوا ليوسف -أخيهم البرىء- و تأمروا على أن يقتلوه، أو ينفوه فى ارض بعيده يموت فيها.

و السبب: ان منطلقهم الفكرى كان (العنصريه) التى اوحت إليهم بأنهم ما داموا عصبه فهم أفضل من غيرهم، و هذا هو منطق القوه الذى يتكلم به كل الطغاه، و إذا كان اخوه يوسف يقيّمون أنفسهم وفق المقاييس الرساليه لعرفوا بأن صفات يوسف الرساليه أحسن من صفاتهم، فهو أحقّ بحب والدهم منهم لذلك قالوا:

أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَ تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ان اخوه يوسف حاولوا الجمع بين الدين و الدنيا، بين الحق و الباطل، فمن جهه أثارهم حسدهم و نظرتهم العنصريه الى أنفسهم. نحو قتل أخيهم البرىء، و من جهه

ص: ١٦٥

ثانيه فكروا فى أن يصبحوا صالحين فى يوم من الأيام.

[١٠] و أدرك أحدهم حنان الأخوه.

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْعُجْبِ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارِهِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ غِيَابَتِ الْجَبِّ شَبَهَ طَاقَ فَوْقَ مَاءِ الْبُئْرِ، وَيُقَالُ: إِنْ قَاتَلَ هَذَا الْقَوْلُ هُوَ (لَاوَى) مِنْ أَخُوهِ يُوسُفَ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ كَبِيرُهُمُ الَّذِي رَفَضَ مُوَاجَهَةَ أَبِيهِ عِنْدَ مَا أَخَذَ أَخَاهُمْ مِنْهُمْ عِنْدَ مَا اتَّهَمَهُ يُوسُفَ بِالسَّرْقَةِ خَدَعَهُ، وَ هَكَذَا انصَرَفُوا عَنِ قَتْلِ يُوسُفَ. وَ اجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَجْعَلُوهُ قَرِيبًا مِنَ الْبُئْرِ فِي الصَّحْرَاءِ لِأَخْذِهِ بَعْضَ الْمَارِهِ لِقَيْطًا.

و هؤلاء اخوه يوسف الذين تأمروا عليه حرما النبوه، بالرغم من توبتهم أخيرا، و أنهم الأسباب الذين انحدرت من نسلهم الأنبياء ذلك لان النبوه لا تعطى لمثل هؤلاء الذين يقومون بمعاصي كبيره فى حياتهم، فالله أعلم حيث يجعل رسالته.

ص: ١٦٦

اشاره

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعِ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيخْزُنُنِي أَنْ تَدْهَبُوا بِهِ وَ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّبُّ وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٤) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ كَتَبْنَا لَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥) وَ جَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَ تَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّبُّ وَ مَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَ لَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَ جَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨)

اللغه

١١[لا تأمنا]: لا تثق بنا.

ص: ١٤٧

هدى من الآيات:

و احكموا الخطه، و جاؤوا الى أبيهم ليلا طالين منه أن يبعث معهم يوسف فى الصباح ليتمشوا و ليلعبوا، و تساءلوا لماذا لا يؤمنهم على يوسف أو ليسا أخوته و هم له ناصحون؟! فقال يعقوب ان غياب يوسف يثير حزنى، كما يثير خوفى من الحاق ضرر به. كأن يأكله الذئب حين تغفلون عنه، و لكنهم أصرروا على طلبهم، و تعهدوا بالألأ يغفلوا عنه. كيف و هم جماعه؟! ان ذلك فقدان لعزهم و كرامتهم و لعصبتهم، فلما ذهبوا به الى الصحراء أجمعوا أمرهم على ان يجعلوه فى طرف البئر من داخلها و جاءه الوحى يخبره بأنه سوف يتغلب عليهم و يذكرهم بهذا اليوم فى الوقت الذى لا يشعرون.

و تأخروا فى العوده حتى جن الليل. و تصايحوا بالبكاء و ادعوا لأبيهم أنهم راحوا يتسابقون و تركوا يوسف يحرس متاعهم، فلما عادوا وجدوا الذئب قد أكل أخاهم و جاؤوا بقميص يوسف عليه دم كذب، و لكن الدم كشف كذب أحدوئتهم، فقال

يعقوب لهم كلا. ان ذلك أمر سؤلته لكم شهواتكم فأننى أصبر صبيرا لا جزع فيه، و لا خروج عن القيم، و أستعين بربى فى دفع المكاره.

بينات من الآيات:

[١١] جاء اخوه يوسف الى أبيهم و طرحوا عليه سؤالا محرجا.

فَالْوَالِيَاتُ إِبْنَائَهُمْ لِمَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ يبدو ان يعقوب كان يخفى عنهم علمه بحسد هم ليوسف لكى لا يسبب ذلك إعطاء شرعيه لهذا الحسد، و لكن كان يياشر أمور ابنه الصغير بنفسه، و لا يدعها عند إخوته- و هنا كان السؤال محرجا- إذ ادعى أخوه يوسف ان قلوبهم صافيه تجاه أخيهم! و على نبى الله الذى جاء رحمه لعباده ألا- يقول لمن القى اليه السلام لست مسلما. لهذا رد عليهم يعقوب بلطف، و لم يقل أنه لا يثق بهم- و هو لم يكن يثق بهم فعلا-.

[١٢] ثم بعد ان هيؤوا الجو طالبوا أباهم بأن يثبت لهم عن حسن ظنه بهم، و يبعث بيوسف معهم فى اليوم الثانى ليفرجوا عن همهم، و يتمشوا فى الصحراء و ليلعبوا.

أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعِ وَيَلْعَبُ ثُمَّ أَكْدُوا لَهُ أَنَّهُمْ سَوْفَ يَتَوَلَّوْنَ حِرَاسَتَهُ وَ حَفْظَهُ.

وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [١٣] فبرر يعقوب عليه السلام إبقاء يوسف عنده لأنه شيخ كبير، يستأنس

بيوسف، و يحزن لغيابه عنه، كما قال: بأنه يخشى عليه من الذئب، و بين لهم أنه قد يحدث ذلك و هم عنه غافلون، فلا يمكنهم الوفاء بوعدهم لعدم قدرتهم على ذلك.

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّئْبُ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ۖ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ لَمْ يَخْطُوا لِأَبْعَادِ الْمُؤَامِرَةِ جَمِيعًا، بَيِّنٌ أَنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْطَاهُمْ بِأَقْوَالِهِ تَبْرِيرًا لِفِعْلِهِمْ، فَعَرَفُوا أَنَّ الْمَنْطِقَةَ يَرْتَادُهَا الذُّئَابُ، وَ أَنَّ بِإِمْكَانِهِمْ ادِّعَاءَ الْغَفْلَةِ وَ هَكَذَا—مِمَّا يَدُلُّ عَلَى ضَرُورَةِ التَّحْذِيرِ فِي الْحَدِيثِ مَعَ الْكَاذِبِ.

[١٤] عَادُوا وَ أَكْدُوا بِشَرْفِهِمْ وَ بَعْصَبَتِهِمْ إِنَّهُمْ سَوْفَ يَحْفَظُونَ عَلَى يُوسُفَ، وَ قَالُوا كَيْفَ نَسْمَحُ لِأَنْفُسِنَا أَنْ يَتَلَطَّخَ شَرْفُنَا بِهَذَا الْعَارِ، فَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحَافِظَ عَلَى أَحِينَا الصَّغِيرِ مِنَ الذُّئْبِ إِنَّهَا خَسَارَةٌ لَسَمِعْتِنَا الْغَالِيَةَ.

قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذُّئْبُ وَ نَحْنُ عَضِيْبُهُ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ [١٥] فَذَهَبُوا بِيُوسُفَ وَ أَجْمَعَتِ إِرَادَتَهُمْ وَ عَزَائِمَهُمْ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ هُوَ جَعَلَهُ فِي دَاخِلِ الْبَيْتِ. دُونَ أَنْ يَلْقَوْهُ فِي مَائِهَا لِيَغْرُقَ، بَلْ لِيَلْتَقِطَهُ بَعْضُ السِّيَارِ—كَمَا أَوْصَاهُمْ إِخْوَةُ لَأْوَى—.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي عِيَابَةِ الْجُبِّ هُنَاكَ أَدْرَكَتْهُ رَحْمَةُ رَبِّهِ حَيْثُ جَاءَهُ الْوَحْيُ بِبَشْرِهِ بِأَنَّهُ مَنْصُورٌ، وَ أَنَّهُ سَيَأْتِي يَوْمَ بَعِيدٍ تَكُونُ الْأَيَّامُ قَدْ أَنْسَتْ هَؤُلَاءِ فَعَلَتَهُمُ الْقَبِيْحَةُ، فَيُخْبِرُهُمْ يُوسُفَ بِهَذَا الْأَمْرِ الْفُضِيْعِ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ

و بالرغم من ان محنه يوسف قد ابتدأت منذ تلك اللحظه إلا ان يد الغيب هرعت اليه لتكون بديلا عن حمايه اخوته الخائنين به،و هكذا تشتد الأمور لتنفرج بإذن الله،و يأتي بعد العسر يسر من فضل الله.

جا فى الحديث عن الامام الصادق عليه السلام قال:

«لما القى اخوه يوسف فى الجب نزل عليه جبرائيل فقال له:يا غلام!من طرحك هنا فقال:اخوتى لأبى لمنزلتى من أبى حسدونى،و لذلك فى الجب طرحونى،فقال:أأ تحب أن تخرج من هذا الجب؟ قال:ذلك إلى إله إبراهيم و إسحاق و يعقوب،فقال له:جبرائيل:فان إله إبراهيم و إسحاق و يعقوب يقول لك:قل:اللهم إئنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت بديع السموات و الأرض،يا ذا الجلال و الإكرام،أن تصلى على محمد و آل محمد،و ان تجعل لى من أمرى فرجا و مخرجا،و ترزقنى من حيث احتسب و من حيث لا احتسب فجعل الله له من الجب يومئذ فرجا و مخرجا،و من كيد المرأه مخرجا،و آتاه ملك مصر من حيث لم يحتسب» (١) [١٦]و لنترك يوسف تحوطه يد الرحمه الالهيه،و تربيه فى غيابت الجب،و يأتي أحد اخوته بطعام له،و لنعد الى البيت حيث نجد يعقوب ينتظر بفارغ الصبر عوده ابنه الحبيب،و يتأخر إخوه يوسف أكثر من العاده،فلما أسدل الليل ستاره جاؤوا الى أبيهم لعل ظلام الليل يغطى بكاءهم الكاذب.

ص: ١٧١

وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ [١٧] وَقِيلَ ان يَسْأَلُهُمْ يَعْقُوبُ عَنِ يَوْسُفَ الَّذِي لَمْ يَجِدْهُ بَيْنَهُمْ بَادِرُوهُ بِالْكَلامِ.

قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَلَكِنْ بَسَبِبْ كَذِبُهُمْ وَعَدَمَ إِيمَانِهِمْ بِمَا يَقُولُونَ بَدَرَتْ مِنْهُمْ كَلِمَةٌ أَظْهَرَتْ مَا أَخْفَوْهُ فَقَالُوا:

وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ وَ لَوْ كَانُوا صَادِقِينَ فَعَلَا لَكَانَتِ الشَّوَاهِدُ الْوَاقِعِيَّةُ الَّتِي تَكْشِفُ عَنِ صِدْقِ حَدِيثِهِمْ، وَ لَمْ يَكُونُوا بِحَاجَةٍ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ.

[١٨] وَ ذَبَحُوا ذَبِيحَةً لَطَخُوا قَمِيصَ يَوْسُفَ بِدَمِهِ، نَاسِينَ أَنَّ دَمَ الْبَشَرِ يَخْتَلِفُ عَنِ دَمِ الْحَيْوَانِ حَتَّى بَعْدَ تَخْتَرِهِ، وَ الْخَبِيرُ يَمِيزُهُ بِسَهُولَةٍ، كَمَا أَنَّهُمْ نَسُوا تَمْزِيقَ قَمِيصِ يَوْسُفَ مِمَّا عَرَفُوا أَنَّ الْعَمَلِيَّةَ كَذِبٌ بِاعْتِبَارِ الذِّئْبِ لَا يَخْلَعُ ثَوْبَ ضَحِيَّتِهِ ثُمَّ يَأْكُلُهُ.

وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً وَ

جاء في الحديث:

«ان يعقوب قال حينما رأى القميص: لقد أكلك ذئب رحيم، أكل لحمك و لم يشق قميصك» (١)

و جاء في حديث آخر:

ص: ١٧٢

«تتبّه يعقوب على أنّ الذئب لو أكله لمزق قميصه، لذلك لما ذكرهم بذلك قالوا: بل قتله اللصوص، فقال: فكيف قتلوه و تركوا قميصه و هم الى قميصه أحوج منهم الى قتله» (١) من هنا عرف يعقوب ان كيد اخوه يوسف قد أحاط به، فقال:

فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ أَيْ أَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا - بِالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ فِيمَا أَصَابَنِي مِنْ خِيَانَةِ ابْنَائِي بِي وَ بِأَخِيهِمْ، وَ كَذَبِهِمْ عَلَيَّ وَ تَأْمَرِهِمْ ضَدِي.

ص: ١٧٣

١-١) المصدر

اشاره

وَ لَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَ شَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَ كَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) وَ قَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَ كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) وَ رَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَ قَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣)

اللغه

١٩[واردهم]:الوارد الذي يتقدم الرفقه الى الماء ليستقى.

[و أسروه]:أخفوه،و يقال:أسررت الى فلان حديثا أى أفضيت اليه خفيه،و كنى عن النكاح بالاسرار لأنه يخفى،و سره البطن ما يبقى بعد القطع و ذلك لاستتارها بعكس البطن.

[بضاعه]:البضاعه المال الوافر يقتنى للتجاره،و الأصل فى الكلمه الجمله من اللحم تبضع أى تقطع،و بضعه فابتعض و تبعض كقولك قطعته فانقطع و تقطع.

٢٠[بخس]:البخس النقص من الحق،يقال بخسه فى الكيل أو الوزن إذا نقصه من حقه فيهما.

٢١[أكرمى]:الإكرام إعطاء المراد على جهه الإعظام.

[مثواه]:الثواه الاقامه،و المثوى موضع الاقامه.

٢٣]و غلقت[:التغليق أطباق الباب بما يعسر فتحه، و انما عدّد ذلك لتكثير الاغلاق أو المبالغه فى الايثاق.

[هيت لك[:أقبل و بادر.

ص:١٧٥

هدى من الآيات:

و بقى يوسف فى الجب حتى جاءت قافله تسير فى ذلك الطريق. فبعثوا واحدا منهم يجلب لهم الماء، فأدلى دلوه فى البئر، و لما ثقل الدلو بسبب تعلق يوسف به استبشر خيرا به، و زعم بأنه بضاعه حباها الله له و لكنه أسر بها لكى لا يكتشف أنه غلام حرّ و الله عليهم بعملهم.

و لكى لا يفتضح أمره بادر ببيعه بثمن بخس و دراهم معدوده، و كان الجميع يحذرون من شرائه لعدم معرفه واقع أمره، و جاؤوا به الى مصر حيث اشتراه عزيز مصر الذى قال لزوجته اكرمى مثنى هذا الغلام و احترميه، فلربما ينفعا فى حياتنا الاجتماعيه، أو نتخذه ولدا فى حياتنا الشخصيه، و تلك كانت من إرهاصات يوسف حيث مكّنه الله فى الأرض ابتداء من بيت ملك مصر بما أعطاه الله من علم بعواقب الأمور، بينما أكثر الناس لا يعلمون.

و بلغ يوسف مرحله البلوغ، فأتاه الله النبوه و العلم بسبب إحسانه السابق،

و حين بلغ مبلغ الرجال طلبت منه صاحبه البيت الفاحشه، و هيات و سائلها بغلق الأبواب. و تهيئه فرص الفاحشه و لكنه أبى بشده و استعاذ بالله من الشيطان، و قال بأن الله الذى ربانى و أحسن مثواى لا أعصيه و ان الظالمين لا يفلحون.

بينات من الآيات:

فأرسلوا واردهم:

[١٩] كم بقى يوسف فى الجب؟ ثلاثه أيام أم أكثر، و ماذا كان طعامه؟ هل كان يأتيه أحد اخوته بطعامه أم كان يكتفى بالماء، أم ان جبرائيل كان ينزل عليه الطعام لا ندرى بالضبط! انما المهم ان الله سبحانه هياً أسباب نجاه يوسف و تأديب اخوته، فجاءت قافله سياره ربما كانت تجاربه، فأرسلوا واحدا منهم يرد الماء قبل الآخريين على عاده القوافل، خشيه مفاجأه غير ساره، فلما أرسل دلوه فى البئر تعلق به يوسف، فنظر فاذا هو بـغلام ما أجمله فاستبشر به خيراً.

وَ جَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ لَقَدْ كَانَ يَوْسُفُ فِي غَايَةِ الْحَسَنِ حَتَّى

جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه و آله :

أعطى يوسف شطر الحسن و النصف الآخر لسائر الناس. (١)

و لم يبد الوارد للسياره انه قد التقطه من البئر لكى لا يجرى عليه حكم اللقيط بل اتخذه بضاعه و كتم الحقيقه عن رفاقه، بيد أن الله يعلم أن يوسف ليس عبداً، و هو يحافظ على حريره..

ص: ١٧٧

وَ أَسْرُوهُ بِضَاعَهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ [٢٠] باعوا يوسف بثمن قليل، دراهم معدوده لقلتها، و انما يعدّ الشئ القليل، و زهدوا فيه بالرغم من حسنه المفرط، و ربما السبب محاوله التخلص منه مخافه ان يفضحهم، و يبين انه ليس بعبد فيخسرون حتى هذا الثمن القليل.

وَ شَرُوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَ كَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ كانت ملامح العبد و صفاته النفسيه تختلف عن ملامح يوسف الذى كان كما

يقول الرسول فيما روى عنه: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم». (١)

لذلك زهد فيه الناس، و لكن لننظر عاقبه هذا الغلام الذى يبنده اخوته فى البئر و يزهد فيه السياره، كيف يصبح سيذا و رئيسا.

التمكين:

[٢١] جاؤوا بيوسف الى مصر حيث اشتراه سيد مصر و مليكهم ليكون مساعده فى شؤونه، أو من ولده و ولى عهده.

وَ قَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمِزْرَانِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ أَى اجعلى مكانته كريمه و ساميه عندك، فلا تستخدميه كأى عبد آخر، بل حاولى أن تربييه و تكلفيه الأعمال الهامه.

عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا

ص: ١٧٨

و هكذا أصبح الغلام الطريد الذى زهدوا فيه ابنا لعزير مصر، و هكذا مكّنه الله فى الأرض ماديا، أما معنويا فسوف يعلمه من تأويل الأحاديث حتى يعرف عواقب الأمور، و سنن الحياه و أنظمه الكون.

وَ كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّ حَوَادِثَ الزَّمَانِ تَجْرَى عَلَى غَيْرِ هَدْيٍ، وَ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ وَرَاءَ مَا يَسْمَى بِالصَّدْفِ أَرَادَهُ حَكِيمُهُ، وَ وَرَاءَ مَا يَسْمَى بِالْإِنْظَمِ وَ السَّنَنِ الطَّبِيعِيَةِ تَدْبِيرٌ رَشِيدٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَ هَكَذَا يَشَاءُ تَدْبِيرُ اللَّهِ أَنْ يَزْهَدَ فِي يُوسُفَ قَوْمِ فَيْشْتَرِيهِ عَزِيزُ مِصْرَ، كَمَا يَشَاءُ تَدْبِيرُهُ الْآيَقْتِلَ بَلْ يُوَضِّعُ فِي غِيَابَتِ الْجَبِّ، وَ أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ قَافِلِهِ تِجَارِيَهُ تَمَرٌ مِنْ هُنَاكَ مُتَجَهِّهًا إِلَى مِصْرَ، وَ هَكَذَا تَتَلَاخَقُ مَا يَسْمَى بِالصَّدْفِ، وَ الْإِتِّفَاقَاتِ حَتَّى يَصْبِحَ يُوسُفَ سَيِّدَ مِصْرَ.

[٢٢] شَبَّ يُوسُفَ وَ بَلَغَ سِنَّ الرُّشْدِ، وَ أَتَاهُ اللَّهُ النَّبُوَّةَ وَ الْعِلْمَ بِسَبَبِ إِحْسَانِهِ.

وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ يَبْدُو لِي أَنَّ بُلُوغَ الْأَشَدِّ هُوَ بُلُوغُهُ سِنَّ الرُّشْدِ.

آتِيَتْهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا الْحَكْمُ هِيَ السُّلْطَةُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي تَتَجَسَّدُ فِي النَّبُوَّةِ، بَيْنَمَا الْعِلْمُ هُوَ فَهْمُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَ مَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ مُتَغَيِّرَاتِ الْحَيَاةِ.

وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ فَلَانَ يُوسُفَ أَحْسَنَ إِلَى النَّاسِ وَ تَحْمِلُ الصَّعَابَ مِنْ أَجْلِهِمْ، فَاللَّهُ بَعَثَهُ رَسُولًا

إليهم لأن أهم صفه يحتاجها الرسول بعد الطهاره و الصدق هي حب الناس، و الإحسان إليهم.

[٢٣] طلبت أمراه العزيز من يوسف الفاحشه، و هيأت و سائلها بتزيين نفسها، و سدّ الأبواب، و دعتة الى نفسها صراحه.

[و راودته] المراوده:المطالبه بأمر بالرفق و اللين ليعمل به.

ان امرأه العزيز لم تكتف بافساح المجال امام يوسف كما هو شأن المرأه بالنسبه الى الرجل، بل طالبتة بأنواع الدلال و الغنج و الخضوع بالقول و الزينه، و استخدمت في ذلك سلطتها عليه باعتبارها سيده البيت الذي يعمل يوسف فيه، لذلك قال ربنا عنها:

الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ أَى طلبت منه أمرا صادرا عن نفس يوسف، و بتعبير آخر: طلبت منه الانتفاع بنفس يوسف لا بخدمته كما كان المفروض في مثل حاله.

وَ غَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَ قَالَتْ هَيْتَ لَكَ أَى تعال فالفرصه مهياه لك.

و لكن يوسف رفض بشده و بلا تردد.

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ اِن الله هو الذى أكرم على يوسف بالجمال و العافيه، و هو الذى هيا له المكانه

فى بىت العزىز و لىس العزىز أو امرأته. لذلك لا- ىنبغى له أن ىكفر بنعمه الله، و ىفعل الفاحشه، كما انه لا- ىفلح من ىفعل الفاحشه، لأنه ظالم لنفسه، منحرف عن الرشاد.

إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ فبالرغم من إغراء الفاحشه فى الظاهر فانها سيئه العاقبه.

ان التحرر من سلطه المالك ذى القوه كان عظىما عند يوسف بقدر التحرر من إغراء جمال زليخا و دعوته الى نفسها بذلك الإصرار، و لكن الاستعاذه بالله و تذكر نعم الله الواسعه على الفرد، كما ان تذكر العاقبه يعطى القدره على مقاومه كل إغراء و كل تهديد.

و هذا- أفضل عبره نستفيدها من هذا الدرس-.

ص: ١٨١

اشاره

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْ لَا اَنْ رَّاى بُرْهَانَ رَبِّهٖ كَذٰلِكَ لِنَضِرِفَ عَنْهُ السُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ اِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا
الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهٗ مِنْ دُبُرٍ وَّ اَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدٰى الْبَابِ قَالَتْ مَا جِزَاءُ مَنْ اَرَادَ بِاَهْلِيْكَ سُوْءًا اِلَّا اَنْ يُسْجَنَ اَوْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ (٢٥) قَالَ
هِيَ رَاوَدْتْنِيْ عَنْ نَفْسِيْ وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ اَهْلِهَا اِنْ كَانَ قَمِيصُهٗ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْكَٰذِبِيْنَ (٢٦) وَ اِنْ كَانَ قَمِيصُهٗ قَدْ
مِنْ دُبُرٍ فَكَذَّبَتْ وَ هُوَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ (٢٧) فَلَمَّا رَاى قَمِيصُهٗ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ اِنَّهٗ مِنْ كٰذِبِيْنَ اِنْ كٰذِبٌ كُنَّ عَظِيْمٌ (٢٨) يُوسُفُ اَعْرَضَ
عَنْ هٰذَا وَ اسْتَغْفِرِىْ لِذَنْبِكَ اِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخٰطِيْتِيْنَ (٢٩)

اللغة

٢٥[قَدَّت]:القد شق الشيء طولاً.

[من دبر]:من الخلف.

[ألفياً]:وجداً.[من قبل]:من المقدمة.

ص:١٨٢

هدى من الآيات:

انتهى بنا السياق عند رفض يوسف طلب امرأه العزيز، ولكن لماذا رفض بعد أن هيأت له الظروف؟ لأنه رأى برهان ربه فتذكر نعم الله عليه، وانه لا يفلح الظالمون، ويد الله أنقذت يوسف من عواقب الزنا الماديه و المعنويه لأنه كان قد أخلص لله نفسه، فأخلصه الله لنفسه، و أراد يوسف الهرب و أرادت زليخا امرأه العزيز منعه، و تعلقت بقميص يوسف من الخلف فانشق القميص، و إذا بزوجها على الباب فافتعلت تهمة، و ادعت ان يوسف أراد بها سوء، و طالبت به بأن يسجنه أو يعذبه، و قال يوسف:

انها هي التي طلبت منى الفاحشه فرفضت، و جاءت الشهاده من داخل بيتها و من أهلها أن شقّ القميص إن كان من الخلف فهي التي لحقت به و شقته، و ان كان من الامام فانه-أى يوسف-الذى حاول الاعتداء عليها، فشقت قميصه دفاعا عن نفسها، فلما نظر العزيز وجد القميص مشقوقا من الخلف و حكم عليها بالخيانة،

و امر يوسف بأن يتعد عن السوء، و أمرها بأن تستغفر لذنبها لأنها هي الخاطئة.

و هكذا أنقذ الله يوسف مره اخرى من السوء، و لو كان يوسف فرضا قد استجاب لها، و دخل زوجها عليها فماذا كان مصيرهما، أو ليس القتل..؟

بينات من الآيات:

ما هي العصمه؟

[٢٤] هل الأنبياء معصومون بذاتهم أم بإرادة الله و روح الاراده؟ لأن الأنبياء بشر يميلون بطبعهم نحو الرذيله كأى بشر آخر، يذوق جسدهم ألم الجوع و الارهاق و الضرب و العذاب، كما تتحسس قلوبهم بالم الغربه و بضغط الشهوات المكبوتة، و لكن لأنهم موقنون. و يعصمهم الله بروحه فإنهم يتجاوزون أنفسهم بسرعه، و آيات القرآن التى تعكس هذه المفارقة فى حياه الأنبياء كثيره، و لا يكاد نبى مذكور اسمه فى الكتاب يخلو عن حاله صعبه اجتازها بتوفيق الله، و لولاه و لو لا روح الايمان لتردى كأى بشر آخر- حاشا لله- يوسف واحد من هؤلاء البشر الكرام، المعصومين بروح الله، فلأنه إنسان مكتمل الشخصيه البشريه كان يهم بها، و لأنه موقن و معصوم فقد رأى برهان ربه.

و من هنا نعلم ان هم يوسف لم يتم عمليا بل كان همًا بالقوه، فلو لا برهان ربه المانع من همّه بالمعصيه لكان قد همّ بها، و التعبير القرآنى يبين بلطف عجيب هذه المفارقة فى آيه اخرى حيث يقول ربنا عن النبى محمد صلى الله عليه و آله: «وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَكَ لَقَدْ كَدَّتْ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا» (١).

ص: ١٨٤

و هنا يشير التعبير بدقه الى ذلك حيث يقول ربنا:

وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْلَا - أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ فَبَرَّهَانَ رَبِّهِ الَّذِي رَأَى بِبَصِيرَتِهِ مَنْعَهُ مِنْ إِرَادَةِ الْمَعْصِيَةِ، وَ لَكِنَّهُ مِنْ دُونِ هَذَا الْبَرَّهَانَ كَانَ يَهْمُ بِهَا وَ يَرِيدُهَا وَ أَسَاسُ الْهَمِّ: هُوَ الْعَزْمُ عَلَى الْفِعْلِ، كَمَا قَالَ رَبَّنَا:

إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَنْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ . (١)

و ربما يستخدم الهم في الأمر الذي يريده الإنسان و يجد امامه مانع منه، كما قال الشاعر:

هممت و لم أفعل و كدت و ليتني تركت على عثمان تبكى حلائله

و منه قوله تعالى: إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَ اللَّهُ وَ لِيُهِمَا . (٢)

و يبقى السؤال: ماذا رأى يوسف حتى تجاوز الفحشاء، و بتعبير آخر: ما هو برهان ربه؟ أولا: البرهان هو السلطان، و يراد به السبب المقيد لليقين لتسلطه على القلوب كالمعجزه قال تعالى: فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ . (٣)

و قال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ . (٤)

ص: ١٨٥

١-١) المائدة ١١.

٢-٢) آل عمران ١٢٢.

٣-٣) القصص ٣٢.

٤-٤) النساء ١٧٤.

وقال: أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلُوبٌ لِّهَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . (١)

و هو الحجة اليقينية التي تجلى الحق و لا تدع ريبا لمرتاب على حد تعبير تفسير الميزان.

ثانيا: ان يوسف عليه السّلام، كان صديقا أيقن قلبه ان جماله من الله، و هو الذى أعطاه القوه و مكنه فى الأرض، و أن من كفر بأنعم الله لا- يفلح، و بسبب إيمانه الصادق بهذه الحقائق أدركه فى ساعه المحنه ايمانه، و بلورت المعاناه شخصيته التي عجنت بروح الايمان و التقوى، فظهر له برهان ربه و حجته البالغه فى تلك اللحظه الشديده من صراعه مع طبيعته و مع مجتمعه المتمثل فى قوه ربه بيته، فكان كمن قد رأى البرهان واضحا أمامه.

و هكذا المؤمنون الصادقون يتذكرون ربهم كلما مرّ بهم طائف من الشيطان، و تعرضوا لتجربه صعبه فيتركون المعصيه، بينما يغط غيرهم فى غفله شامله.

ان اللحظات الصعبه فى حياه الفرد تستخرج دفائن نفسه، و خبايا ذاته، و سرائر عزيمته، فالمؤمن يزداد ايمانا، بينما غيره يفشل فى التجربه.

و من هنا كان على الفرد ان يعمل عملا صالحا ليزداد ايمانا فينتفع به فى ساعات صراعه الحاسم مع الشهوات أو ضغوط المجتمع حيث لا ينفع المرء إلا ذخائر إيمانه.

كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ و

قد جاء فى الحديث: «ان برهان ربه كانت النبوه» كما

جاء فى حديث

ص: ١٨٦

آخر: «ان زليخا قامت و ألت ثوبا على صنم كان فى البيت استعدادا لفعل الفحشاء، فقال يوسف لها: ان كنت تستحين من الصنم، فانا أحق أن أستحي من الواحد القهار» (١)

المفاجأه:

[٢٥] و تسابقا نحو الباب، و أخذت زليخا قميص يوسف تمنعه، و اشتد يوسف فشق قميصه من خلفه، و عند الباب كانت المفاجأه حيث دخل العزيز و هو سيدها المفروض عليها طاعته كزوج، فاختلفت تهمة و نسبتها اليه.

وَ اسْتَبَقَا الْبَابَ وَ قَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَ أَلْقَتْ سَِيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
أى هل جزاء المعتدى على شرف أهلك غير السجن و التعذيب.

[٢٦] و ردّ يوسف التهمه بقوه.

قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي .

فهى التى طلبت منى الفاحشه فلم استجب، و كان هناك شخص ثالث من أهل المرأه عرف القصه و قضى بأنه لو كان شقّ القميص من خلف فهى المسؤوله لأنها التى أخذت قميصه من الخلف و الا فهو المسؤول.

وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

ص: ١٨٧

(١-١) البرهان ج ٢ ص ٤٢١.

[٢٧] وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ أَىٰ أَنهَا هِيَ الْكَاذِبَةُ وَهُوَ الصَّادِقُ.

[٢٨] وَنَظَرَ السَّيِّدُ فَإِذَا الْقَمِيصُ قَدْ شَقَّ مِنْ خَلْفٍ.

فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِ كُنَّ إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ أَىٰ أَنَّ الَّذِي حَدَّثَ ابْتَدَأَ مِنَ النِّسَاءِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُنَّ ذَوَاتُ كَيْدٍ عَظِيمٍ.

وَالكَيْدُ هُوَ طَلَبُ الشَّيْءِ بِمَا يَكْرَهُهُ، كَمَا طَلَبَتِ الْمَرْأَةُ يُوسُفَ بِمَا يَكْرَهُهُ وَيَبْدُو أَنَّ فِي الْآيَةِ إِشَارَةً إِلَىٰ أَنَّ ابْتِدَاءَ الْفَاحِشَةِ مِنَ الْمَرْأَةِ، إِذْ أَنَّهُ فَتَنَهُ لِلرَّجُلِ، وَعَلَيْهَا أَلَّا تَظْهَرَ فَتْنَتَهَا عَلَيْهِ.

[٢٩] ثُمَّ وَجَّهَ الْعَزِيزُ خُطَابَهُ إِلَىٰ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَمَرَهُ بِالسَّكُوتِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْقَضِيَّةِ وَعَدَمِ فَضْحِ امْرَأَتِهِ بِمَا فَعَلَتْ، وَكَتَفَىٰ بِدَعْوَتِهَا بِالِاسْتِغْفَارِ لِخَطئِهَا.

يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنِ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكَ إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ وَيَبْدُو مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ الْفَاحِشَةَ كَانَتْ شَائِعَةً فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ، وَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ قَبِيحَةً إِلَىٰ تِلْكَ الدَّرَجَةِ بِسَبَبِ سَلْبِ الْغَيْرِ مِنْهُمْ، وَإِلَّا فَكَيْفَ يَسْكُتُ الزَّوْجُ عَمَّا رَأَىٰ مِنْ زَوْجَتِهِ رَأَىٰ الْعَيْنُ مِنْ مَرَاوِدِهَا، بَلْ يَأْمُرُ الْفَتَىٰ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْأَمْرِ وَعَدَمِ مَطَالِبَتِهَا بِعِقَابِهَا.

ص: ١٨٨

اشاره

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ لَمَّ يَسْتَأْذِنُ لِيَسِيْرَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَاسْتَبَجَبَ لَهُ وَرُبَّ فَصْرَفٍ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ أَصِيبُ إِلَيْهِنَّ وَ أَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَّرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤)

اللغه

٣١] و اعتدت]:اعتدى مأخوذ من العتاد، و مثله اعتدت.

٣٣] أصب]:الصبا دقه القلب.

ص: ١٨٩

هدى من الآيات:

كنا مع يوسف و قد افترض أمر ربه بيته عند زوجها، و ها نحن نجد قصه حبها ليوسف قد شاعت فى المدينه، و صارت النساء يعاتبن امرأه العزيز على عشقها ليوسف لضلالتها، و سمعت بالإشاعات، و بادرت بدعوتهن الى مائده، و أعطت كل واحده منهن سكينا، و أمرت يوسف بالخروج عليهن، فأدهشن يوسف بجماله و جلاله، فأكبرنه و قطعن أيديهم بالسكاكين، و ابعدن يوسف عن الفاحشه، و قلن بأنه ليس بشرا بل هو ملك كريم، و تدخلت فى الحديث و أجابت عن عتابهن بقولها:

ان ذلكن هو ما لمتنى فيه، و اننى فعلا قد راودته عن نفسه لجماله الخارق و لكنه استعصم و امتنع بالله عن الفاحشه، و ليسجن لو لم يفعل و ليهان، و عاد يوسف يرد التهديد بان السجن أحب اليه من الفاحشه، و اعتصم بالله من كيدهن، و اعترف بضعفه البشرى امام فتنتهن، و انه لا يقاومها من دون عصمه الله و دفع الله عنه كيدهن و هو السميع لدعاء عباده العليم بما يضمرون.

و هكذا اعتصم يوسف عن فتنه نساء أهل مصر فى تلك الحقبه التى يبدو انهن قد تعرضن فيها للفساد الخلقى.

بينات من الآيات:

فى مهب الفساد:

[٣٠] يبدو ان المجتمع المصرى كان قد تعرض آنئذ لموجه فساد عريضه و جاءت قضيه يوسف تفضح الحاله المترديه التى بلغها المجتمع، و كانت كالكشفه التى قصمت ظهر بعير الفساد المثقل بالذنوب.

لقد كان حديث المجالس عندهم الفساد الخلقى. إذ انتشر نبأ مرأه العزيز ليوسف فتاها، و العامل فى بيتها كالنار فى الهشيم.

وَ قَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ أَي تَطْلُبُ مِمَّنْ يَعْمَلُ عِنْدَهَا الْفَاحِشَةَ لِيَفْجُرَ بِهَا.

قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا اى دخل حب يوسف شغاف قلبها، و استولى على فؤادها، و إذا كان المجتمع سليما من الناحيه الخلقيه إذا لم يرض بإشاعه الفاحشه، و نشر أنباء الفساد.

إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ يبدو ان النسوه كن يرين ضلاله امرأه العزيز لا لأنها تفعل الفاحشه، بل بسبب هبوطها الى مستوى فعل الفاحشه مع فتاها و هو من عنصر آخر غير عنصرهم.

[٣١] و عرفت امرأه ملك مصر ان النسوه يتآمرن ضدها، و يتخذن من قصه

عشقها وسيله للحط من شأنها، فأرادت أن تورطهن في حب يوسف لتتنقذ نفسها من المشكله، فأرسلت إليهن و هيأت لهن مائده، و اعطت لكل واحده منهن سكيناً، و أمرت يوسف بأن يدخل عليهن.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا مَكْرًا لَغْوًا: هُوَ الْفِتْلُ بِالْحِيلِ إِلَى مَا يَرَادُ، وَ انما سميت الاشاعه التي بثتها النسوه حولها مكرًا لأنهن أردن شيئاً آخرًا من الاشاعه. ربما إسقاط هيبتها أو محاوله الوصول الى يوسف، و معرفه سبب ولها بها.

أما المتكأ: فهو الوساده و هي كناية عن المائده أو لا أقل المجلس الطويل الذي يستراح اليه، و تدل الآية على وجود شىء يؤكل و يهوى قبل الأكل بالسكين.

وَ آتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَّ وَ هَكَذَا خَرَجَ يَوْسُفُ عَلَى النَّسْوَةِ فِي وَقْتِ انشغالهن عنه بالطعام.

فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتَهُ أَي عَظَّمْتِ يَوْسُفَ أَيَّمَا تَعْظِيمٍ، بِجَلَالِهِ وَ جَمَالِهِ.

وَ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ فَأَخَذْنَ يَجْرَحْنَ أَيْدِيَهُنَّ بِسَبَبِ الانشغال بجمال يوسف.

وَ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا أَي ان يوسف منزه عما ينسب اليه، و نزاهته انما هي لله بل انه ليس ببشر.

إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ إِذَا فَالتَعْيِيرَ الَّذِي تَعْرَضَتْ لَهُ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ بِسَبَبِ مَرَاوِدَتِهَا لِفَتْهَا حَتَّى قَالَتْ عَنْهَا النِّسْوَةُ أَنِهَا فِي ضَلَالٍ مَبِينٍ. لَمْ يَكُنْ فِي مَوْقِعِهِ أَبَدًا. إِذْ أَنَّهُ أَرْفَعُ مِنْ مَسْتَوَى الْبَشَرِ، فَكَيْفَ يَحْسَبُ فَتَى عَامِلًا فِي بَيْتِ الْعَزِيزِ - كَمَا كَانُوا يَزْعُمُونَ -.

[٣٢] وَاسْتَفَادَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ مِنَ الْوَضْعِ وَ أَجَابَتْ عَنْ تَعْيِيرِهَا لَهَا.

قَالَتْ فَذَلِكَ الَّذِي لُمْتَنِي فِيهِ إِنْ هَذَا هُوَ سَبَبُ تَعْيِيرِ كُنْ لِي، فَهَلْ يَعْتَبِرُ مَنْ يَعِشُقُ مِثْلَ هَذَا الْفَتَى.

وَ لَقَدْ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ أَي أَنَّهُ طَلَبَ الْعِصْمَةَ مِنَ اللَّهِ حَتَّى لَا يَفْعَلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ.

وَ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمُرُهُ لَيُشْجَنَنَّ وَ لَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاعِرِينَ وَ هُنَا أَرَادَتْ زَلِيخَا إِنْ تَأَخَذَ الشَّرْعِيَّةَ مِنَ النِّسْوَةِ لِفَعْلِهَا، وَ يَبْدُو أَنَّ النِّسْوَةَ قَدْ أُعْطِيَتْهَا تِلْكَ الشَّرْعِيَّةَ مِمَّا دَلَّ عَلَى مَدَى الْفَسَادِ الْمُنْتَشِرِ فِي ذَلِكَ الْمَجْتَمَعِ الْجَاهِلِيِّ، حَيْثُ أَنَّهُ يُسْمَحُ لَامْرَأَةٍ تَحِبُّ الْفَجُورَ أَنْ تَسْجَنَ فَتَى بَرِيئًا لِمَجْرَدِ طَهَارَتِهِ وَ اسْتِعْصَامِهِ بِاللَّهِ عَنِ الْفَحْشَاءِ.

السجن أحب الي:

[٣٣] وَ يَبْدُو أَنَّ النِّسْوَةَ اخْتَلَيْنِ بِيُوسُفَ الْوَاحِدَةَ تَلُو الْآخَرَى بِحُجَّةِ السَّعْيِ وَرَاءَ اقْنَاعِهِ بِقَبُولِ كَلَامِ سَيِّدَتِهِ، وَ لَكِنَّهُنَّ عَرْضْنَ لِيُوسُفَ الْفَجُورَ بِهِنَّ، وَ الشَّاهِدُ هُوَ قَوْلُ يُوسُفَ الَّذِي ضَاقَ بِهِنَّ ذُرْعًا، وَ تَوَسَّلَ بِاللَّهِ أَنْ يَنْقِذَهُ مِنْ أَيْدِيهِنَّ وَ لَوْ كَانَ بِالسَّجْنِ.

قَالَ رَبُّ السُّجُنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَ بَدَل ان كانت المشكله واحده فقط أصبحت الآن متعدده، حيث ان الفساد الذى كان شائعا فى تلك البيئه قد أحاط بشخص يوسف عليه السلام، و لكن كانت تلك حكمه بالغه لله حيث ان تحدى يوسف عليه السلام و هو فتى اشترى للخدمه، و طالبته سيدات مصر للفاحشه بما فيهن من جمال و شهره، ان تحديه للفساد، و للضغوط المختلفه هز المجتمع الجاهلى من الاعماق و أثار فيهم التساؤلات إذا فوق قيمه ماده.

قيمه اسمى هى قيمه الايمان. إذا فنحن على خطأ. إذ كيف يرفض هذا الفتى هذا العرض المغرى، أم كيف يتحدى هذه الضغوط الهائله، فيعرض نفسه للسجن و الإهانه؟ لقد كانت الإغراءات كبيره إلى درجه نرى يوسف عليه السلام ذلك الفتى الصديق يستعين بالله منها و يقول:

وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَضْبُ إِلَيْهِنَّ وَ أَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ اى: ان لم تدركه رحمه الله و عصمته يكاد يميل إليهن و يصبح جاهلا بذلك، أو يفعل الفحشاء.

[٣٤] و أنقذه الله تعالى فى الوقت المناسب و أعطاه القوه الكافيه لمقاومه جاذبيه ماده الثقيله و من ثم التحليق فى سماء القيم.

فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ و هكذا يصرف الله تعالى عن المؤمنين الصادقين كيد شياطين الأنس و الجن، و يعطى الفرد عصمه عن الذنوب بعد ان يطلب الفرد ذلك من ربه.

ثُمَّ يَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَ جُنْتَهُ حَتَّى حِينِ (٣٥) وَ دَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَيَايَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ
 الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأًا بِنَاوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا
 نَبَأْتُكُمَا بِنَاوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَ اتَّبَعْتُ
 مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ
 النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبِ السَّجَنِ أَرَأَيْتَ إِنْ آتَاكَ مُتَّفَرِّقُونَ خَبْرًا أَمْ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ
 سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
 لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يَا صَاحِبِ السَّجَنِ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا وَ أَمَا الْآخَرُ فَيُضِئِلِبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ
 تَسْتَفْتِيَانِ (٤١)

هدى من الآيات:

بعد ان تحدى يوسف عليه السلام ضلاله المجتمع و فساده العريض لم يسعهم الا سجنه، و لكن يوسف اتخذ من السجن منطلقا للدعوة، فحين دخل معه فتيان وجدا عنده مظاهر المحسنين، فسألاه عن حلمين ترآى لأحدهما: انه يعصر العنب ليصنع منه الخمر لمولاه، بينما ترآى للآخر: انه وضع على رأسه خبزا تأكل الطير منه و وعدهما يوسف عليه السلام بتأويل ما رأياه قبل ان يأتيهما طعام، و لكنه قبلئذ ذكرهم: بأن معرفته بالتأويل هى مما علمه ربه، و ذلك بسبب رفضه لدين المشركين، و مقاومته لكفرهم بالله و اليوم الاخر، و اتباعه لآبائه المؤمنين إبراهيم و إسحاق و يعقوب عليه السلام، و هكذا أوضح لهم انه من سلاله النبيين، و انه أمر الا يشرك بالله شيئا، و التوحيد فضل من الله عليهم و على الناس و لكن أكثر الناس لا يشكرون ربهم باتباع الرساله.

ثم ذكرهما بأن التوحيد دين الوحده، و ان الأرباب المتفرقين ليسوا سوى أسماء ليس وراءها حجه حقيقه، انما السيادة و الحق لله. و انه امر أن تستوى هذه السيادة

على عرش الحياه الاجتماعيه،و ان هذا هو الدين القيم الذى لا عوج فيه،بينما أكثر الناس لا يعلمون.

و هكذا اعطى يوسف عليه السلام درسا فى رساله لصاحبيه فى السجن قبل ان يفسر لهما الرؤيا.

بينات من الآيات:

قرار السجن:

[٣٥]بعد ان عرفوا ان يوسف عليه السلام لن يرضخ لفسادهم،و انه يتحدى ضغوطهم بقوه ايمانه،و انه يفضح واقعهم الذى تردوا اليه دون ان يشعروا.بعدئذ قرروا سجنه لفته معينه.ايغالا فى الظلم و الفساد.

ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ

برنامج السجن:

[٣٦]و أنقذ الله يوسف عليه السلام من عذاب الأغراء ليمتحنه هذه المره بالسجن الذى يقال ان يوسف كتب على بابه يوم خرج منه:(هذا مقبره الأحياء.اللهم لا- تمنعه أخيار الأرض)فلننظر كيف واجه الصديق هذه المحنه؟لقد دخل معه السجن شخصان آخران يبدوا ان كلا منهما كان أيضا مثله من الفتيان العاملين فى بيوت الأشراف من الذين عصوا أوامرهم الجائره،فرج بهم فى السجن،و دار بينهما و بين يوسف حوار رسالى.

وَ دَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا أَى ارى نفسى و كأنى أعصر عنبا ليصبح خمرا.

و السؤال المطروح هو ان الرؤيه هذه هل كانت فى المنام أم كانت من أحلام اليقظه التى هى الاخرى دليل على إرهافات الحقيقه التى يشعر بها الفرد أحيانا، و يسمى عاده بالتفاؤل أو التشاؤم،أو الحس السادس..أو ما أشبه.

فى بعض الأحاديث ان صاحب الخمر كان صادقا و هو الذى نجى،بينما كان صاحب الخبز كاذبا فى رؤياه،و سواء صادقا أم لا فان ما رأياه كان صورته عن الحقيقه التى سوف تقع.راها أحدهما فى المنام و تخيلها الثانى فى اليقظه،و القرآن سكت عن كيفيه الرؤيا و اكتفى بقوله: «إِنِّي أَرَانِي» الذى ينطبق على حاله الحلم كما فى حاله اليقظه.

وَ قَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتُهَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نُرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ لَقَدْ اسْتَعْلَى يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجُودَهُ فِي السِّجْنِ عَمَلِيًّا وَقَوْلِيًّا، فَهُوَ يَبْلُغُ لِرِسَالَتِهِ بِالْقَوْلِ، وَ لَكِنَّهُ لَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ بَلْ جَسَدَ رِسَالَةَ السَّمَاءِ فِي سَلُوكِهِ عَمَلِيًّا شَأْنَ كُلِّ الدَّعَاةِ الصَّادِقِينَ لَقَدْ كَانَ يَبْكِي عَلَى امْتِدَادِ الْوَقْتِ، وَ يَجْتَهِدُ فِي الضَّرَاعِ، وَ يَتَبَتَّلُ إِلَى رَبِّهِ بِصَلَوَاتِهِ الْخَاشِعَةِ وَ فِي فِتْرَاتِ فِرَاغِهِ كَانَ إِذَا ضَاقَ عَلَى رَجُلٍ مَكَانَهُ وَسِعَ لَهُ، وَ انْ حَاجَ جَمَعَ لَهُ، وَ انْ مَرَضَ قَامَ عَلَيْهِ لِذَلِكَ انْجَذَبَ إِلَيْهِ الْمُعْتَقَلُونَ، وَ اعْتَقَدُوا بِأَنَّهُ صَاحِبُ فَضْلٍ عَلَيْهِمْ وَ قَالُوا لَهُ:

« إِنَّا نُرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ».

[٣٧] قال يوسف عليه السلام قبل ان يأتيكما الطعام الذى هو مخصص لكم اما من البيت أو من إداره السجن سوف انبثكما بتأويل رؤيا كما.

قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا

و بعد ان وعدهما بتأويل رؤياهما قريبا.أخذ يبلغهما رسالات ربه.ابتداء من نفسه حيث كان معروفا عندهما بالإحسان و الفضل فقال لهما:

اولا:انه رسول من الله.

ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي فَلَقَدْ عَلِمَهُ اللَّهُ تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ.

ثانيا:انه حنف عن الشرك الذى اتخذه قومه مله لهم،و رفض طريقه قومه و ملتهم،و ثار على نظامهم الثقافى و الاجتماعى.

إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ان طريقه هذه الجماعه ليست المثلى لأنها قائمه على أساس الكفر و إنى ارفضها رأسا.

[٣٨]ثالثا:اما المله المثلى فى طريقه آبائى-إبراهيم و إسحاق و يعقوب- و هكذا بين يوسف عليه السلام انه من سلاله النبوه.

وَ اتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ ان طريقه هؤلاء قائمه على أساس التوحيد،و رفض كل أنواع الشرك،و كل ألوان العبوديه و الطاعه لغير الله.

مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ فالتوحيد ليس فقط واجب الهى مقدس،بل و أيضا نعمه كبرى على البشرية.

ص:٢٠١

حيث انه يعنى التحرر من عبوديه الطاغوت و عبوديه المال و الشهوات. و لكن أكثر الناس لا- يشكرون الله فى الأيمان بهذه النعمه.

[٣٩] رابعا: بين يوسف عليه السلام لصاحبيه و زميليه فى السجن الذين تقاسما و إياه المعاناه و الأذى. ان أكثر الحروب و الصراعات الاجتماعيه، و الخلافات الهدامه انما هى نتيجه مباشره للشرك. حيث ان كل فريق يعبد صنما من دون الله، و يطيع ربا مختلفا عن رب الآخرين، فكل يعبد صنم أرضه و إقليمه و قومه و عشيرته و حزبه. فيختلفون.

يا صاحبي السجن أ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار [٤٠] خامسا: بين ان الأصنام التى تعبد من دون الله تعالى ان هى الا انعكاس لأوضاع و حالات انحرافيه فاسده داخل المجتمع أو النفس، و ليست لها قدسيه أو واقعيه حقه.

ان صنم الإقليميه انعكاس لضيق الأفق، و شذوذ الفكر، و محدوديه الرؤيه، فهو إذا اسم سماه الإنسان و ليس حقا أنزله الله، و هكذا صنم الوطنيه و العنصريه و الشوفينيه و القومييه.. و كل الأصنام الباطله. إنها أسماء اخترعها الإنسان انعكاسا لواقعه الفاسد، و ليس تعبيرا عن الحقيقه.

ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم و آبؤكم ما أنزل الله بها من سلطان نعم هنالك أسماء و رموز ينزل الله بها سلطانا فتكتسب الشرعيه من الله. مثل الرسول و خليفته، و صاحب الفقه و العداله، و كل القيادات الشرعيه التى تطاع بأذن الله و باسم الله. لا بأذن الشعب أو باسم الأصنام.

ذلك لان الولاية الحق لله، و الحاكميه و السيادة و الملكوت لله سبحانه، فكل حكم لا يستند الى الله و الى حاكميته. بأن لا يكون بإذن الله، و لا يهدف اقامه حكم الله فهو حكم باطل و زائل.

□ □
إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ فَلَأَنَّ الْوِلَايَةَ الْحَقَّ لِلَّهِ فِي الْكُونَ، ففِي مَجَالِ التَّشْرِيعِ وَ فِي الْوَأَقَعِ السِّيَاسِيِّ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْحَاكِمُ مِنْ خَلَالِ خَلِيفَتِهِ وَ رِسَالَتِهِ.

□ □ □
أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمْ يَأْذَنْ لِلسُّلْطَةِ إِلَّا بِأُذْنِهِ. وَ لَمْ يَبِيحِ الْحُكْمَ كَمَا أَبَاحَ -مَثَلًا- خَيْرَاتِ الْأَرْضِ وَ بِتَعْبِيرِ فِقْهِى: الْأَصْلُ فِي نَعْمِ اللَّهِ الْإِبَاحَةَ وَ الْحَلِيَةَ، فَالْبَشَرُ حُرٌّ فِي الْإِنْتِفَاعِ إِلَّا إِذَا جَاءَ نَصٌّ بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَ لَكِنْ الْأَصْلُ فِي السُّلْطَةِ هُوَ الْعَكْسُ تَمَامًا. أَيْ لَيْسَ لِبَشَرٍ أَنْ يَطِيعَ بَشَرًا فِي سُلْطَةِ الْآخَرِ بَعْدَ التَّثَبُّتِ مِنْ وَجُودِ نَصٍّ.

□ □ □ □
ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ أَيْ هَذَا هُوَ النُّهْجُ السَّلِيمُ لِلْحَيَاةِ. إِلَّا يَطِيعُ أَحَدٌ أَحَدًا إِلَّا بِأُذْنِ اللَّهِ، وَ لَيْسَ يَدِينُ أَحَدًا بِسِيَادَةِ الطُّغَاةِ أَوْ السُّكُوتِ عَنْهُمْ. وَ حَاكِمِيهِ الْفِرَاعِنَةُ وَ الرِّضَا بِهَا. مِنْ هُنَا نَعْرِفُ مَدَى دَلَالَةِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ الدِّينَ هُوَ السِّيَاسَةُ. وَ السِّيَاسَةُ هِيَ الدِّينُ.

لذلك تجدهم يفصلون الدين عن السياسة، و يقول فرعونهم: لا دين في السياسة و لا سياسة في الدين، و يقول هامانهم: لا دخل لرجال الدين في السياسة، و يقول قارونهم: اننا نريد رجال دين لا يتدخلون في السياسة.

و جمهور الناس يسعون من أجل فصل الدين عن السياسة تحت تأثير التضليل

الأعلامى، و بسبب انهم يستصعبون مسئوليات الدين و السياسه، و يريدون الاكتفاء بالطقوس الدينيه السهله.

[٤١] و بعد ان بين هذه الحقائق لهما.فسر رؤياهما قائلاً:

يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا أَى يَعود الى سيده، و يصبح ساقياً له فيسقيه الخمر كما وجد فى الرؤيا.

وَ أَمَا الْآخَرُ فَيُضَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ أَى يقتل و تجلس الطيور الجارحه فوق رأسه لتأكله.

قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَشْتَفِيَانِ أَى انتهى القضاء فيما سألتما الى هذه النهايه و لا عوده فيه.

ص: ٢٠٤

اشاره

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُيُوفَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ (٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّهُ أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُيُوفَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِتُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ (٤٩)

اللغة

٤٤[أضغاث]:الأضغاث الأحلام الملتبسه.

[دأبا]:دأب في عمله يدأب دؤبا إذا اجتهد.

٤٨ [تحصنون]: تحرزون و تدخرون.

ص: ٢٠٦

مقدمه التمكين فى الأرض

هدى من الآيات:

و خرج الفتیان من السجن. أحدهما الى الحريره، و الثانى الى المشنقه، فاستغل يوسف عليه السلام نجاه أحدهما، فطلب منه العمل من أجل نجاته بيد ان الشيطان أنساه ذكر ربه، فبقى فى السجن عده سنين بسبب نسيان الله و التوسل بعبده، و حين قضى الله مده سجنه قدر الله له النجاه و ذلك بأن رأى الملك فى منامه سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزال، و رأى بجنبها سبع سنبلات خضر و سبع سنبلات يابسات، فجاء الى كبار أصحابه يستفسرهم عن رؤياه فقالوا: إنها أحلام مختلطه ببعضها و لسنا بعالمين بها، و كان صاحب يوسف حاضرا فتذكر، بعد فتره طويله، فطلب إرساله الى يوسف عليه السلام و طلب منه تفسير رؤيا الملك لينقلها اليه فقال يوسف عليه السلام: ان أمامكم سبع مواسم خيره تعقبها سبع مواسم شحيحه، و هكذا تأكل السنين السبع التاليه ما كانت فى السنين السابقه من نعمه، أما السنه الأخيره. فهى سنه الاستغاثه. حيث يعصر الجوع الناس عصرا، و هكذا وفر الله ليوسف أسباب النجاه.

ص: ٢٠٧

[٤٢] خرج الشخص الذى فسر يوسف رؤياه بالنجاه. و استغل يوسف المناسبه، و طلب منه ان يرفع مظلمته عند الملك، و كان عليه ان يتوسل بالله فى ذلك لا بالسجين الناجى أو الملك لأنه رسول الله الذى ينبغى ان يقطع صلاته الشخصيه بالناس جميعا، و يمحض الله إخلاصه.

وَ قَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ لِمَاذَا اسْتخدم الْقُرْآنَ تَعْبِيرَ الظن. أو لم يقل ربنا سابقا: ان الله قد علمه تأويل الأحاديث؟ فى الاجابه قال صاحب المجمع: ان معنى الآية أى للذى علم من طريق الوحي انه ناج متخلص، كما فى قوله تعالى: «إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ» هذا قول الأكثرين و اختيار الجبائى. و قال قتاده: للذى ظنه ناجيا لأنه لم يحكم بصدقه فيما قصه من الرؤيا و الأول أصح. (١)

و لكن - يبدو لى - ان الظن هنا بمعناه الأصلي و هو التصور و التخيل الذى يوهم بعدم وجود علم ثابت بذلك، و السبب ان يوسف عليه السلام لم يكن يضمن المستقبل لأن الله قد يشاء شيئا آخر، فلربما مات الشخص أو تغير نظام الملك، أو بدى لله فى شأنه و عاد به الى السجن، أو الى الاعدام، و مناسبه الظن بما بعده هى ان يوسف عليه السلام كان موقنا بأن الله سبحانه ارحم الراحمين، و انه يستجيب له دعاءه بينما كان يظن بنجاه

صاحبه ظنا،و كان ينبغي ان يتوسل بالله قبل توسله بذلك الشخص لأن الله اولى باليقين من رؤياه حول الشخص التي لو صدقت لتجاوزت حدود الأقدار،وقضاء الله فوق قدره و إرداته فوق سنته سبحانه و تعالى.

و لكن الشيطان اعجل يوسف.حيث ان مشكلات السجن رفعتة الى التسرع بالتوسل بالبشر دون ربه.

فَأَنسَأَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ليربيه رَبِّهِ عَلَى الْإِخْلَاصِ التام في عبادته سبحانه.

رؤيا الملك:

[٤٣]و بعد ان قضى مده سجنه التي حددها الله له من بعد نسيان ذكر ربه -و التي طالت سبع سنين حسب ما جاء في الأخبار- بعدئذ هيا الله له وسيله نجاته بحلم رآه الملك.

وَ قَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ اى هزال.

وَ سَبْعَ سُثَلَاتٍ خُضْرٍ وَ أُخْرَى يَابِسَاتٍ وَ أَرَادَ مِنْ كِبَارِ مُسْتَشَارِيهِ تَفْسِيرًا لِرُؤْيَاهِ الْغَامِضِ.

يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ اى ان كنتم تفسرون ما يراه النائم في حلمه.

[٤٤]و لكنهم حين عجزوا عن تفسير رؤياه الغامضه.قالوا بأنها أفكار مختلطه

و ليست رؤيه للحقيقه.

قَالُوا أَصْدَغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ الضغث: الحزمه من كل شىء، وقيل بأنه الخلط، وقالوا: والحلم بكسر الحاء ضد الطيش و هو الاناه، وكان أصل حلم النوم عن هذا لأنه حال أناه و سكون.

و يبدو ان الحلم غير الرؤيا، فهو كل ما يراه النائم من آثار نفسه و تخرصاتها.

مفاتيح الرؤيا:

[٤٥] و كان فى حاشيه الملك صاحب يوسف فى السجن الذى تذكر الآن رؤياه فى السجن، و تعبیر يوسف الصادق له.

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّهُ أَي تَذَكَّرَ بَعْدَ مَرُورِ وَقْتٍ طَوِيلٍ، قالوا: انها سبع سنين.

أَنَا أُتَّبِعُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ أَي ابْعَثُونِي إِلَى يَوْسُفَ لِأَتِيَكُمْ بِتَأْوِيلِهِ.

[٤٦] فبعثوه الى يوسف فى السجن، فطلب منه تفسير رؤيا الملك بعد ان نقله له.

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ عبر عنه بالصدیق لما رأى منه من آيات الصلاح فى السجن، و لما جرّبه شخصيا فى تعبیر رؤياه و نجاته.

أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَ سَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ

ص: ٢١٠

يَا بَنَاتِ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ يبدو ان صاحب يوسف عرف انه يحب خدمه الناس بينما يكره الطغاه، لذلك لم يقل: لعلى ارجع الى الملك بل قال (الى الناس).

[٤٧] و عبر يوسف رؤيا الملك، بما اهتز له أركان المجتمع، فبين لهم: ان امامهم سبع سنين من الرفاه و الوفرة، و لكن عليهم ان يستعدوا فيها لسبع سنين جدباء، فكلما حصدوا أكثر من حاجتهم من القمح احتفظوا به و هى فى السنابل لمجابهه أيام القحط التى تنتهى بسنه صعبه يتوافد عليهم الناس من كل مكان طلبا للقمح.

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا اى تجتهدون سبع سنين فى الزراعه، و يبدو ان الشعب المصرى كان فى عز حضارته فى تلك السنين.
فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ فِي سُبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ اى اعملوا كثيرا، و كلوا قليلا، و حافظوا على ثرواتكم للمستقبل، و هكذا نصح يوسف قوم مصر بأفضل الحكم الحضاريه.

[٤٨] ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ اى تأتى سبع سنين شديده جدباء تأكلون فيها ما جمعتم فى سنين الرخاء.

مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ و عبر يوسف عليه السلام بالسنين و كأنها حيوانات تأكل خيرات السنين الماضيات للإشاره إلى الرؤيا، و أن السنه تشبه البقره التى رآها ملك مصر فى نومه.

إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ فَهُوَ الْوَحِيدَ الْبَاقِيَ لَكُمْ.

الحصن هو: الحرز، و يبدو ان يوسف أشار عليهم بضرورة المحافظه على اتاجهم فى سنين الرخاء بصوره جيده.

[٤٩] و أشار لهم عن السنه الأخيره التى انعكست فى الرؤيا فى صوره سبع سنبلات خضر و أخر يابسات، و هى سنه القحط الشديد التى يتوافد فيها الناس الى مصر طلبا لشراء الطعام.

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعِيدٍ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَ الْعُوْثُ: هو نفع يأتى بعد شده الحاجه، أو نفع يأتى لدفع ضر شديد، و يبدو ان معناه قريب من رفع ضرر الجوع، و منه أطلقت كلمه الغيث على المطر.

وَ فِيهِ يَعْصِرُونَ أَي يَلْتَجُونَ طَلْبًا لِلطَّعَامِ.

ص: ٢١٢

اشاره

وَ قَالَ الْمَلِكُ ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الي ربك فسيئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكى يدهن عليم
 (٥٠) قال ما خطبك إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امراه العزيز الان حصي حص الحق انا
 راودته عن نفسه و انه لمن الصادقين (٥١) ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب و ان الله لا يهدي كيد الخائنين (٥٢) و ما أبرئ
 نفسي ان النفس لاماره بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم (٥٣) و قال الملك ائتوني به استخلصه ل نفسي فلما كلمه قال
 انك اليوم لدينا مكين امين (٥٤) قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم (٥٥) و كذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوا
 منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء و لا نضيع اجر المحسنين (٥٦) و لاجر الآخره خير للذين آمنوا و كانوا يتقون (٥٧)

اللغه

٥١[خطبك]:الخطب الأمر الذي يعظم شأنه فيخاطب الإنسان فيه صاحبه.

[حصحص]:اشتقاقه من الحصه أى بانث حصه الحق وجهته من حصه الباطل.

٥٢[كيد]:الكيد الإقبال سرا لإيصال الضرر الى الغير.

٥٤]استخلصه]:الاستخلاص طلب خلوص الشيء من شائب الاشتراك كأنه يريد أن يكون خالصا به.

[مكن]:المكين من المكانه، و أصله التمكن فى الأمر.

٥٦]يتبوء]:التبوء اتخاذ منزل يرجع اليه و أصله من باء ييوء إذا رجع.

ص:٢١٤

هدى من الآيات:

و عاد الرسول الى الملك، يحمل معه تعبير الرؤيا، فلما سمعه الملك دعا يوسف، فلما جاء الرسول يدعوه أبى يوسف ان يخرج من السجن بعفو بل بإثبات براءته و ادانه الذين اتهموه، وهكذا عاد الرسول الى الملك الذى أعاد الملف، و سأل النسوة اللاتي قطعن أيديهن هل كان يوسف مذنباً، فكررن كلمتهن الشهيره (قلن حاشا لله) ما علمن عليه من سوء، و هنالك اعترفت امرأه العزيز انها هي التي راودته عن نفسه.

و هكذا أرسل يوسف الى الملك تلك الرسالة لاثبات براءته، و انه لم يخنه فى غيبته عنه، و ان الله لا يهدى كيد الخائنين، و لكن دون أن يبرئ نفسه من كل زله و غطاء إذ ان النفس اماره بالسوء، و لكن الله هو الذى يعصم عباده المؤمنين، و انه غفور رحيم.

و هكذا بعد أن ثبتت براءته التامه. أراد الملك أن يستخلصه لنفسه، و يجعله وزيراً

له، و طلب يوسف أن يجعله على أموال الدوله لأنه حفيظ لا يخون، و عليم بالأمر لا يجهل.

و هكذا مكنّ الله ليوسف في الأرض برحمته الواسعه لأنه كان من المحسنين، و هذا أجر الدنيا، و أجر الآخره خير للذين آمنوا و الذين يتقون ربهم.

بينات من الآيات:

الآن حصص الحق:

[٥٠] صاحب يوسف في السجن عاد الى الملك يحمل اليه بشاره حل اللغز الذي أعجز الملأ- من قومه بما فيهم من كبار العلماء، فأمر الملك بإحضار يوسف عنده.

وَ قَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ و لكن يوسف أبى الحضور عند الملك، إلا بعد ان يثبت عنده براءته، و بعد إثبات فساد نظامه الذي يلقي بشخص في السجن بضع سنين من دون محاكمه أو إثبات للتهمه.

فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ أَى جَاء صاحبه اليه.

قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَنِعْمَ لَهُ مَا بَالَ النُّسُوءِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ و احتج يوسف على الملك بالنسوه اللاتي شهدن له أول يوم بالبراءه و الطهر، و استشهد بهن على زوجه العزيز التي اتهمته بالفجور، كما ذكرهم بربهم العليم بكيدهن.

إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ

يبدو أن كل النسوة اشتركن في المؤامرة ضد يوسف، لذلك اتهمن يوسف، و ذكر الملك ان الكيد الشيطاني لا يدوم.

و

جاء في حديث ظريف مأثور عن النبي صلى الله عليه و آله انه قال بهذه المناسبه:

«لقد عجبت من يوسف و كرمه و صبره-و الله يغفر له-حين سئل عن البقرات العجاف و السمان،و لو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترط أن يخرجوني من السجن،و لقد عجبت من يوسف و صبره و كرمه-و الله يغفر له-حين أتاه الرسول فقال إرجع الى ربك و لو كنت مكانه و لبثت في السجن ما لبث، لأسرعت الاجابه و بادرتهم الباب و ما ابتغيت العذر-انه كان لحليما ذا أناه-»
(١) [٥١] و هكذا بقى يوسف فى السجن الى أن يتم التحقيق فى سبب سجنه، و استحضر الملك النسوة و سألهن عن سبب تقطيع أيديهن، و هل كان ذلك بسبب فعل يوسف لشيء-حاشاه-،و لم يحرن جوابا،فاعترفن بحقيقه الأمر،و ان يوسف كان نقى الجيب،و انهن دونه طلبن الفاحشه.

قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَوْتَنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ أَى هَلْ بِسَبَبِ أَنَّهُ كَانَ أَهْلًا لِهَذَا.

قُلْنَا حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ لَقَدْ كَانَ نَظِيفًا لِّلْغَايَةِ،وَ اسْتَعْذَنَ بِاللَّهِ مِنْ إِتْهَامِ يُوسُفَ بِسُوءٍ،فَلَمَّا شَهِدْنَا بِالْأَمْرِ اضْطَرَّتْ أَمْرَاهُ الْعَزِيزُ إِلَى الْإِعْتِرَافِ هِيَ الْآخَرَى.

ص: ٢١٧

قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ اى الآن ظهر الحق و أبان عن الباطل.

أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ فَأَنَا وَ لَيْسَ هُوَ الَّذِي طَلَبَ مِنِّي الْفَجُورَ.

[٥٢] و قال يوسف عليه السلام -و هو يؤكد براءته امام عزيز مصر- انما اطلب منه التحقيق مجددا، ليعلم انى برىء، و أننى لم أخن الملك فى بيته و هو غائب عنه.

ذَلِكَ لِيُعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَ ان الخائن كانت امرأته التى لم يوفقها الله، بل أظهر حقيقتها للناس.

وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَ الكيد: الحيله، و الله لا يوفق الخائنين فى حيلهم و مكرهم.

[٥٣] ثم أكد يوسف عليه السلام ان كلامه لا يعنى انه من انصاف الآلهه، و انه ليس من جنس البشر، و ان الذين يعملون السيئات هم من الشياطين. كلا.. بل إن النفس لأماره بالسوء، و ان السقوط فى احوال الرذيله ليس بعيدا عن طبيعه البشر، و انما يعنى ان التمسك برسالات الله و التسلح بقوه الايمان و التقوى يمنع من هذا السقوط.

وَ مَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي فرحمه الله تعطى الإنسان قدره كبيره للتغلب على النفس الأماره بالسوء.

إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ

ص: ٢١٨

المؤمن يدركه الله في الظروف التي يتعرض فيها للضغوط الاجتماعية أو النفسية كما فعل سبحانه يوسف الذي أحاطت به أسباب الرذيله الاجتماعيه. حيث هددته زوجته العزيز بالسجن، وكذلك عواملها النفسية حيث عرضت امرأه شابه جميله نفسها عليه و هو في عنفوان شبابه، حيث الشهوه الجنسيه فى أوجها، ولكنه نجا من الرذيله برحمه الله حيث قال: «وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ».

[٥٤] و بعد ان ثبتت براهه يوسف عليه السلام امام الملك طلبه لكي يصبح من المقربين اليه.

وَ قَالَ الْمَلِكُ اَنْتَوْنِي بِهْ اَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي، اَسْتَعِينْ بِهْ فِي اُمُورِي، و يبدو ان الكلمه توحى بمفهوم الوزاره عندنا.

و جاء يوسف عليه السلام تحدث معه الملك، فعرف رشد عقله، و اكتمال شخصيته من خلال كلامه.

«فالمرء مخبوء تحت لسانه» كما جاء فى الحديث، لذلك حوّل اليه المناصب الهامه.

فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ اى ذا مكانه ثابتته، و انا نثق بك.

[٥٥] و لكن يوسف عليه السلام لم يكتف بذلك، و لم يفرح بالتحول الفجائى الذى حدث عنده من السجن، الى الوزاره، بل سعى من أجل الوصول الى خطته البعيده المدى.

قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ اى طالب بما يسمى بوزاره المالىه، و اداره البنوك لأنه عرف ان المشكله الاساسيه فى الدوله هى مشكله القحط الذى سوف يصابون به، و عليه من جهه العمل من أجل حل هذه المشكله، و ان يسعى من جهه اخرى نحو هدايه الناس من خلالها.

و بين أنه أفضل فرد تحوّل اليه شؤون المال و هو صاحب علم و امانه، فبعلمه يخطط و بأمانته يعمل دون فساد.

إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمَ [٥٦] و قبل الملك ذلك، فلما امتلك يوسف عليه السلام سلطه المال فى الدوله نشر سلطته الى سائر المرافق، و تمكن فى الأرض بفضل ربه الذى جازاه على إحسانه.

وَ كَذَلِكَ مَكَدًا لِيُوسِفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ اى بنشر سلطته فيها فى اى مجال يريد بسبب علمه و أمانته و سلطته المالىه.

نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ذَلِكَ لِأَنَّ الْأُمُورَ بِيَدِ اللَّهِ، و الله سبحانه اجرى فى الدنيا نوعين من الأنظمه:

النوع الاول: الانظمه الطبيعه، مثل السعى و الحكمه و الصبر و الاستقامه.

النوع الثانى: الانظمه الغيبيه مثل الايمان و التقوى و الإحسان، و يوسف تقدم من خلال تطبيق هذين النوعين من الأنظمه، فمن جهه عمل بحكمه و أناه و استقامه، و من جهه ثانيه قاوم الشهوات، و اتقى ربه، و أحسن الى الناس.

وَ لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

ان الإحسان الى الناس يتضاعف بإذن الله ليعود إليك في يوم قريب أو بعيد.

[٥٧] وجزاء المؤمن في الدنيا شاهد على جزائه الأوفى في الآخرة، وان الله سبحانه لا يخلف وعده معه.

وَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [□] وهكذا نستوحى من هذه الآيات ان أسباب التقدم الغيبية هي التقوى و الايمان و الإحسان بيد ان الإحسان أشد و أسرع أثرا في أمور الدنيا.

و

جاء في حديث مأثور عن الامام الرضا عليه السلام :

«و اقبل يوسف على جمع الطعام فجمع في السبع السنين المخصبه، فكبسه في الخزائن، فلما مضت تلك السنون، و اقبلت المجديه اقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم في السنه الاولى بالدرهم و الدينار حتى لم يبق بمصر و ما حولها دينار و لا درهم إلا صار في مملكه يوسف، و باعهم في السنه الثانيه بالحلى و الجواهر حتى لم يبق بمصر و ما حولها حلى و لا - جواهر، الا - صار في مملكته، و باعهم في السنه الثالثه بالدواب و المواشى حتى لم يبق بمصر و ما حولها دابه و لا ماشيه، الا صارت في مملكته، و باعهم في السنه الرابعه بالعبيد و الإماء حتى لم يبق بمصر عبد و لا امه الا صار في مملكته، و باعهم في السنه الخامسه بالدور و العقار حتى لم يبق بمصر و ما حولها دار و لا عقار الا صار في مملكته، و باعهم في السنه السادسه بالمزارع و الأنهار حتى لم يبق بمصر و ما حولها نهر و لا مزرعه الا صار في مملكته، و باعهم في السنه السابعه برقابهم حتى لم يبق بمصر و ما حولها عبد و لا حر الا - صار عبد يوسف، فملك احرارهم و عبيدهم و أموالهم، و قال الناس ما رأينا و لا سمعنا بملك أعطاه الله من الملك ما اعطى هذا الملك حكما و علما و تدبيرا».

ثم قال يوسف للملك: «ايها الملك ما ترى فيما خوّلنى ربى من ملك مصر

و أهلها؟! اشر علينا برأيك فاني لم أصلحهم لأفسدهم، و لم انجهم من البلاء لأكون بلاء عليهم، و لكن الله أنجاهم على يدي قال له الملك الرأي رأيك.

قال يوسف: اني اشهد الله و أشهدك -ايها الملك- اني قد أعتقت أهل مصر كلهم و رددت عليهم أموالهم و عبيدهم، و رددت عليك ايها الملك خاتمك و سريرك و تاجك على الا تسير الا بسيرتي و لا تحكم الا بحكمي.

قال له الملك ان ذلك لزيني و فخري ألا أسير إلا بسيرتك، و لا أحكم الا بحكمك، و لولاك ما قويت عليه و لا اهتديت له، و لقد جعلته سلطانا عزيزا لا يرام، و انا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، و انك رسوله، فأقم على ما وليتك، فانك لدينا مكين أمين». (١)

و

جاء في خبر:

«ان يوسف عليه السلام كان لا يمتلئ شبعاً من الطعام في تلك الأيام المجده فقيل له: تجوع و بيدك خزائن الأرض، فقال عليه السلام: أخاف ان أشبع فأنسى الجياع»

ص: ٢٢٢

اشاره

وَجَاءَ إِخْوَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٥٨) وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٥٩) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُوا سِرًّا أَرَادَ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا فَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَنَا وَنَزِدُّكَ ذِكْرًا كَثِيرًا بِعِيرٍ ذَلِكِ كَيْلٌ يَسْتَوِيرُ (٦٥) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦)

اللغة

٥٩ [جهزهم بجهازهم]: اجهاز البيت متاعه، و جهزت فلانا هيات جهاز سفره.

٦١ [سراود عنه أباه]: نصرفه عن رأيه.

٦٢ [بضاعتهم]: ثمن ما اشتروه من الطعام.

[رحالهم]: الرحال جمع و هى الاوعيه، و مفردھا رحل، و أصله الشئ المعد للرحيل من وعاء المتاع و مركب البعير.

٦٣]نكتل]:يقال كلت فلانا أى أعطيته الشىء كيلا و اكتلت عليه أخذت منه.

٦٤]آمنكم]:الأمّن اطمئنان القلب الى سلامه الأمر.

٦٥]و نمير]:الميره الأطمعه التى تحمل من بلد الى بلد،و يقال مرتهم أميرهم ميرا إذا أتيتهم بالميره.

[موثقا]:عهدا مؤكدا باليمين.

ص:٢٢٤

هدى من الآيات:

و مضت السنون الاربعه عشر السمان فالعجاف، و جاء عام الاغاثه، و ضاعت الحياه بأهل فلسطين و سعى اخوه يوسف الى مصر-
فيمن سعى-للحصول على نصيبهم من المؤونه لقاء ما عندهم من سلع أو نقود.

فلما وردوا مصر دخلوا على أخيهم، فعرفهم يوسف دون أن يعرفوه، و أمر بأن يهيا لهم نصيبهم ثم قال لهم ائتوني بأخ لكم من
أبيكم، أ فلا تجدوني انى أوفى الكيل و أحسن الضيافه، و إلا فلا أعطيك نصيبه و لا أقربكم الى نفسى، قالوا سنحاول ذلك مع
أبيه، و قبل أن يرحلوا أمر يوسف بأن يجعل السلعه التى جاؤوا بها فى رحالهم لعلهم يعرفونها، فيعودون الى مصر دون أن يمنعهم
قله الزاد أو خشيه الجفاف، فلما عاد اخوه يوسف قالوا لأبيهم ان الكيل قد منع منا حتى تبعث معنا أخانا نكتل له، و انا له
لحافظون، و عاد يعقوب يذكرهم بمصير أخيهم يوسف بعد أربعين عاما، و قال هل آمنكم عليه كما آمنتكم على أخيه يوسف من
قبل؟! ثم

قرر أن يتوكل على الله بعد أن عرف من أبنائه التوبه و الصدق، فقال: الله خير من يحفظ و هو أرحم الراحمين.

ثم حين فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم قد ردت إليهم، فقالوا لأبيهم ماذا نطلب لقد ردت إلينا بضاعتنا، و انا نسعى من أجل الحصول على الطعام لأهلنا، بالاضافه الى كيل نأخذه لآخينا و هو كيل يسير بالنسبه لحاجتنا الماسه، قال أبوهم:

كلا.. لن أرسله معكم حتى تأتونى بوثيقه و عهد من الله بإعادته الّى إلّا.. إذا لم تقدروا على ذلك، فلّمّا أعطوه الموثق قال يعقوب: الله على ما نقول و كيل.

و هكذا بعد اليمين المكرّر أذن الشيخ لابنه العزيزه بالرحيل مع اخوته طلبا للمايره.

بينات من الآيات:

بعد أربعين عاما مرت على قصه الجب:

[٥٨] أربعون عاما مرّ على قصه الجب، و يوسف ذلك الغلام المتوهج جمالا- و اناقه قد أصبح اليوم رجلا- عركته المآسى و الولايات، و جلس على أريكه الملك بملابسه الزاهيه. كل ذلك مع هيبه السلطنه منعت اخوته من معرفته، أما يوسف فقد عرفهم بسرعه لأنهم كانوا رجالا حين تركهم.

وَجَاءَ إِخْوَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَ هُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ قَبْلَ أَرْبَعِينَ عَامًا نَبَذَ هَؤُلَاءِ أَخَاهُمْ يَوْسُفَ مُنْكَرِينَ لَهُ، فَقَطَعُوا رَحْمَهُمْ، بَيْنَمَا هُوَ وَصَلَ رَحْمَهُ، وَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْأَمْرِ هُوَ أَنْ يُجَازِيَهُ اللَّهُ بِالْمَلِكِ وَ الْمَعْرِفَهُ وَ يُجَازِيَهُمْ بِالْحَاجَةِ وَ الْجَهْلِ.

[٥٩] و بعد أن أعدّ لهم ما جاؤوا من أجله من طعام، استدريجهم يوسف بحديثه

حتى اعترفوا له أنّ لهم أخا من أبيهم، و من زوجه ثانيه لأبيهم لا- يصاحبهم، فطلب منهم أن يأتوا به، و قال: انى لا أريد ظلمه أو ظلمكم، و لكنى أريد الخير لكم. أ فلا- ترون انى أوفى الكيل و أحسن الضيافه؟! وَ لَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِ بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفَى الْكَيْلِ وَ أَنَا خَيْرُ الْمُتْرَلِينَ وَ يبدو من هذه الآيه ان يوسف أعطى لأخوته مقدارا من الطعام و منع عنهم مقدارا.

[٦٠] و بعد أن رغبهم فى عطائه الجزيل. هددهم أنه لو لم يأتوا بأخيهم فانه سوف يمنع عنهم الكيل.

فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَ لَا تَقْرَبُونِ أَى فى المستقبل.

[٦١] اخوه يوسف الذين اذهلتهم المفاجاه و عدوه بتنفيذ أمره، و محاوله اقناع والده بالأذن له بالمجىء.

قَالُوا سَرَّأَوْدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَ إِنَّا لَفَاعِلُونَ [٦٢] و لكن يوسف لم يرض بأن يأخذ منهم أموالهم التى جاؤوا بها لأخذ الميره، بل أمر غلماناه بأن يجعلوا بضاعتهم فى أمتعتهم لكى يعرفوا أنها لهم، و لكى يكون لديهم دافع للمجىء الى مصر مره اخرى.

وَ قَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

إذا عرفوا بضاعتهم عرفوا ان الملك رحيم بهم، فلا يخشون ظلمه فيعودون اليه.

[٦٣] وقطعوا تلك المسافه الطويله قافلين الى أبيهم، فلما تلقاهم أبوهم قالوا له ان ملك مصر منع عنا الكيل فلم يعطنا كل حصتنا من الطعام، و طالبنا بإحضار أخينا من أبنائنا، فأرسله معنا لكي نأخذ نصيبنا و انا سوف نحفظه.

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [٦٤] و أعاد يعقوب عليهم قصتهم مع يوسف، و كيف فرطوا فيه.

قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَأَنْتُمْ لَا تَحْفَظُونَ عهدكم، و لكن لا آمنكم عليه، بل اترك الأمر الى الله، و اجعله حافظا له فهو أفضل حافظ، و خير راحم لعباده.

فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ [٦٥] و كانت المفاجأه عند ما فتحوا أمتعتهم ليجدوا فيها بضاعتهم التي اشتروا بها الطعام، فأنند ازدادوا إلحاحا على أبيهم بالسماح لأخيهم بالسفر معهم.

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي أَي ماذا ننتظر أكثر من هذا، لقد أوفى الكيل، و ردت البضاعه إلينا.

هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ثُمَّ شَرَعُوا فِي تَشْجِيعِ أَبِيهِمْ عَلَى الْأُذْنِ لِأَخِيهِمْ بِالسَّفَرِ مَعَهُمْ.

وَ نَمِيرُ أَهْلَنَا أَي نَأْتِي بِالطَّعَامِ لَهُمْ.

وَ نَحْفَظُ أَخَانَا وَ نَزْدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ حَيْثُ انْ كُلُّ وَاحِدٍ كَانَ يَكَالُ لَهُ بِقَدْرِ حَمَلِ بَعِيرٍ.

ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ أَي مَيْسُورُ الْحَصُولِ، حَيْثُ بِاسْتِطَاعَتِنَا جَلْبَهُ بِسَهُولِهِ.

[٦٦] وَ لَانَ قَلْبُ يَعْقُوبَ، لَكِنَّهُ طَلَبَ مِنْهُمْ تَعَهْدًا أَكِيدًا بِإِعَادِهِ أَخِيهِمْ إِلَيْهِ.

قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ أَي تَتَعَهَّدُونَ لِي بِذَلِكَ تَعَهْدًا دِينِيًّا..

لَتَيَأْتِنَنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ تَرُدُونَهُ عَلَيَّ إِلَّا- عِنْدَ مَا تَغْلِبُونَ عَلَيَّ أَمْرَكُمْ، فَلَا- تَقْدَرُونَ عَلَيَّ ذَلِكَ فَفَعَلُوا، فَاذَنْ يَعْقُوبُ لَهُمْ بِاصْطِحَابِ ابْنِهِ الَّذِي تَسَلَى بِهِ عَنِ يَوْسُفَ.

فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَ كَيْلٌ فَاللَّهُ وَ كَيْلٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ عَلَيَّ هَذَا الْأَمْرَ.

انَّ اللَّهَ ابْتَلَى يَعْقُوبَ مَرَّةً بِغِيَابِ يَوْسُفَ فَصَبَرَ، وَ ابْتَلَاهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ بِغِيَابِ ابْنِهِ بَنِيَامِينَ شَقِيقِ يَوْسُفَ فَصَبَرَ أَيْضًا بِالرَّغْمِ مِنَ التَّجْرِبَةِ السَّابِقَةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ مِنْ أَبْنَائِهِ إِخْوَةَ يَوْسُفَ الَّذِينَ رَمَوْا بِهِ فِي غِيَابِ الْجُبِّ، وَ هَكَذَا تَجَاوَزَ يَعْقُوبُ حَسَاسِيَّتَهُ

النفسيه لما رأى ضروره عقلانيه لبعث ابنه العزيز عليه مع اخوته، و هكذا جعل اللّٰه ذلك وسيله لانتهاء محنته الطويله.

و من جهه اخرى يتلى اللّٰه اخوه يوسف مره ثانيه بذات المشكله السابقه تقريبا ليحرب مدى صدقهم فى ادعاء التوبه، و لكي يجزيهم بسوء أعمالهم السابقه.

ص: ٢٣٠

إشارة

وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَ لَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَكُدُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨) وَ لَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحِيلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَدَّانَ مُؤَدَّنًا أَيْتَهَا الْغَيْرِ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَ أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ (٧١) قَالُوا نَفَقْتُمْ صُوعَ الْمَلِكِ وَ لِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَ مَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥)

اللغة

٦٩[آوى]:يقال آوى منزله،ياوى أويا إذا صار إليه.

[تبتئس]:الابتئاس الاغتمام و اجتلاب البؤس و الحزن.

٧٠[السقايه]:الإناء التى يسقى منها و هو من السقى،وقيل السقايه و الصواع واحد.

[العير]:القافله.

٧٢[زعيم]:كفيل و الزعيم أيضا القائم بأمر القوم و هو الرئيس.

ص:٢٣٢

هدى من الآيات:

و بعد ان أخذ يعقوب موثقه من أبنائه بعث معهم أخاهم، و أوصاهم بألا يدخلوا فى مصر من باب واحد ليمنع عنهم الشر لو كان قد خطط ضدهم به، و أكد ان هذا الاجراء لا يقاوم قضاء الله، و ان الحكم لله، و ينبغى ان يتوكل عليه المتوكلون، فذهبوا و لما وصلوا مصر دخلوا حسبما أمرهم أبوهم- اى من أبواب شتى- و لكن البلاء قد قدر لهم. نعم استطاع يعقوب بذلك ان يمتحن عمليا مدى طاعتهم بالغيب له.

فلما دخلوا عليه اقترب يوسف عليه السلام الى أخيه من امه و كشف له السر، و أمره بألا يحزن بما كانوا يعملون من الأذى به، و لما جهزهم جعل الكيل فى امتعه أخيه من امه، ثم نادى منادى الدوله: أيتها العير انكم لسارقون، و كانت تلك مفاجأه ثانيه بالنسبه إليهم. حيث أسرعوا الى المنادى، و قالوا له: ماذا تفقدون؟ قالوا نفقد كيل الملك و حددوا جائزه لمن كشف عن السارق و هى حمل العير، و أكد يوسف عليه السلام على انه

كفيل بإعطاء ذلك الكيل لأهميته عند الناس في سنى المجاعه. قال اخوه يوسف و هم يحلفون بالله لم نأت لكى نفسد فى الأرض أو نسرق،فسألهم:ماذا لو وجد الكيل عند واحد منكم،و ما هو جزاؤه؟قالوا ان السارق سوف يكون شخصا جزاء جريمته،و بإمكان السلطه ان تأخذه عبدا لما اقترفه،و هكذا تأمرنا قوانين بلادنا، و هكذا تم ليوسف ما أراد حيث وجد مبررا لإبقاء أخيه عنده.

بينات من الآيات:

قاعده امنيّه:

[٦٧] قبل ان يرحل أبناؤه عنه أوصاهم يعقوب ألا يدخلوا مصر من باب واحد بل من أبواب شتى.

وَ قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَ ادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَ السُّؤالُ لِمَاذَا؟ هل خشى عليهم من العين الحاسده. حيث انهم كانوا ذوى هيئه و جمال، و كانوا مجموعه اخوه من أب واحد متحدين، أم أراد ان يجرب مدى طاعتهم له و هم بعيدون عنه، أم انه خشى عليهم من السلطه التى طلبتهم باصطحاب أخيهم؟ يبدو من السياق ان الاحتمال الأخير أقرب الى ذلك لأن يعقوب أكد لهم ان مثل هذا الاجراء لا يحفظهم عن الله، و ان قدره الله محيطه بهم، و بسلطات مصر، و على الإنسان ان يتحذر من مكر أعدائه، و لكن دون ان يترك التوكل على الله الذى يعطيه الشجاعه و التواضع و السعى الدائم الأفضل قال يعقوب:

وَ مَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ

أى ان تدبير الأمور فى الحياه بيد الله سبحانه.

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ عَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ اى ليس من الصحيح ان يعتمد أحد على ذكائه أو حذره و خططه بل على الله.

[٦٨] و هكذا انفصل اخوه يوسف عن بلدهم، و دخلوا مصر من أبواب متفرقه مثلما أمرهم أبوهم، و كانت خطه ملك مصر أسبق من خطه والدهم، فلقد خطط يوسف للإبقاء على واحد منهم من أجل استدراجهم الى مصر، و هكذا غلب التوكل الحذر.

و لَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَهُ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهُ ۗ تِلْكَ الْحَاجَةُ هِيَ امْتِحَانُهُمْ، أَوْ دَفْعَ الْحَسَدِ عَنْهُمْ، أَوْ الْمَحَافِظَةَ عَلَيْهِمْ وَ الْاطْمِئْنَانَ عَلَى سَلَامَتِهِمْ.

و بالرغم من ان التوكل يغلب الحذر، فأن على البشر الا يترك الحذر، و هكذا يمدح الله يعقوب على الانتفاع بعلمه و وصيته لأبنائه بأخذ الحيطه بالرغم من ان ذلك لم ينفعهم شيئا بعد ان هبئت أسباب بقائهم بمصر.

وَ إِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لَقَدْ كَانَ يَعْقُوبُ عَالِمًا اسْتِفَادَ مِنْ عِلْمِهِ الَّذِى عَلَّمَهُ رَبُّهُ، وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ، فَلَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا.

لقاء الأخوين:

[٦٩] و دخلوا على يوسف فقرب أخاه بنيامين، و أسر إليه بأنه هو يوسف صاحب

الجب، لكي لا يحزن للخطه التي سوف يطبقها عليه.

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَقَدْ كَانَتْ آثَارُ الْحَزْنِ بَادِيَةً عَلَىٰ بَنِيَامِينَ لَيْسَ فَقَطْ لَمَّا فَعَلُوا بِشَقِيْقِهِ يُوْسُفَ مِنْ قَبْلِ، انْمَا أَيْضَا بَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ مِنَ التَّمْيِيزِ. فطمانه يوسف و دعاه الى ترك الحزن.

[٧٠] ولأجل الإبقاء على أخيه جعل الكيل الذي يكتال به و الذي سماه القرآن مره بالسقايه لأنه كان يسقى به، و مره بالصواع لأن الكيل كان بقدر صاع، جعله في امتعه أخيه.

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ.

[٧١] و كانت دهشتهم بالغه من هذه التهمه الكبيره، لذلك اجتمعوا اليه و هم يسألون عما فقد.

قَالُوا وَ أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ [٧٢] قَالُوا نَفَقَدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَ لِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ فَبِكِفَالَتِي سِيحْصَلُ الَّذِي يَدْلُنَا عَلَىٰ مَكَانِ الْكَيْلِ عَلَىٰ حِمْلِ بَعِيرٍ مِنَ الطَّعَامِ.

[٧٣] ففتبراً أخوه يوسف من هذه التهمه، و حلفوا بالله: أنهم لم يهدفوا الفساد فى الأرض و السرقة حين جاؤوا الى مصر. انما جاؤوا لطلب الميره كما تدل على ذلك

شواهد حالهم، أما أحوالهم السابقة فلم تكن لهم سوابق السرقة.

قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ يُقَالُ: ان أخوه يوسف أعادوا إليه ما وجدوه في رحالهم. زعما منهم بأنه قد وضع خطأ، وانهم حينما دخلوا مصر سدّوا أفواه دوابهم لكي لا- تأكل من زرع الناس احتياطا على دينهم و كل ذلك دفعهم الى الاعتقاد بان ملك مصر و ملائه على يقين بصلاحتهم، و براءتهم عن تهمة السرقة.

عقاب السرقة:

[٧٤] و قبل ان يستخرج يوسف الصاع من رحل أخيه بنيامين. سأل اخوته عن جزاء السارق في دينهم، و كان هذا أسلوبا جديدا في الحكم ان يعترف المجرم بحكم الجريمة لو ثبتت عليه:- قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ [٧٥] كان و لا يزال جزاء السرقة مختلفا عند الشعوب باختلاف الظروف المعيشية، و لأن السرقة خرق للنظام الاقتصادي القائم و للقوانين الاجتماعية الحاكمة، فلا بد ان يكون عقابها متناسبا مع ذلك النظام و تلك القوانين، و في مصر حيث الرخاء كانت السرقة خروجا على العرف الاجتماعي و جزاؤها الضرب و السجن، بينما في فلسطين ذلك اليوم حيث القحط كانوا يستعبدون السارق بقدر سرقة لأن السرقة كانت بهدف أخذ حقوق الناس و لدوافع اقتصادية.

لذلك تجدهم يحددون جزاء السارق حسب بلدهم.

قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ

ای فان السارق بذاته سوف یصبح جزاء سرقتہ.

كذلك نَجْزِي الظَّالِمِينَ و تمت لیوسف خطته التي استهدفت الإبقاء علی أخیه عنده.

ص: ۲۳۸

اشاره

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧) قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (٧٩) فَلَمَّا اسْتِيسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَسَأَلَ الْقُرَيْبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢)

اللغه

٧٧]فأسرها]:كتمها.

٨٠]خلصوا نجيا]:انفردوا للتناجى و التشاور و المناجاة،المشاورة و الاختفاء فى الكلام.

[فلن أبرح]: لن أفارق.

ص: ٢٤٠

هدى من الآيات:

فلما اعترفوا بجزاء السارق. امر بتفتيش أمتعتهم، و لكن بدأ برحالهم، ثم فتح امتعه أخيه و استخرج الصاع منها، و حق له ان يحتفظ بأخيه عنده جزاء سرقاته، بينما لم يكن بإمكانه حسب انظمه الملك ان يفعل ذلك الا ان الله علمه خطه حكيمه، و هكذا يتفاضل الناس فى العلم بما يعلمهم الله سبحانه.

و لكى يبرءوا ساحتهم قالوا بأنه ليس شقيقنا، و ان شقيقه يوسف كان قد سرق هو الآخر، فكتم يوسف الحادثه فى نفسه، و اكتفى بان قال لهم: كلا-. أتم شر مكانا بما تتهمون شخصا غير حاضر، كما توافقون على تهمة غير ثابتة بحق أخيكم، و الله اعلم بما تقولون!! و لكنهم لم يقدرؤا على فصل مصيرهم عن مصير أخيه بعد ان أخذ منهم أبوهم الميثاق، فتوسلوا بالعزير للعفو عنه لمكان والده العجوز، و طلبوا منه ان يأخذ أحدهم مكانه، و لكنه رفض و قال: انه ظلم ان نستعبد غير السارق، أما هم فتنكبوا جانبا

و تناجوا بينهم، فذكرهم كبيرهم بعهدة الإلهي مع أبيهم، و بما فعلوا سابقا بيوسف، و قال: اني سأبقى هنا حتى يسمح لي أبي، أو يحكم الله لي و هو خير الحاكمين، و أمرهم بأن يعودوا الى أبيهم، و يقولوا له ان ابنك سرق، و لكننا لا نشهد ضده الا بقدر ما علمنا من ظواهر الأمور دون ان نعلم الغيب، و بإمكانك ان تسأل أهل مصر، أو تسأل القوافل المسافره. و انا لصادقون.

بينات من الآيات:

استخراج السقايه:

[٧٦] بدء يوسف يفتش اوعيه اخوته من أبيه التي كانت مليئه بالحنطه بتهمه وجود الكيل داخلها، و لم يفتش متاع أخيه الا أخيرا، فوجدوا الصاع فيه.

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبِيلَ وَعِآءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعِآءِ أَخِيهِ أَي اسْتَخْرَجَ السَّقَايَةَ مِنْ أَمْتَعِهِ أَخِيهِ مِنْ أَمَةِ بَنِيَامِينَ، وَ أَمَّا فَعَلَ كُلَّ ذَلِكَ مَبَالِغَةً فِي السَّرِيَّةِ، وَ أَحْكَامًا لِلخَطِّهِ.

كَذَلِكَ كَذَّبْنَا لِيُوسُفَ أَي هَكَذَا عَلِمْنَا يَوْسُفَ الخَطِّهِ وَ الكَيْدِ: كُلُّ فَعْلٍ لَا يَعْرِفُ الْآخَرُونَ هَدَفَكَ مِنْهُ الَّذِي قَدْ يَكُونُ الْإِضْرَارُ بِهِمْ أَوْ الْإِنْتِفَاعُ مِنْهُمْ دُونَ مَعْرِفَتِهِمْ بِوَجْهِهِ.

و لم يكن باستطاعه يوسف و هو عزيز مصر ان ينفذ قانونا اجتماعيا يرعاه ملك مصر. ان يظلم الناس، و يستعبد الذين جاؤوا لشراء الطعام الا بالكيد الذي علمه الله.

مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

و لقد شاء الله ان يأتى بعائله يوسف الى مصر، فعلم يوسف هذه الخطه، و اجرى مشيئته على يد وليه الصالح يوسف عليه السلام و هكذا نعلم ان محتوى الأحكام الشرعيه و الحكم البالغه التى هى وراء سن الأحكام، و تشريع الأنظمه و ان الله كلف الأنبياء بقدر عقولهم، فمنهم من فرض عليه التقيد بحرفيه الأنظمه الشرعيه كسائر الناس، و منهم من أوجب عليه العمل وفق الغايات الساميه التى يوحى بها إليهم الله، ليحققوا مشيئته الله كالأنبياء و الأئمه و العلماء الذين بدورهم يختلفون فى درجاتهم، و على الأقل علما منهم ان يهتدى بنور الأكثر علما، و الله يرفع من يشاء بحكمته و علمه ممن هم أصلح من غيرهم.

نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

خَبْرُ التَّهْمَةِ:

[٧٧] فور ما تراءى لهم ان أخاهم قد سرق نسوا عهدهم مع والدهم يعقوب بإعاده أخيهم بنيامين اليه سالما، و نسوا ما فعلوه بأخيهم يوسف، فاذا بهم يؤكدون تهمة أخيهم، و يتبرءون منه، و يعودون الى اتهام يوسف بالسرقه أيضا.

قَالُوا إِن يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِن قَبْلُ وَ بِذَلِكَ اِخْطَأُوا مَرَّتَيْنِ: عِنْدَ مَا أَكَدُوا تَهْمَةَ بَنِيَامِينَ، وَ عِنْدَ مَا اتَّهَمُوا أَخَاهُ يُوسُفَ بِالسَّرْقَةِ
من دون اى سبب سوى إنقاذ أنفسهم من المشكله، و يبدو ان شبح الجريمه التى قاموا بها بحق أخيهم يوسف ظل يلاحقهم، فاذا بهم حساسون من إصااق ايه تهمة بهم خشيه ان يفضح أمرهم، و إذا بهم لا- يزالون يبررون بيعهم لأخيهم الحر بأنه كان قد سرق، فاستعبد و بيع جزاء سرقته، و كانت التهمه شديده الوقع على قلب يوسف و لكنه ملك نفسه، و لم تظهر على ملامحه آثار الغضب.

فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَ لَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ

ص: ٢٤٣

و لكنه اکتفی بتأنيبهم على ذکر أخيهم بسوء.

□ □ قَالَ أَنتُمْ سَرُّ مَكَانًا □ و يطرح المفسرون هذا السؤال: ماذا كان التبرير الظاهر ليوسف حينما قال لهم: « أَنتُمْ سَرُّ مَكَانًا □ ؟ فأجاب بعضهم: ان هذا القول أسره يوسف فى نفسه دون ان يبيديه لهم، و بعضهم قال: بل ظهر للناس الشقاق القائم بينهم و بين أخيهم بنيامين مما كان يكفى لتأنيبهم، و ربما كان يوسف يذكرهم بأن جفءهم لأخيهم هو السبب فى سرقة لو انه فعلا ارتكبها، و لكنه هز ضميرهم بقوله:

□ □ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ □ و انه هل هو فعلا صحيح أم لا؟ و بالتالى. هل قد سرق اخوه أم ان ذلك ليس سوى تهمة؟ [٧٨] و تذكروا موقفهم مع أبيهم يعقوب، و اكتشفوا ان مصيرهم بالتالى مرتبط بمصير أخيهم، فأخذوا يتضرعون الى عزيز مصر بأن يعفو عن أخيهم أو ان يأخذ أحدهم مكانه.

□ □ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا □ □ مَكَانَهُ □ إِنَّا نُرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ □ و هكذا يتردد البشر بين حالتين متناقضتين فبين ان يتهم الأبرياء بالسرقة و بين ان يفدى بنفسه فى سبيل الوفاء بعهده.

[٧٩] اما يوسف عليه السلام الذى رتب كل تلك الخطه للإبقاء على أخيه عنده، فرفض العرض.

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَحَدَّثَنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَّالِمُونَ وَ ذَكَرَهُمْ بِذَلِكَ ان الإحسان يجب الا يمنع تنفيذ القوانين السائدة. و الا ينقلب الى ظلم، فالإنسان يحسن فى إعطاء ماله و ما هو اولى به، و لا يحسن فى اموال الناس و حقوقهم، و لذلك جاء فى الإسلام:

«لا شفاعة فى حد»

الموقف المسؤول:

[٨٠] ألحوا على يوسف-عبثا- بترك أخيهم بأيه وسيله ممكنه، فلما بلغوا حد اليأس اجتمعوا الى بعضهم يتناجون فقال كبيرهم و أسمه روبين كما يقال، و هو ابن خاله يوسف و هو الذى نهاهم من قتله من قبل قال لهم: إننا قد عاهدنا الله عند أبينا الا نفرط فى أخينا، و قد كنا فعلنا مثله مع يوسف، فتعهدنا و أخلفنا، و لا يمكن ان نكرر الأمر، و انى سأبقى هنا انتظر امر الله، فأما يأذن لى أبى أو يأذن لى ربي.

فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ قَالَ ابْن كَثِير: «اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ» و «اسْتَيْأَسَ الرَّسُلُ» و يئس و استيأس بمعنى مثل سخر و استسخر و عجب و استعجب.

و لكن يبدو ان اليأس هو: العلم الصادق بعدم فائده المحاوله بينما الاستيأس هو الظن بذلك الذى يداخله الضعف النفسى للبشر، و إذا كان هذا المعنى صحيحا فان ذلك يعنى ان اخوه يوسف كانوا غير مستقيمين نفسيا بسبب الجريمه السابقه التى ارتكبوها بحق أخيهم، و لذلك فهم يأسوا سريعا..

خَلَّصُوا نَجِيًّا

ص: ٢٤٥

ای انفراداً عن الناس حتى أصبحوا خالصين من دون غريب يشاركهم الأمر، و هدف خلوصهم و انفرادهم كان النجوى، و هنا من أبلغ ما نفهمه من آيات القرآن في اناقه الظاهر و عمق الباطن، و تنوع المعنى.

قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتَقًا مِنَ اللَّهِ وَ مِنْ قَبْلُ مَا فَزَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ أَي بَعْدَ أَنْ أَخَذَ أَبُوكُمْ مِنْكُمْ مَوْتَقًا
أَيْضًا.

فَلَنْ أُبْرَحَ الْمَارِضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ أَي حَتَّى يَأْذَنَ لِي صَاحِبُ الْحَقِّ أَوْ صَاحِبُ التَّشْرِيعِ، وَ
هَكَذَا تَجَلَّتْ فِي أُخْيِهِمُ الْأَكْبَرِ رُوحُ الْمَسْئُولِيهِ، وَ ظَهَرَ أَنَّهُ تَابَ إِلَى رَبِّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا.

[٨١] و أمرهم رويين و هو أكبر الأخوة بالعودة، و بيان كل الحقيقة و من دون اضافة آرائهم إليها، قال لهم:

ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَ لَكِنْ دُونَ أَنْ تَوَكَّدُوا التَّهْمَةَ، بَلْ قُولُوا لِأَبِيكُمْ أَيْضًا.

وَ مَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا إِذْ رَأَيْنَا أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا السَّقَايَةَ مِنْ وَعَائِهِ، وَ لَمْ نَشْهَدْ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا.

وَ مَا كُنَّا لِلْغَيْبِ إِفْطِينَ لَمْ نَكُنْ حَافِظِينَ لِمَا يَجْرِي فِي الْوَاقِعِ، وَ لِذَلِكَ لَا نَعْرِفُ هَلْ سَرَقَ أَخُونَا أَمْ لَا، وَ لَعَلَّهُ تَهْمَةٌ، يَبْدُو أَنْ
تَفْرِيطًا حَصَلَ مِنْهُمْ بِشَأْنِ أُخْيِهِمْ حَيْثُ قَبِلُوا مِنْ دُونَ تَرَدُّدِ تَهْمَةٍ

السلطات ضد أخيهم و ذلك بسبب سوء ظنهم به و بأخيهم يوسف من قبل.

[٨٢] و بإمكانك ان تسأل المجتمعين ببلد مصر، أو تسأل العائدين من هناك.

وَ سَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا أَيَّ أَهْلِ الْقَرْيَةِ.

وَ الْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا أَيَّ مَسَافِرٍ قَادِمٍ مَعَ قَافِلَتِنَا.

وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ

ص: ٢٤٧

اشاره

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَإِضْطَّ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُوا تَذَكَّرَ يَوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) يَا بَنِيَّ إِذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَ أَخِيهِ وَلَا تَبَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْئَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْكَافِرُونَ (٨٧) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَ جِنَانَا بِبِضَاعِهِ مُزْجَاهِ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَ تَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيَوْسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَإِنَّكَ لَمَأْنَتَ يَوْسُفَ قَالَ أَنَا يَوْسُفُ وَ هَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَ إِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) إِذْهَبُوا بِمِصْرِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَ أَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣)

اللغه

٨٣[سَوَّلَتْ]:زينت و سهلت.

٨٤[يا أسفى]:يا حزنى.

[كظيم]:الكظم اجتراع الحزن و هو أن يمسكه فى قلبه و لا يبته فى غيره.

٨٥[تالله تفتوا]:لا تزال.

[حرضا]:الحرص المشرف على الهلاك.

٨٦[البت]:الهم الذى لا يقدر صاحبه على كتمانته فيثته.

٨٧[فتحسسوا]:التحسس طلب الشئ بالحاسه.

[روح الله]: الروح الراحه، و الروح الرحمه، و أصل الباب من الريح التي تأتي بالرحمه.

ص: ٢٤٩

هدى من الآيات:

و عاد اخوه يوسف عليه السلام الى أبيهم و بغم جديد، و خرق للميثاق، فلم يصدقهم يعقوب عليه السلام بان أخاهم سرق، و اتهمهم بتدبير حيله جديده، و لكنه تذرع بالصبر الجميل، و وضع كل أمله على الله العليم الحكيم، و ترك أبناءه و أعاد نوحه على ابنه يوسف عليه السلام و أسفه عليه حتى مشى البياض فى سواد عينه، و كادت تعمى، و حتى بدى للناظر فى مظهره الملىء، بالهموم. الكاظم نفسه عنها. أما هم فقد أشفقوا عليه و قالوا: انك لا تزال تذكر يوسف حتى تشرف على الهلاك أو تهلك فعلا، و لكن يعقوب تمسك بهدى ايمانه فلم ييأس و قال: انى أشكو همومى و احزاني الى الله الذى اعلم انه ارحم الراحمين، و انه يفى بوعدده باستخلاف يوسف و سجود اخوته امامه و أمرهم بتكرار، المحاوله لعلمهم يقرون على يوسف، و نهاهم عن اليأس الذى هو بضاعة الكفار الذين لا يؤمنون بالله و برحمته الواسعه، و استجاب اخوه يوسف لأمر والدهم الذى أشفقوا عليه، و بلغ ندمهم على فعلهم السابق مبلغ التوبه النصوح.

فذهبوا الى مصر و دخلوا على العزيز و قالوا له بلهجه المتضرع: اننا قوم قد أحاط بنا البلاء حتى تحسنا بألم الفقر، و لا نملك الا بضاعه رديئه. و نسألك ان تعتبرها جيده فتوفى لنا الكيل بقدر البضاعه الجيده، و تصدق علينا بإطلاق أخينا فالله يجزى المتصدقين الذين يحسنون الى الناس ابتغاء مرضاته، و رأى يوسف ان الوقت قد حان للكشف عن نفسه فقال.

هل تذكرون ما فعلتم بيوسف فى أيام جهلكم تحسبون ان باستطاعتكم سلب حب أبيه عنه؟ و كان أبوهم قد أعطاهم الأمل فى البحث عن يوسف، و جاء سؤال العزيز عن يوسف غريبا فقالوا: أ إنك لأنت يوسف. قال: انا يوسف و هذا اخى.

انظروا كيف منّ الله علينا بسبب التقوى و الصبر و الإحسان، و بالرغم من انفه اخوه يوسف الشديده من الاعتراف بفضل يوسف سابقا. الا- أنهم حلفوا الآن بالله بأن الله قد فضّله عليهم، و انهم هم الخاطئون، فعفى عنهم يوسف، و استغفر الله لهم و أملهم من رحمه ربهم الذى هو ارحم الراحمين و طلب منهم العوده الى أبيهم مع قميصه ليستعيد بصره الذى فقده لحزنه، و ليأتوا بأهله جميعا ليشهدوا نعم الله عليه.

بينات من الآيات:

نفحات الأمل:

[٨٣] لماذا اتهم يعقوب أبناءه بالكذب بعد ما اخبروه بواقع ما جرى عليهم من احتجاز السلطات لأخيهم بتهمه سرقة صواع الملك، و قال لهم بعد ما اخبروه:

قَالَ يَلِ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسِيْكُمْ أَمْراً اى ان أهواءكم زينت لكم فكره آمنتتم بها انطلاقا من الهوى لا- العقل لماذا؟ أولا: ان اخوه يوسف عليه السلام كذبوا أول مره و كانت تهمه الكذب أقرب إليهم

ص: ٢٥١

لسوء سابقتهم فى الخيانه.

ثانيا: ان اتهام السرقة الى أخيهم بمجرد وجود السقيه فى وعائه، كان نابعا من استصغارهم له، و عدائهم الدفين له و لأخيهم يوسف.

ثالثا: ان تذليل أخيهم و التعصب لأنفسهم فى مواجهته كان هو السبب لسرقته لو انه ارتكبها.

و لكن يعقوب عليه السلام تسليح بالصبر الجميل لمعالجه سوء أخلاق ابنائه، و عنصريتهم المقيته حتى ضد أخيه الأصغر سنا منهم.

فَصَبْرٌ جَمِيلٌ اى عندى صبر جميل استعويض به عن مكركم، و ما تسوله لكم أنفسكم، فلا أجزع لشده البلاء، فافقد رشدى و قوه احتمالى، و لا أتردد فى أن البلاء سيزول بأذن الله، و لا أنطوى على نفسى بسبب المصيبه و اترك العمل انتظارا لزوال المصيبه بذاتها أو بطريقه غيبية، و بالتالى أضيف عامل الزمن (الصبر) الى سائر عوامل النجاح حسن التدبير-السعى-التوكل حتى ينصرنى ربى، و يدل على معنى الجمال فى الصبر السياق القادم. يقول ربنا على لسان يعقوب:

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ [٨٤] و ترك أبناءه موقتا، و لكنه اثار فيهم عواطف الأبناء لوالدهم العجوز و قد أنهكته المصائب فايضت عيناه حزنا..

وَ تَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَ ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ يَبْدُو ان استمرار الكآبه افقد يعقوب قدرته على الرؤيه. فتحول سواد عينه الى

بياض شأنه شأن كبار السن، ولا يجب ان يكون ذلك بسبب البكاء وحده. إذ ان الحزن المكبوت الذى يكظمه صاحبه قد يكون أشد أثرا على البشر من البكاء لذلك قال ربنا.

فَهُوَ كَظِيمٌ اى يحفظ نفسه من آثار الحزن التى تظهر عليه، و منها فقد توازنه بأبعاد ابنائه عن نفسه و الإسراع فى عقابهم دون انتظار تربيتهم و هدايتهم.

تأثير البكاء على القلب القاسى:

[٨٥] يبدو ان قلب أبناءه القاسى بدأ الآن يلين لوالدهم الحزين فجاءوا اليه يواسونه و يطلبون منه التقليل من الحزن للإبقاء على صحته لكي لا يكون فاسد الجسم أو هالكا.

قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتُنَا تَذَكَّرُ يُوْسُفَ اى اننا نقسم عليك بالله الا تستمر على ذكر يوسف فتعجل مرضك أو موتك.

حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ الحرض المشرف على الهلاك.

[٨٦] و لكنه قال: كلا ان عاقبتى ليست الهلاك أو المرض بل سوف أبلغ هدفى لان اعتمادى على الله، و لانى اعلم عن تعبير رؤيا ولدى يوسف. انى سوف أراه ذا شأن كبير. و هذا الأمل يحدونى الى الضراعة الى الله لتعجيل الفرج على.

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللَّهِ

البث هو ما ظهر من الحزن.

وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

بث روح الأمل:

[٨٧] ثم دعاهم الى السعى بلا يأس، و أمرهم بالتحرك و التفتيش عن يوسف و أخيه لمعرفة ان البلاء يرفع عند شدته.

يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا اى استفيدوا من احساسكم و لا- تعتمدوا على نظر يأتكم التى قد يداخلها اليأس فتبدو لكم الحقائق أساطير، و لا تعتمدوا على أقوال الناس التى قد لا تكون صحيحة، و هذا امر صريح منه بضروره الاعتماد على العلم خصوصا الحاصل من تجربه الحسيه.

مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ وَ لَا تَيَأَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ ان آفه التحسس و التفتيش عن الحقيقه هى اليأس و الاعتقاد بقصر عقل الإنسان عن المعرفة و روح الله. ذلك الإلهام المفاجئ الذى يغمر قلب الباحث فيهدى الى الحق.

ان العلم نور يقذفه الله تعالى فى قلب من يشاء، و هو روح الله فى هذا المجال و لكن لا يقذفه الا بعد ان يكون الفرد صالحا و الذى لا يتحسس و لا يفتش بأحاسسه عن الحقيقه لا يقذف الله نورها فى قلبه.

إِنَّهُ لَا يَيَأَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ فالذين يكفرون بالله و يسترون نعمه عليهم. هم الذين ييأسون من روح الله.

[٨٨] وقام اخوه يوسف عليه السلام بشد الرحال الى مصر يحدوهم أمل جديد لانتهاء مشكله والدهم، وقد بلغت الضراء بالنسبه إليهم حدا لا يطاق، فدخلوا على يوسف فى حاله يرثى لها إذ جاؤوا ببضاعه قليله رديئه لا تساوى قدرا يذكر من الطعام، و طلبوا منه ان يتقبلها منهم على أساس انها كامله صالحه فيعطيهم من الطعام ما يعوض ضرهم. كما طلبوا منه ان يتصدق عليهم بإطلاق سراح أخيهم. طلبا لجزاء الله الذى أعده للمتصدقين.

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَ أَهْلْنَا الضُّرُّ وَ جِئْنَا بِبِضَاعِهِ مُرْجَاهٍ أَصْلُ الْكَلِمَةِ الدَّفْعُ قَلِيلًا قَلِيلًا. وَ سَمِيَتِ الْبِضَاعَةُ الْيَسِيرَةُ وَ النَاقِصَةُ بِالْمَرْجَاهِ.

فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَ تَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ الصَّدَقَةُ أَصْلُهَا مِنْ تَصَدِيقٍ وَعَدَّ اللَّهُ.

[٨٩] لقد تحطم غرور اخوه يوسف عليه السلام على صخره الواقع فيها هم يجأرون الى عزيز مصر لكى يرحمهم، و يطلبون منه التصديق عليهم-و الجوع-و مشكله والدهم، و هاجس الذنب يقض مضاجعهم، و كان الوقت إذا مناسباً ليكشف يوسف عن لغز القصة. فبادرهم بسؤال مفاجئ.

قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ففى أيام جهلكم و صغر سنكم و كبر غروركم. القيتم يوسف أخاكم البرىء فى غيابت الجب. و استصغرتم أخاكم الثانى، ثم تركتموه عبدا عند الغرباء بعد ان أثبتتم عليه تهمة السرقة و اتهمتم أخاه يوسف بها، و الآن تطالبوننى بالتصدق

و تزعمون ان الله يجزى المتصدقين؟ الآن عرفتم هذه الحقيقه. أم لأنها فى مصلحتكم توصلتم بها؟

و حل اللغز:

[٩٠] كان واضحا ان تقريع العزيز لم يكن عبثا، و انما كان يتناسب مع شعورهم الداخلى لأن مشاكلهم انما هى بسبب ما فعلوه بأخيهم يوسف.. و هنا أدركهم روح الله الذى طلبوه بإرشاد والدهم يعقوب- فعرفوا- بلغته الذكيه ان الذى يخاطبهم هو يوسف ذاته.

قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالُوا بَلْحَن السُّؤَالِ الْمَلِيءُ بِالْتَعْجَبِ وَ الشُّوقِ إِلَى الْجَوَابِ.

قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَ هَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَ لَمْ يَنْسَى يَوْسُفَ أَنْ يَذْكُرَهُمْ بِعَبْرَةِ الْحَيَاةِ وَ يَقُولُ:

إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ اى ان من يقاوم ضغوط الشهوات، و يقاوم الحسد و الحقد، و يبقى مستقيما على تقواه. صابرا على المكاره التى تصيبه بسبب التقوى.. فان الله يجزيه بقدر إحسانه الى الآخرين، و القرآن يؤكد فى سوره يوسف على قيمه الإحسان لأهميتها فى الملك، و فى الحصول على مغنم الدنيا.

لحظات الاعتراف:

[٩١] فاعترفوا بذنبهم، و بأن الله حين فضله عليهم فانما بعلمه و حكمته البالغه.

ص: ٢٥٦

قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ إِنْ خَطَأَهُمُ الْأَسَاسِي كَانَ فِي مَقَاوِمِهِ سَنَهُ اللَّهِ الَّتِي لَا يَزِيدُهَا رِفْضَ النَّاسِ لَهَا إِلَّا عَجَلَهُ.

[٩٢] أما يوسف عليه السلام الذي عرف عاقبه الغرور بالقوه، وكيف ان اخوته قد أسكرهم خمر العصبية فقاموا بجريمه منكره و حطموا مستقبلهم، أما يوسف عرف ان زكاه النصر هي العفو فقد تسلىح بقيمه الإحسان التي رفعتة الى هذا المقام بإذن الله.

و عفا عنهم بل و أعطاهم الأمل بأن يعفو عنهم الله لكي لا يلاحقهم شبح الجريمة فتتعقد أنفسهم، و تسوء أخلاقهم فيقوموا بجرائم اخرى..

□ □ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْنَا يَوْمَ أَي لَا تُوْبِخُ وَلَا تَقْرِعُ.

□ □ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ [٩٣] ثم أمرهم بأخذ قميصه الى والده يعقوب. و هو ذلك القميص الذي توضع بعقب جسده ذا النكهه الخاصه التي لا بد لأبيه الواله من معرفته بسبب تركز احساسه في لحظه المصاب و تذكره كل شىء من يوسف.. بسبب استمرار حضور يوسف في مخيلته رغم مرور أربعين سنه على فراقه.

□ □ إِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ان الحزن البالغ الذى ذهب بنور عين الشيخ الواله.. يتبدل فجأه الى سرور بالغ فتنشط خلايا جسده جميعا، و يعود بصيرا بأذن الله.

اشاره

وَلَمَّا فَصَّ لَتِ الْعَيْرِ قَالَ أَبُوهُمَ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لَا أَن تَفُنَّدُونَ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّه تَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبُوِيهِ وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبُوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَرَبِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ (١٠١) ذَلِكَ مِنْ أَلْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢)

اللغه

٩٤[فصلت]:الفصل أصله القطع، و فصلت العير بمعنى انفصلت من المدينه نحو الشام.

[تفندون]:التفند تضيعف الرأى و الفند ضعف الرأى.

١٠٠ [نزغ]: أفسد و حرش.

ص: ٢٥٩

هدى من الآيات:

و تحركت من مصر قافله البشر تحمل قميص يوسف عليه السلام . فقال يعقوب عليه السلام و هو جالس بين بعض أبنائه إني لأشتمّ ريح يوسف. بالرغم من انكم تَضَعفون رأيي.

فأنكروا عليه ذلك و نسبوه الى الابتعاد عن الحقيقه بسبب حبه العميق لولده. بيد ان البشير ما لبث حتى و صل و القى قميص يوسف على وجهه فأعاد الله عليه به عينيه.

□ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ نَهَايَةَ مَشْكَالَتِي، وَتَعْبِيرَ رُؤْيَا ابْنِي وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَسَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَ طَلَبُوا أَبَاهُمْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَ اعْتَرَفُوا بِخَطِيئَتِهِمْ، فَقَالَ يَعْقُوبُ: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَ ارْتَحَلُوا جَمِيعًا إِلَى مِصْرَ فَدَخَلُوا عَلَى يَوْسُفَ عَزِيزِ مِصْرَ حَيْثُ اسْتَقْبَلَهُمْ بِحَفَاوِهِ - وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ وَ جَعَلَ أَبُو يَهُوذَا عَلَى الْعَرْشِ بَيْنَمَا خَرَّ النَّاسُ سَاجِدًا لِلَّهِ أَمَامَ عَرْشِهِ، وَ قَالَ يَوْسُفُ: هَذَا تَأْوِيلَ رُؤْيَايَ. مِنْ قَبْلِ - لَقَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ وَاقِعًا حَقًّا، ثُمَّ فَصَّلَ قِصَّتَهُ لَهُمْ وَ كَيْفَ أَنَّهُ سَجَنَ فَأَحْسَنَ اللَّهُ بِهِ وَ أَخْرَجَهُ مِنَ السِّجْنِ، وَ كَيْفَ بَاتِلَالِي جَاءَ بِأَهْلِهِ مِنَ الصَّحْرَاءِ بَعْدَ أَنْ فَرَّقَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ إِخْوَتِهِ.

و كيف ان الله لطيف يجرى سننه برفق. و بحسن تدبير و هو عليم حكيم. ثم استغل المناسبه لكي يدعو الله و يحدد موقفه من الملك الذى أنعم به الله عليه. فقال ان الله أتاه الملك و علمه من تأويل الأحاديث لذلك فهو يطلب منه مزيدا من الفضل - و هو فاطر السموات و الأرض و هو الولي فى الدنيا- ذلك الفضل هو ابقاؤه فى الدنيا على الإسلام و إلحاقه بالصالحين فى الآخرة. كل ذلك كانت قصه يوسف عليه السلام التى اوحى بها ربنا الى قلب الرسول، و كيف احتوت على أدق التفاصيل الهامه مثل مباحثاتهم و هم يجمعون أمرهم و يخططون لإلقائه فى غيابت الجب.

بينات من الآيات:

نساءم البشرى:

[٩٤] حينما تحركت القافله التى تحمل قميص يوسف عليه السلام تجدد الأمل فى قلب يعقوب برؤيه ابنه المختطف بعد طول المعاناه فقال لمن حوله انى أجد ريح يوسف.

وَ لَمَّا فَصَلَتِ الْعِمْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنَّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ بَيد ان من حوله لم يكونوا يصدقوه.

أولا: لأنهم اعتقدوا أن أمل يعقوب نابع من حبه العميق لابنه يوسف.

ثانيا: لأنه لم يكن معقولا عندهم ان يجد أحد ريح ابنه من بعيد خصوصا من مسافه عشره أيام سيرا لذلك قال يعقوب:

لَوْلَا - أَنْ تُفَنِّدُونِ أَى تضعفون رأبى. و تحاولون إبطاله.. و يبقى هذا السؤال هل ان الحاسه السادسه.. التى هى قد تكون تركيزا. لمجمل القوى العلميه عند البشر هى التى

كشفت ليعقوب تحرك العير بقميص يوسف. أم انه كان إعجازا غيبيا؟! [٩٥] وبالرغم من ان يعقوب أكد لهم ان تفنيدهم لرأيه لا- يؤويه عنه و هو متشبه برأيه بالرغم من مخالفتهم و بالرغم من ذلك نجدهم يؤكدون له معارضتهم و يحلفون بالله أنه في ذات الضلاله القديمه التي كانت عنده.

قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ حَيْثُ أَنَّهُ لَا يَزَالُ يَنْتَظِرُ ابْنَهُ الَّذِي ضَاعَ فِي دُنْيَا الْمَآسَى وَ فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِ أَقْلَ قِيمِهِ فِيهِ مِنْ أَى شَيْءٍ آخَرَ.

فَارْتَدَّ بِصِيرًا:

[٩٦] ما لبث أن وصل البشير يحمل قميص يوسف. و ربما بعد عشره أيام من السير الحثيث لقطع المسافه بين فلسطين و مصر.. فأخذ القميص و ألقاه على وجه يعقوب فعاد اليه بصره ربما بسبب الفرح الذي طرأ بصوره مفاجئه أو بسبب غيبى الهى.

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ حَيْثُ عَلِمَ يَعْقُوبُ بِتَفْسِيرِ رُؤْيَا يَوْسُفَ أَنَّهُ يَبْقَى حَتَّى يَصْبِحَ مَلِكًا تَخَضَعُ لَهُ أَعْنَاقُ إِخْوَتِهِ كَمَا عَلِمَ بِالْغَيْبِ أَنَّ يَوْسُفَ لَمْ يَمُتْ وَ لَقَدْ وَعَدَهُ اللَّهُ بِإِعَادَتِهِ إِلَيْهِ.

[٩٧] و هنا لك فقط اعترف اخوه يوسف- و يبدو أنهم الباقون منهم عند أبيهم يعقوب- اعترفوا بذنبيهم، و طلبوا من أبيهم ان يشترك فى الاستغفار لهم.

قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ

[٩٨] و وعدهم يعقوب الاستغفار مستقبلا و أملهم في مغفره ربهم كما فعل يوسف بسائر اخوته! و كما يفعل الصالحون بالمدنيين، و السبب ان اليأس من جنود الشيطان. و من عوامل الانحراف.

□ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ و يبقى سؤال- لماذا أخر الاستغفار؟ و الجواب: ان للاستغفار شروطا: إصلاح ما فسد و العزم على عدم التكرار، و تزكيه النفس و تطهيرها من رواسب الذنب، ثم الاستغفار في أوقات خاصه. بعد صلاه خاشعه. و هكذا. لذلك

جاء في الحديث المأثور عن الصادق عليه السلام:

«إِنَّ يَعْقُوبَ أَخْرَجَ أَبْنَاءَهُ إِلَى وَقْتِ السَّحْرِ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى إِجَابَةِ الدَّعَاءِ» (١) ثم أن الذنب لا يكفيه مجرد طلب المغفره مره واحده بل لا بد من الاستمرار على الاستغفار المره بعد الاخرى هذا لا يحصل الا عبر أيام متطاوله، و لذلك قال يعقوب لهم سوف... و قالوا: ان يعقوب كان يصف أولاده عشرين سنه يدعو و يؤمنون على دعائه و استغفاره لهم.

و تحقق الحلم:

[٩٩] جمع يعقوب أبناءه و أمتعه و ساروا الى مصر حيث الملك العادل. فاستقبل يوسف عند المدينه أبويه يعقوب. و زوجته التي هي خالته. و راحيل امه الحقيقيه.

□ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ □

ص: ٢٤٣

ان أعظم نعم الله على أصحاب المدن هو الأمان. و الابتعاد عن الحر و البرد و الحيوانات الضاربه. و الغزو و النهب و ما أشبه.

[١٠٠] أما أبواه فقد استقرا عند يوسف على عرش الملك. بينما سجد الجميع لله شكرا لهذه النعمه.

وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا قَالَ بَعْضُهُمْ إِنْ السُّجُودِ كَانَ بِاتِّجَاهِ يَوْسُفَ فَعَلًا - و لكنه لم يكن بمعنى الوقوع على الأرض. انما الانحناء التام احتراماً لمقام الملك. و الإ-كرام يجوز. فيما تحرم العباده إذ ان الحرام هو تقديس أحد و رفعه الى مستوى الالوهيه. سواء كان ذلك عن طريق السجود له أو الطاعه المطلقه له أو حتى رفع اليد، فحتى رفع اليد إذا كان إشاره الى ان صاحبه إله. فهو حرام و شرك.. و أما لو كان الاحترام بهدف الإ-كرام لا-التقديس، و إذا كانت الطاعه بهدف عباده الله و الخضوع لأمره بطاعه ولى الأمر. فان السجود امامه. لا يكتب حرمة. إلا إذا كان السجود بذاته رمزا للألوهيه كما الحال بيننا نحن المسلمين.

و إن كثيرا من الشعوب ينحنون الى حد الركوع أو أكثر تحيه للقاء بينهم. و لا يعنى ذلك أبدا معنى الاعتقاد بالوهيه من يفعلون أمامه ذلك.. و بالتالى لا يحرم عليهم ذلك بينما يحرم علينا لان الركوع قد تحول بذاته الى رمز للعباده، و اختص به الله. و حين فعل أخوه يوسف أمامه ما فعلوه التفت يوسف الى أبيه.

وَ قَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ فَالشمس و القمر هما والداه، و الأحد عشر كوكبا هم أخوته الذين سجدوا أمامه

جميعا.

و هكذا جعل ربنا تلك الرؤيا حقيقيه.بينما كان من الممكن لو لم يوفر يوسف شروط تحقيقها فى نفسه و بسعيه و حسن إختياره إذا بقيت حلما و أمانى.

فَدَّ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ رَ كَز حَ دِيثِهِ عَلَى مَرِحْلِهِ السِّجْنِ لِأَهْمِيَّتِهَا وَ لِبَعْدِ الْمَسَافَةِ بَيْنِ السِّجْنِ الْمَتَهَمِ بِجَرِيمِهِ شَرَفٍ وَ بَيْنِ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ الَّذِي بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ.

وَ جَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ أَى مِنْ حِيَاهِ الصَّحْرَاءِ إِلَى الْعَيْشِ بِمِصْرٍ. حَيْثُ الْمَدِينَةِ.

مَنْ بَعِيدٍ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِخْوَتِي أَى أَفْسَدَ الْعِلَاقَةَ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِخْوَتِي. ثُمَّ أَكَّدَ أَنْ أَمَرَ اللَّهَ يَنْفِذُ بَرْقًا بَيْنَ ثَنَائِيَا الْحِيَاهِ كَمَا الْمَاءِ فِي مَسَارِبِ الرَّمَالِ. بِحَيْثُ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ كَيْفَ تَمَّ التَّحْوِيلُ.

إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ حَيْثُ أَنْ تَدْبِيرُهُ يُوغِلُ بَرْقًا وَ مِنْ دُونَ صَخْبٍ أَوْ صَعُوبَةٍ بَيْنَ صَخُورِ الْحِيَاهِ دُونَ أَنْ يَقْدِرَ أَحَدٌ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامِهِ.

إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ فَبَعَلِمِهِ سُبْحَانَهُ أَحَاطَ بِسَبْلِ الْحِيَاهِ. وَ بِحِكْمَتِهِ أَجْرَى تَدْبِيرَهُ عِبْرَتًا حَتَّى النِّهَايَةِ.

ص: ٢٦٥

[١٠١] فى عزه قدرته و ملكه لم يغفل يوسف عليه السّلام ربه. و لم ينس أنه هو الذى آتاه الملك، و ان ما عنده جزء من الملك الأكبر الذى يملكه الله سبحانه فخوّله إياه. كما ان علمه جزء مما عند الله.. و بالتالى فانه بحاجه الى ربه ليأتيه المزيد من الملك. و يعلمه المزيد من تأويل الأحاديث.

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ان نشوه الانتصار لم تدع يوسف الى الانتقام لايام الذله و العذاب. حيث ألقى فى الحب، و حيث وجد نفسه عبدا يتبادلّه الناس بثمان بخس دراهم معدوده.

و حيث تسجنه امرأه العزيز زورا، و يعانى فى السجن الأمرين ذلك لان قلبه كان عامرا أبدا بنور الله فلم يصب بعقده النقص و الانهيار و السلبيه. كما لم يصب بالغرور و الفخر لأنه كان يعلم ان الشر و الخير فتنه، و ان البلاء رحم العظمه و قد تكون النعمه سبيل الهاويه.

كما كان يؤمن بان الحياه الدنيا بما فيها من خير و شر. قنطره الى الآخره التى هى الحيوان لذلك لم ينس تفاهه الدنيا بخيرها و شرها، بسجنها و ملك مصرها، لذلك قال. و هو يدعو ربه.

فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ان الهدف الأسمى للإنسان ينبغى ان يكون الاستمرار على خط الإسلام حتى الموت. و من ثم ان يحشر مع الصالحين.

[١٠٢] و هكذا انتهت قصه يوسف يوحىها ربنا على قلب الرسول، و يعلمنا بأدق التفاصيل فيها و بعدها، و كيف ان المكر لا ينفع صاحبه، و انه لا يحق المكر

السىء إلا بأهله.

ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ وَفِي الدُّرُوسِ الْقَادِمَةِ نَجِدُ الْمَزِيدَ مِنْ عَبْرِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْحَكِيمَةِ.

ص: ٢٤٧

إشارة

وَمَا أَكْثَرُ الذَّنَاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَمَا تَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٠٤) وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٧) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَ فَلَمْ يَسْمَعُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لِمَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَ فَلَا تَعْقِلُونَ (١٠٩) حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّى مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)

اللغة

١٠٣[حرصت]:الحرص طلب الشيء باجتهاد فى اصابته.

١٠٧[غاشيه]:الغاشيه المجلله للشيء بانبساطها عليه،و الغشاء الغطاء.

[بغته]:البغته الفجأه و هو مجيء الشيء من غير توقع.

١٠٨[سبيلى]:السبيل الطريق و هو المكان المهيا للسلوك.

١١[استيأس]:استيأس بمعنى يئس كأنه طلب اليأس لعلمه بامتناع الأمر.

[بأسنا]:البأس الشده و هو شده الأمر على النفس، و منه البؤس الفقر.

١١[الألباب]:العقول، مفردها لب و انما سمي بذلك لأنه أنفس شيء في الإنسان، و لب كل شيء خياره.

ص:٢٦٩

هدى من الآيات:

انتهت قصه يوسف عليه السلام . و بقيت عبرتها المتمثله فى طبيعه البشر المعانده للحق، فأكثر الناس رغم حرص الرسول و أصحاب الحق ليسوا بمؤمنين، و يحسبون ان رساله خساره بينما هى ذكر. و توجيه للعاملين الى الحق الذى غفلوا عنه، و كم هى الآيات المنتشره فى السماوات و الأرض يمرون عليها. دون ان ينتفعوا بها بل هم معرضون عنها. إن ايمان أكثرهم مخلوط بالشرك. و بالتالى فهو ليس بأيمان. و لا يدري هل هم قد أخذوا صك الأمان من عذاب الله الذى يشملهم إذا جاء و من الساعه التى تأتيهم فجأه فى الوقت الذى هم لا يشعرون.

و لكن الرسول يدعوهم الى سبيل واضحه هى الدعو الى الله على بصيره و رؤيه واضحه له و لمن يتبعه، و هى بصيره التوحيد و تنزيه الله عن اى نوع من أنواع الشرك.

و هذه كانت رساله الله من قبل التى نزلت على رجال من أهل القرى، فلما ذا لا يسيرون فى الأرض ليروا ماذا كانت نهايه أولئك السابقين و ليعرفوا ان الدار الآخره

أفضل للمتقين. فلما ذا لا يعقلون و الحقيقه واضحه.

لقد أرسل إليهم رجالا فبلغوا رسالات الله فلم يستجيبوا لهم حتى إذا بلغوا درجه اليأس، و ظنوا انهم قد كذبوا فعلا جاءهم نصر الله. فنجى ربنا من شاء بينما لم يقدر أحد على رد بأسه سبحانه عن المجرمين. ان هذه هي عبره قصص السابقين التي يستوعبها أولوا الأبواب و العقول، و ليس حديثا يمكن ان يفترى انما هو كلام حق يصدق الأحاديث السابقه و بفصل كل شىء و يهدى المؤمنين. و يفلح به المؤمنون.

بينات من الآيات:

البشر و طبيعته:

[١٠٣] مبدئيا يجب على كل إنسان ان يكون مؤمنا. إذ ان الله أودع فيه العقل و انزل له الهدى. اما عمليا فان قليلا من الناس يرتفعون الى مستوى الايمان، كما ان قليلا منهم يستفيد من طاقه العلم و من كنوز الاراده التي استفاد منها كبار العباقره من أبناء آدم. من هنا لا يجوز لصاحب الرساله ان يصطدم بسبب عدم ايمان أكثر الناس. بل عليه ان يشكر الله كثيرا لايمان من آمن منهم لأنه قد وفق ان يكون سببا لعود طائفه من أبناء البشر الى هذه القمه السامقه برغم الصعاب.

وَ مَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ [١٠٤] و لا يدل عدم ايمان الناس بالرساله ان مصالحتهم تضرب بالرساله، أو ان الرسول يطالبهم بأجر، أو ان الرساله قد هبطت لطائفه خاصه فقط. كلا..

وَ مَا تَسْبِيحُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ [١٠٥] كما لا- يعنى عدم إيمانهم قله الآيات. لان الآيات كثيره و ماثوره فى السماوات و الأرض و لكنهم يعرضون عنها الى شهواتهم و الى الضغوط القريبه.

وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ [١٠٦] نعم ان الناس يتعرفون بفطرتهم على الله، ولا ينكرون وجوده سبحانه و تعالى بصوره أو بأخرى. انما القضية التي جاءت رسالات السماء من أجل إصلاحها هي ان ايمانهم مشوب بالشرك. فهم يؤمنون بالله و بالهوى و بالطاغوت، و بالتالى لا يخضعون كاملا لله سبحانه، و هذا يساوى الكفر تماما. إذ ما فائده الايمان الذى لا يعطيك القدره على مقاومه الضغوط.

وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ [١٠٧] يبقى ان نعرف ان عدم ايمانهم بالله ايمانا حقيقيا انما هو بسبب زعمهم بان الله لا يعاقبهم. لقد فرحوا بنعم الله عليهم. فلم يخشوا العذاب الذى يشملهم و يغشاهم. كما لم يخافوا الموت و ما وراءه من ساعه القيامة. التى تأتاهم فجأه فى الوقت الذى هم غافلون عنها.

أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ

مهمه الرسول:

[١٠٨] الدعوة الإلهيه. واضحه و يؤمن بها أصحابها على يقين. و هى ليست ماديه أو شخصيه أو مصلحيه بل خالصه لله وحده.

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي هَذِهِ آيَاتِ الْقُرْآنِ تَشْكِلُ سَبِيلَ اللَّهِ.

أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ

ص: ٢٧٢

لا الى نفسى أو وطنى أو ارضى أو عشيرتى أو..أو إلخ.

عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي فَذَنبِي بوضوح طريقنا و نمشى عليه.لا- نشك فيه و لا- نتردد قيد أنمله و لا نختار طريقنا على الهوى أو التقليد أو استجابته للضغوط.

منطق السماء:

وَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ [١٠٩] ان المؤمنين على طريق معبد بسيره السابقين، فلقد بعث الله رجالا من الناس أنفسهم فأوحى إليهم كما أوحى الى النبي محمد صلى الله عليه و آله .

وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَي من أهل المدن التى بعثوا إليهم.

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا عَلَيْهِمْ-لكى يفهموا الحقيقه-الا- يكتفوا بالجلوس فى بيوتهم و الاكتفاء بأفكار السابقين أو ثقافه الوسط الاجتماعى بل عليهم ان يتحركوا، ان يسيروا فى الأرض و ليكن سيرهم و بحثهم بهدف الوصول الى الحقيقه. لينظروا نهايه المجتمعات الهالكه.

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فقد كانت عاقبتهم الدمار بسبب تكذيبهم بالرسالات أما الآخره فانها -بالطبع- ليست من نصيب الكافرين.

وَلَمَّا دَارُ الْمَآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ [١١٠] و هلاك الكفار و المكذبين لم يكن من دون سابقه إنذار، بل لقد استنفذ الرسل كلما كان بوسعهم فى سبيل دعوتهم، و صبروا على أذاهم، و بلغ بهم الأذى درجة اليأس.

حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصِيرًا جاء فى التفاسير: أى تيقن الرسل ان قومهم كذبوهم تكذيبا عاما حتى انه لا- يصلح واحد منهم.. و من جهه فمعناه ظن الأمم ان الرسل كذبوهم فيما اخبروهم من نصر الله إياهم و إهلاك أعدائهم.. و روى عن ابن عباس قال: كانوا بشرا فضعفوا و يسوا و ظنوا انهم قد أخلفوا ثم تلا قوله تعالى: «حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصِيرُ اللَّهِ».. قال الطبرسى و هذا بعيد و قد بينا ما فيه. المجمع ج ٢ ص ٢٧١ فَنَجَّى مَنْ نَشَاءُ وَ لَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ [١١١] إن المقتطفات من تاريخ الرسل. و قومهم يمكن ان تأخذنا الى ما ورائها من انظمه اجتماعيه و تكشف عن طبيعه التحولات التاريخيه. و لكن بشرط واحد و هو ان يكون الإنسان عاقلا. و يهتم بجوهر القضايا.

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ و بالتالى ليس العبره التاريخيه مما يمكن ان يفترى. لأنها اشاره الى حقائق خارجيه يمكن لكل إنسان ان يعرفها لو استخدم عقله أو حتى شعوره. مثلا لو أشار أحد الى الشمس أو الى الجبال و البحار. و قال أ فلا ترونها كيف انها جميله و منظمه.

فهل يمكن أن يقال له بأنك كذاب؟! الشمس يراها الفرد بذاته، و يشعر بجمالها، و يعقل نظامها بمجرد التفكير فيها. و ليس بما يقوله الآخرون، و هكذا آيات القرآن

أشارات واضحة الى ما فى الكون ذاته من حقائق.

مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ۚ وَلَٰكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا الْقُرْآنُ يَفْصِلُ الْحَقَائِقَ الَّتِي يَرَاهَا الْفَرْدُ بِأَبْهَامٍ.

وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ يَعْرِفُهُمْ بِحَقِيقَةِ الْأَشْيَاءِ وَيُوفِّرُ لَهُمُ النِّعَمَ بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ.

و هكذا تنتهى سوره يوسف المليئه بالعبر التاريخيه و التى كشفت خبيئه النفس البشريه بما تمتلك من عقل و إرادته و علم تجلت عند يوسف. أو من حسد و كبر و حيله تجلت عند اخوته.

ص: ٢٧٥

سوره الرعد

اشاره

ص: ۲۷۷

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل السوره

عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قال:

«من قرأ سورة الرعد، أعطى من الأجر عشر حسنات، بعدد كل سحاب مضى، و كل سحاب يكون الى القيامة، و كان يوم القيامة من الموفين بعهد الله تعالى» (م البيان-ص-٢٧٣-ج-٦)

عن الامام الحسين عليه السلام قال:

«من أكثر قراءه الرعد لم يصبه الله بصاعقه أبدا و ان كان مؤمنا أدخل الجنة بغير حساب و شفيع في جميع من يعرفه من أهل بيته و إخوانه» (م البيان-ص-٢٧٣-ج-٦)

ص: ٢٧٩

لماذا سميت السوره بسوره الرعد؟ سميت السوره بسوره الرعد لوجود آيه محوريه فيها تنبئ عن الخط العام للسوره التي توصلنا الى الايمان و الهدايه عبر آياته الكونيه، فالرعد حاله طبيعيه، له مسيابه و أهدافه، على ان الرعد ليس آيه كونيه فقط، و انما من الممكن ان يكون آيه لنا يدلنا على الله و قوته و رزقه للعباد.

و بالرغم من ان الرعد يخيفنا صوته عند سماعه، الا أن الله ينبهنا الى قضيه مهمه و هي: ان الرعد آيه من آياته، كما ان السماوات و الأرض آيات له، فليست الطبيعه هي المعبود الذي يجب ان نعبد، و انما هي خلق من خلق الله، سخرها إلينا لنستفيد منها فليست الطبيعه هي الحاكمه. هذا إذا علمنا ان الرعد و السماوات و الأرض تسبح الله من خيفته.

لقد كانت الطبيعه منذ القدم ربًا يعبدها بعض الناس لَمَّا رأوا عظمتها، فهناك

من عبد الشمس و هناك من عبد القمر أو النجم أو..أو..و لا زال الحاضر يشهد على مخلفات الماضى.فمثلا كلمه اطلس تدل على إله الأرض،و كذلك ابوالو على إله السماء.

فاذا عبت الله فانه يعبد لك كل شىء.

«عبدى اطعنى تكن مثلى أقول للشىء كن فيكون،و تقول للشىء كن فيكون»

«فلا- تكن عبد غيرك و قد خلقك الله حرًا» إما إذا لم تعبد الله فانك لن تكون سيدا على الطبيعه بل ستكون الطبيعه سيده عليك،يسلطها الله عليك متى جحدت و كذبت.

إذا فالهدف من آيات الله سبحانه فى الطبيعه ليس ذاتها،و انما الهدف من آيات الله فى الطبيعه هى تعميق روح الايمان بالله فى قلب الإنسان،و زرع اليقين فى قلبه، فمسيره الطبيعه هى تلخيص لحياه الإنسان،فمثلا يقول العلماء:ان الطبيعه الى زوال،و انها فى تناقص مستمر،أ فلا يدل ذلك على ان أعمارنا كذلك،و إذا لم نصدق بأن أعمارنا ستنتهى عند حد معين لوجود موانع نفسيه تمنع هذا التصديق.الا يعنى ذلك أنه لا بد أن تنتهى أعمارنا عند أفول الشمس و الأرض و القمر الى الأبد.

هذا إذا تصورنا ان أعمارنا بقدر عمر الشمس و القمر.

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْمَر تَلْعَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (۱) اللَّهُ
الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (۲)

اللغه

۲[عمد]جمع عماد و هي الدعائم.

ص: ۲۸۳

بينات من الآيات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لماذا تتكرر البسملة في كل سورة؟ تتكرر البسملة في كل سورة لتعطي معنى جديدا ينسجم مع الإطار العام للسورة، فبسملة الحمد يختلف تأويلها عنها في سورة الشورى، و يختلف عنهما في سورة الذاريات و هكذا.

و هكذا فإنَّ بسملة هذه السورة تنسجم مع السورة، حيث أنَّ السورة تتحدث عن الهدى عن طريق آيات الله في الطبيعة، و الرعد هو نموذج عن آيات الله في الطبيعة، و هي جميعا تجل لأسماء الله التي تدل على قدره و السلطان و العظمة فباسم الله ذا الهيمنة و العظمة و الملكوت و القدره، و الرحمه الشامله و الرحمه الدائمه نبداً:

[١] [الم] الرموز في بدايه السوره تشير الى أحد معنيين:

انها رموز بين الله و بين عباده المخلصين، أو انها اشاره الى القرآن ذاته أو كلاهما، فنحن قد نقول كلاما نقصد به معنى واحدا و لكن الأديب قد يقول كلاما يقصد به معنيين، و لكن رب العزه قد يوحى بكلام يقصد به سبعين معنى، و كذلك

جاء في الحديث:

«كتاب الله على أربعة أشياء: على العبارة و الاشارة و اللطائف و الحقائق، فالعبارة للعوام، و الاشارة للخواص و اللطائف للأولياء، و الحقائق للأنبياء» (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ لَا بَدَّ أَنْ تَعْرِفَ أَنْ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ هُوَ الْحَقُّ - كل الحق -.

لم يقل الله «و الذي انزل إليك من ربك حق» بل قال: الحق - فالالف و اللام تعطى معنى الاستغراق - أي لا يوجد حق في غير القرآن.

وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ يكرر الله سبحانه في كثير من الآيات هذا المعنى: ان القليل من العباد الشكور، و القليل من العباد المؤمنين، و ان تتبع أكثر من في الأرض يضلوك و هكذا..

ص: ٢٨٥

لماذا؟ يتكرر هذا المعنى كثيرا فى القرآن لان الإنسان بطبيعته الضعيفه، و انعدام ثقته بنفسه لا يتبع عقله دائما، بل يتبع الناس و يقول: حشر مع الناس عيد، فلكى يجعلنا القرآن ننظر الى آفاق السماوات و الأرض بلا حجاب يبعدنا عن الضغوط الاجتماعيه التى تكبل عقل الإنسان إذا فى البدء اقطع العلاقه التبعية لكى تكون شخصيه مستقله ثم فكر فى ذلك لأن مفتاح العقل التحرر.

حقائق كونيه:

[٢] اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا

جاء فى الحديث فى تفسير على بن إبراهيم القمى فى حديث طويل عن الامام الرضا عليه السلام عن هذه الآية: قال: فثم عمد و لكن لا ترونها (١) و الله اعلم ما هذه العمدة.

كل تصورنا حتى الآن عن هذه العمدة، أنها ربما تكون تعادل قوى الطرد و الجذب بين الكواكب و النجوم فمثلا: ان قوة الطرد الناشئه من دوران الأرض حول الشمس تساوى بالضبط قوة الجذب للشمس، فعلى ذلك تبقى الأرض ملايين السنين فى مدار واحد، اما لو تغيرت احدى هاتين القوتين لحدث ما لم يكن فى الحسبان فلو زادت قوة الطرد لانفلتت الأرض الى المجهول فى خط مستقيم، و لو زادت قوة جذب الشمس للأرض لالتصقت الأرض بالشمس لأنها ستضطرب فى النهايه لأن تسير فى مسار حلزوني، و لنشبه هذا المثال بما يلى:

أنت تمسك بطرف جبل فى يدك و الطرف الآخر للجبل مشدود به قطعه حجر..

ص: ٢٨٤

حاول أن تدبر الحجر، ماذا يحدث ان الحجر يريد الانفلات، فلا- الحجر ينفلت، و لا- هو يلتصق بيدك، لأن- كلا- القوتين متساويتين، و لكن هب أنك تركت طرف الحبل الذى بيدك، انك تجد الحجر ينفلت، و هب انك أثناء تدويرك للحجر تلف الحبل بيدك ستجد بعد قليل ان الحجر قد التصق بيدك.

ربما هذا التفسير يكون تفسيراً للعمد- و الله أعلم:

ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ان الله سبحانه لم يخلق الحياه كساعه ميكانيكيه تجرى لحالها، بل أنه خلقها، ثم استوى على العرش يدبر أمرها، فحتى حركتك أنت انما هي بإرادته، فكيف بالسموات و الأرض، فالله وراء كل شىء يجرى فى الكون و مدبره.

هناك أحاديث عن العرش تصوّر بأنه مخلوق، و الواقع ان عقلى يقف عند هذه الأحاديث تلك التى تصفه أنه فوق الكون و أكبر منه، و أنه على الماء، و هذا معنى العقل: ان تقف عند حدودك، و لا تقف بما لا تعلم. كما

قال الرسول صلى الله عليه و آله فى وصيته لأبى ذر:

«يا أبا ذر: إذا سئلت عن علم لا تعلمه، فقل: لا أعلمه، تنجى من تبعته و لا تقف بما لا علم لك به تنج من عذاب الله يوم القيامة»
(١) وَ سَيَخْرُ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ كُلُّ يَجْرِي لِأَجْلِ مُسَيَّمِي ان الله سخر الشمس و القمر لأهداف معلومه و الى وقت معلوم لذلك لا نتطرق الى هذه الأهداف، و لكن الذى يهمنى شيان:

ص: ٢٨٧

الشيء الاول: ان الشمس و القمر لفظان يدلان على العموم مما كان من جنسهما، و هذا يعنى حتى الأرض، و ربما أن الله سبحانه ذكر هذين الاثنين للاشاره الى أبناء الأرض.

و لا يمكن تحديد ذلك الوقت بالدقه إلا أن عمر الشمس و القمر يقدر بأعمار الكواكب و النجوم، و على كل حال، ان شمسنا هذه أصبحت كهله بالنسبه الى بعض الشموس الاخرى.

يقول أحد العلماء أن (النجم) يمر من مرحله الى أخرى عملاً بقوانين التطور الطبيعي، و لأنه كان يتطور فانه يهرم، و قد يستغرب القارئ قولنا: ان النجم يهرم، فمنذ ان كانت البشريه لم يسمع أحد بأن النجم القطبي يناع، أو أن قلب العقرب يلفظ أنفاسه! و مع ذلك فان هذا ما يحدث فى الواقع، فكل نجم إذ يلمع يشع طاقه، كأى كائن حى خلال حياته، و إذا أفلح بطريقه ما فى تجديد طاقته فان هذه الطاقه تنضب أخيراً، و يكون هذا النضوب سريعاً بقدر ما يفرط به، و يأتى وقت لا محاله -تنفذ فيه جميع وسائله-.

فاذا نظرنا الى الشمس نلاحظ انها شتت فى الفضاء بشكل اشعاعات كهروطيسيه مختلفه طاقه تبلغ (٠٠٠ و ٣٨٠) مليار مليار كيلواط، و هذا ما يكفى لحمل مياه المحيطات كلها على الغليان فى ثانيه واحده، و تعجز مخيلتنا عن تصور أرقام بهذا المقدار، و لكنها تحملنا على الاعتقاد بأن هذا التبذير لن يمكن الشمس من ان تعمّر طويلاً، و لو كانت مؤلفه من الفحم الصافى لكانت قد تحولت منذ زمان طويل الى رماد، و لكن ما يغذى الشمس بالطاقه ليس وقوداً كيميائياً عادياً، و هى تدين باشعاعها لتفاعل زخمى حرارى دائم، كما هو معلوم.

بقى كلمه و هى ان هذه الآيه تشير الى ان الزمن جزء من الطبيعه.

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ إِنْ اللَّهُ يَفْصِلُ الْآيَاتِ لَنَا، وَ يَقْصِهَا عَلَيْنَا، وَ لَكِنْ مَا هُوَ الْهَدَفُ؟ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ الْيَقِينِ هُوَ أَعْلَى
درجات الايمان.

ص: ٢٨٩

اشاره

وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَ فِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مُتَّجِرَاتٌ وَ جَنَاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَ زُرُوعٌ وَ نَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَ غَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَ نَفَضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) وَ إِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَ أُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥) وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْحَسَنَةِ قَبِيلَ الْحَسَنِهِ وَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَاتُ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَعَدُوٌّ مَغْفِرٌ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦) وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧)

اللغه

٣[رواسي]جبال ثوابت.

[يغشى الليل النهار]يلبس ظلمه الليل ضياء النهار.

٤[صنوان]جمع صنو و هو المثل، و صنوان نخلات يجمعها أصل واحد.

٥[الأغلال]الغَلّ طوق تشد به اليد الى العنق.

٦[خلت]مضت [المثلات]العقوبات و مفردها مثله.

ص:٢٩١

هدى من الآيات:

السياق القرآنى يذكرنا بطبيعه الاختلاف الموجود فى الكون، و أن فى هذا الاختلاف دلالة واضحه على قدره ربنا سبحانه.

ان ما فى هذه الحياه يدل على أن الله رب كل شىء، و ما من إله غيره، كما أنّ توحيد الله يتجلى فى الاختلاف الموجود فى الكون.

لقد مدّ الله الأرض و جعل فيها رواسى شامخات لتحفظها من الميلان و التحرك، و خلق فيها من كل شىء زوجين اثنين، و أولج النهار فى الليل، و الليل فى النهار الا يدعوننا ذلك الى البحث عمّن ينظم هذا الكون، و الا يدلنا ذلك على وحده المنظم، فلو كان المنظم أكثر من واحد هل حدث مثل هذا التناسق العجيب فى الكون؟! و كما ان فى كليه الحياه عبره، فان فى تفاصيل الحياه عبره اخرى، فمثلا طبيعه الأرض الواحده، و اختلافها برغم تجاورها الا تقودنا الى رحاب الأيمان بالله، فهذه

الأشجار تتفاضل على بعضها فى الأكل، بعضها مفردة و بعضها أزواج..علما بأن هذه الأشجار تشرب من ماء واحده و تنمو فى أرض واحده.

ان هذه الآيات كفيله بتنبية الغافلين ذلك لمن ألقى السمع و هو شهيد، و لكن بالرغم من كثره هذه الآيات و انتشارها فى أرجاء الكون، يبقى الإنسان يرتاب فى قدره ربه على احيائه بعد مماته.

ان خلق الأشياء و ابتداعها من العدم أصعب من إعاده بنائها، و من جهه ثانيه انهم انما أنكروا البعث لأنهم كفروا بربهم، فلم يعرفوه حق معرفته.

إن هؤلاء وضعوا غل الشهوات على افئدتهم فلم يستطيعوا أن يفكروا بحريه، و لذلك تراهم يوم القيامة، نزلاء النار خالدين فيها أبدا، و هؤلاء الذين كفروا برّبهم لم تكن الحياه فى صالحهم لأنهم كانوا و لا زالوا يستعجلون بالسيئه قبل الحسنه، و لو لا أن رحمه الله سبقت غضبه بأن يمهل الإنسان إذا لأخذهم بعذاب بئس.

و هم عند ما يطالبون الرسول بالآيات لا يعلمون بأن الرسول ليس سوى منذر لا يملك ان يأتي بآيه إلا بإذن الله، ثم انهم حين كفروا بما عندهم من الآيات، فمن يضمن ايمانهم بآيات جديده لو جاءتهم، أ ليس هناك احتمال كبير بأن يكفروا بها كما كفروا بما قبلها؟! إذن فالمشكله عند الإنسان هى المنهجيه فى التفكير، و لو صحت هذه المنهجيه لاستطاع أن يفكر تفكيرا سليما من دون حجاب يمنع من الوصول الى المعرفه، و المعرفه تعطيه الحكمة التى قال عنها الله: «مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا»، و القرآن الكريم عبر آياته يهدف إصلاح منهجيه الإنسان فى التفكير بعد ان يبصّره بالقوى الضاغطة عليه، كما أنه يصوّر لنا الطبيعه من جديد حتى يلفتنا إليها و كأننا لم نرها من قبل.

آيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ :

[٣] وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ لَا بَدَ مِنْ رِبْطِ جُزْئِيَّاتِ الْحَيَاةِ بِمَحْوَرٍ وَاحِدٍ لَكِي لَا تَسْتَقْطِبُ جُزْئِيَّاتِ الْحَيَاةِ كُلَّ اهْتِمَامِنَا وَ تَصْرِفِنَا عَنِ الْهَدَفِ، وَ عِنْدَ مَا لَا نُرْبِطُ هَذِهِ الْجُزْئِيَّاتِ بِالْمَحْوَرِ الْإِسْأَسِي نَرَى الْفُرُوقَ وَ الْإِخْتِلَافَ، بَيْنَمَا حِينَ نَنْظُرُ إِلَيْهَا مَعَ نَهْتَدِي إِلَى الْمُدَبِّرِ الْوَاحِدِ وَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي يَدَبِّرُ هَذِهِ الْجُزْئِيَّاتِ وَ يُوْجِّهَهَا.

مَا الَّذِي نَرَى حَوْلَنَا ضَمِنَ هَذَا الْإِطَارَ الْعَامَ.

نَرَى الْأَرْضَ وَ هِيَ كَتَلُهُ كَبِيرُهُ تَسْبِيحٌ فِي الْكُونِ مَدَّهَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَلَى طَوْلِ الْبَصْرِ، وَ لَمْ يَجْعَلْ اسْتِدَارَتَهَا شَدِيدَةً لِتَسْهِيلِ الْبِنَاءِ عَلَيْهَا وَ الزَّرْعِ، وَ لَا - مَنَافَاهُ بَيْنَ اسْتِدَارَةِ الْأَرْضِ وَ امْتِدَادِهَا، فَالْأَرْضُ مُسْتَدِيرَةٌ، وَ لَكِنَّا نَنْظُرُ إِلَيْهَا مِنْ أَى جِهَةٍ فَسَتْجِدُهَا مَمْدُودَةٌ وَ الْإِمْتِدَادُ هَذَا دَلِيلٌ آخَرَ عَلَى الْإِسْتِدَارَةِ، فَأَنْتَ مَهْمَا سَرْتِ فِي خَطِّ مُسْتَقِيمٍ تَجِدُ الْأَرْضَ مَمْدُودَةً إِلَى أَنْ تَعُودَ إِلَى مَكَانِكَ.

وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَ أَنْهَارًا لَمْ يَتْرِكْ اللَّهُ سَبْحَانَهُ الْأَرْضَ تَمِيدًا بَمَنْ فِيهَا، بَلْ ثَبَّتَهَا بِالْجِبَالِ، أَلَيْسَتْ الْجِبَالُ تَدُلُّ عَلَى الْمُدَبِّرِ؟! وَ عِنْدَ مَا نَذْكُرُ الْجِبَالَ لَا بَدَ أَنْ نَذْكُرَ الْأَنْهَارَ لِأَنَّ الْأَنْهَارَ صَنِيعَةُ الْجِبَالِ، كَمَا

جَاءَ فِي تَوْحِيدِ الْمَفْضَلِ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

انظُرْ يَا مَفْضَلُ إِلَى هَذِهِ الْجِبَالِ الْمَرْكُومَةِ مِنَ الطِّينِ وَ الْحِجَارَةِ الَّتِي يَحْسِبُهَا الْغَافِلُونَ فَضَلًا لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا، وَ الْمَنَافِعَ فِيهَا كَثِيرَةً، فَمَنْ ذَلِكَ أَنْ تَسْقُطَ عَلَيْهَا الثَّلُوجُ فَتَبْقَى فِي قَلَالِهَا لِمَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَ يَذُوبُ مَا ذَابَ مِنْهُ فَتَجْرِي مِنْهُ الْعَيُونُ

(١) يقول علماء الجيولوجيا: ان الأرض تعتمد على شبكه قويه و منظمه من الصخور المتصله مع بعضها داخل القشره الارضيه و التي تكون نتوءات أو مرتفعات بعض الأحيان، و لو لا- هذه الشبكه داخل و خارج الأرض لتناثرت الأرض يمينا و شمالا مع دوران الأرض، و لما صار للأرض شكلا معيناً، فالجبال و الشبكه الداخليه لها كالهيكال العظمى للأرض يحفظ شكلها.

وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ مَا علاقته الأرض بالجبال، و ما علاقته الأنهار بالجبال، و ما علاقته النبات بالأنهار.

هذه أشياء مختلفه لكن كل واحد يخدم الآخر، ألا يدل ذلك على وحده الصانع، و أن الأشياء مهما اختلفت فهناك رابط دقيق يربط بين عناصر الكون.

فالنبات له دلالة كبيره إذ لم يخلق من النبات جنسا واحدا، بل من كل نوع من النبات جنسين ذكر و أنثى ليتم التناسل و التكاثر، إلا تكمن حكمه الله في ذلك؟! يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ و هذا الاختلاف دليل آخر على وحدانيه الله سبحانه، و اما لماذا قال بأن الليل هو الذي يغشى النهار، فلأن الأصل في الحياه هو الليل، فتأتى الشمس لتبدد هذا الظلام بعضا من الوقت، هذا من ناحيه، و من ناحيه أخرى فأنَّ اللَّيْلَ و النهار لهما

ص: ٢٩٥

الامام الصادق عليه السلام يفصل ذلك للمفضل بقوله:

«فكر يا مفضل في مقادير النهار و الليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق، فصار منتهى كل واحد منهما-إذا امتدّ-الى خمس عشره ساعه لا يجاوز ذلك، أ فرأيت لو كان النهار يكون مقداره مائه ساعه أو مائتى ساعه؟ الم يكن فى ذلك بوار كل ما فى الأرض من حيوان أو نبات؟! اما الحيوان فكان لا يهدأ و لا يقر طول هذه المده، و لا الإنسان يفتر عن العمل و الحركه، و كان ذلك سيهلكها أجمع، و يؤديها الى التلف، و أما النبات فكان يطول عليه حرّ النهار و وهج الشمس حتى يجف و يحترق، كذلك الليل لو أمتد مقدار هذه المده كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركه و التصرف فى طلب المعاش حتى تموت جوعا، و تخمد الحراره الطبيعیه عن النبات حتى يعفن و يفسد كالذى تراه يحدث على النبات إذا كان فى موضع لا تطلع عليه الشمس» (١) إنَّ فى ذِلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ أن آيات الله فى الكون مبثوثه، و روحك عطشى الى معرفه الحقيقه، و لكن الحقيقه لن تأتى إليك إلا حين تذهب إليها أنت، فأنت بحاجة الى أعمال ذهنك و تفكيرك كى تفهم و تتعظ من هذه الآيات، و التفكير يعتمد على تحريك العقل و اثاره دفائنه، و ربط الأشياء ببعضها، و ربطها كلها بخالقها و مدبرها.

لآيات لقوم يعقلون :

[٤] وَ فى الأرضِ قطعٌ متجاوراتٌ أن الأرض تحتوى على قطع متجاوره يختلف بعضها عن بعض، فبعضها ارض

ص: ٢٩٤

سبخه، و بعضها أرض زراعيه، و بعضها صخريه.. و هكذا.. و

قد جاء فى الحديث عن العياشى:

«يعنى هذه الأرض الطبيعه مجاوره بهذه الأرض المالحه و ليست منها، كما يجاور القوم القوم و ليسوا منهم» (١).

وَ جَدَاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَ زُرْعٌ وَ نَخِيلٌ صِهْيَوَانٌ وَ غَيْرُ صِهْيَوَانٍ يُسْتَقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ كَمَا أَنَّ اخْتِلَافَ الْأَرْضِ الْمُتَجَاوِرَةِ آيَةُ اللَّهِ تَدُلُّ عَلَيْهِ، فَالْجَنَانُ وَ الْخَمَائِلُ الْغَنَاءُ مِنَ الْأَعْنَابِ وَ الزَّرْعِ الْمَخْتَلَفِ وَ النَخِيلِ آيَاتٌ أُخْرَى، وَ الْعَجِيبُ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ النَخِيلِ اثْنَتَيْنِ تَخْرُجُ مِنْ أَصْلِ وَاحِدٍ، وَ الْأَعْجَبُ هُوَ اخْتِلَافُ ثَمَارِ الْأَشْجَارِ عِلْمًا بِأَنَّهَا تَسْتَقَى مِنْ مَاءٍ وَاحِدٍ، وَ تَسْتَمِدُّ الْغَذَاءَ مِنْ أَرْضٍ وَاحِدَةٍ، وَ أَنَّ الشَّجَرَةَ تَنْبَتُ نَوْعًا وَاحِدًا مَهْمَا وَضَعْتَهَا فِي تَرَبِهِ مَخْتَلَفٍ أَوْ فِي جَوْ مَخْتَلَفٍ.

وَ نَفْضُ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ لَمْ يَقُلْ: «أَنَّهَا تَتَفَاضَلُ عَلَى بَعْضِهَا» وَ إِنَّمَا قَالَ «وَ نَفْضٌ» أَيْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي أُعْطِيَ لِكُلِّ ثَمَرِهِ خَاصِيَهُ فِي الطَّعْمِ وَ اللَّوْنِ وَ الشَّكْلِ وَ الْمَنْفَعَةِ، وَ مَا اخْتِلَافُ الطَّعْمِ إِلَّا دَلَالَةٌ عَلَى اخْتِلَافِ الْمَوَادِّ وَ الْفَوَائِدِ، وَ مَا اخْتِلَافُ الْمَوَادِّ وَ الْفَوَائِدِ، وَ كَذَلِكَ الْفَوَائِدُ إِلَّا دَلِيلٌ عَلَى حِكْمِهِ رَبَّانِيهِ، فَجَسْمُكَ يَحْتَاجُ إِلَى نَسْبِهِ مَعِينَهُ مِنَ الْحَدِيدِ، لِذَلِكَ تَجِدُهَا فِي بَعْضِ الْخَضِرَوَاتِ، وَ كَذَلِكَ بِالنَّسْبِ أَنْوَاعَ الْفَيْتَامِينِ وَ السُّكْرِيَّاتِ وَ غَيْرِهَا.. عِلْمًا بِأَنَّ مِقْدَارَ مَا يَحْتَاجُهُ جَسْمُكَ مَوْجُودٌ فِي فَكْهِهِ مَعِينَهُ أَوْ لَيْسَ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ تَدْبِيرٍ مَوْحَدٍ بَيْنَ حَاجَةِ الْجَسْمِ وَ نَسْبِهِ هَذِهِ الْحَاجَةِ فِي هَذِهِ الثَّمَرَةِ، ثُمَّ أَلَيْسَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ رَبَّ الثَّمَرَةِ وَ خَالِقَهَا هُوَ خَالِقُكَ؟

ص: ٢٩٧

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ العقل هو الاستيعاب، وقد أكد عليه هنا بينما في المره السابقه قال: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» فهاتان الآيتان تقودنا الى فكره و هي: أن التفكير بدايه العقل و العقل هو طريقه الهدايه.

لماذا الكفر بالبعث؟

[٥] وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِذَا لَفِيَ خَلْقٍ جَدِيدٍ إِذَا كُنْتَ تَعَجَّبُ مِنْ شَيْءٍ فَهَذَا شَيْءٌ أَعْجَبُ وَهُوَ قَوْلُ الْكُفَّارِ بِانْكَارِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَكِنْ هَلْ أَنْ الْمَوْتَ نَهَايَهُ كُلِّ شَيْءٍ؟ فِي الْحَقِيقَةِ أَنْ الْعَقْلَ يَقْضِي بِأَنْ يَكُونَ هُنَاكَ يَوْمَ يَحْسَبُ فِيهِ كُلُّ إِنْسَانٍ، وَ يَرْجِعُ لِيَقِفَ إِمَامَ ظَالِمٍ فَيَنْتَصِفُ مِنْهُ، أَوْ يَنْتَصِفُ مِنْهُ إِذَا كَانَ ظَالِمًا لَهُ، وَ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَرَى عَظْمَهُ الْكَوْنَ كَيْفَ يَنْكَرُ الْبَعْثَ، أَلَيْسَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى عَدَمِ اسْتِعَابِهِ لِحَقَائِقِ الْكَوْنَ؟ أَوْ لَيْسَ مِنَ الْعَبْثِ أَنْ يَعِيشَ الْإِنْسَانُ خَبَالًا مَضَلًا وَ يَتْرَكَ؟ وَ لَكِنْ هَلْ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ عَلَى خَالِقِ هَذَا الْكَوْنَ أَنْ يَعِيدَهُ كَمَا كَانَ؟! إِنَّ انْكَارَ الْبَعْثِ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ انْكَارٌ لِلْمَسْئُولِيَّةِ، وَ جَدُّ لِلْأَمْرِ الْمَفْتَرَضِ اتِّبَاعَهُ وَ مِنْ هُنَا فَانْ انْكَارَ الْحَقِيقَةِ الْوَاضِحَةَ يَسْمَى كُفْرًا.

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ قَدْ يَقُولُ الْبَعْضُ: إِنَّا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ لَكِنْ لَا نُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَ الْحَقِيقَةُ أَنْ الْكُفْرَ بِالْبَعْثِ يَنْسَحِبُ عَلَى سَائِرِ الْأَشْيَاءِ، فَالْكَفْرَ بِالْبَعْثِ كَفْرٌ بِاللَّهِ بِدَرَجَةٍ أَوْلَى، لِأَنَّهُ انْكَارٌ لِقُدْرَةِ اللَّهِ وَ عَدْلُهُ، وَ هَلْ يَكُونُ الْمُنْكَرُ لِمِنْ لِسْفَاتِ اللَّهِ كَلًّا أَوْ بَعْضًا إِلَّا كَافِرًا؟ وَ أُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ

يظهر من النصوص أن: «الجزاء من جنس العمل» فلأنهم غلّوا أعناقهم في الدنيا بأغلال المصلحيه و الأفكار البعيده و أو صدوا أبواب فكرهم كان جزاؤهم في الآخره ان يغلوا كما غلّوا أنفسهم.

وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ هذه هي النهايه المثلى لمن يكفر بالآخره، و ما جزاء من يتهرب من المسؤوليه في الدنيا الا أن يسجن في الآخره، و ما جزاء من يرفض الأمر الواقع، الا أن يقع في واقع النار!! و قد سماهم الله أصحاب النار. أى بينهم و بين النار صداقه لا يفترقان، و قد سماهم الله أصحاب النار في الدنيا، لأن النار نتيجه حتميه لهم، و النار وفيه لأصحابها.

سنه الله و موقف الكفار:

[٦] وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ أليس من الحمق أن يفضل الإنسان السيئه على الحسنه، هل لأن الحسنه لا تعجبه فيتمنى العذاب، و لكنهم في الحقيقه نسوا ما حل بمن قبلهم قوم نوح، و عاد، و ثمود، و قوم لوط، و أصحاب الرس.. و غيرهم.

وَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ان رحمه الله سبقت غضبه، فهذه بشاره الله للمذنبين بأن يتوب عليهم إن هم تابوا إذ ان، مشكله أغلب الناس أنهم عند ما يرون أنفسهم في الفساد يأسون من رحمه الله، و يجزمون بأن الله لا يغفر لهم فييقون على ما هم عليه.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ إِنْ اللَّهُ رَحِيمٌ بَعَادَهُ وَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْهُمْ، وَ لَكِنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ اسْتَمَرَ فِي ظُلْمِهِ، فَمَغْفِرَتُهُ تَقْفُ فِي حُدُودِ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ، وَ لَكِنْ إِذَا عَثَى الْإِنْسَانُ فِي الظُّلْمِ فَانْجَهْنِمُ هِيَ الْمَثْوَى وَ الْمَصِيرُ.

فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ:

«لَوْ لَا عَفْوُ اللَّهِ وَ تَجَاوُزُهُ مَا هُنَا أَحَدٌ الْعَيْشِ، وَ لَوْ لَا وَعِيدُ اللَّهِ وَ عِقَابُهُ لَاتَّكَلَّ كُلُّ أَحَدٍ» (١)

الاستخلاف:

[٧] وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ هَؤُلَاءِ لَا يَكْفِيهِمْ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ، بَلْ يَرِيدُونَ الْمَزِيدَ، وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَصِفُ الرَّسُولَ بِقَوْلِهِ:

إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ هَذِهِ حُدُودُكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ، فَلَيْسَ مِنْ مَسْئُولِيَّتِكَ أَنْ تَأْتِيَ بِالْآيَاتِ..

وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي رَسُولِ اللَّهِ وَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ هُوَ الْهَادِي لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بَعْدَهُ، وَ قَدْ بَلَغَتْ الرِّوَايَاتُ فِي هَذَا الْمَجَالِ حَدَّ الْإِسْتِفَاضَةِ وَ مِنْهَا مَا

جاء

ص: ٣٠٠

فى دعاء الندبه فى حق على عليه السلام :

«إذ كان هو المنذر و لكل قوم هاد» و

قد جاء فى تفسير العياشى، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«فينا نزلت هذه الآية» إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ فقال رسول الله صلى الله عليه و آله :

«انا المنذر و أنت الهادى يا على، فهنا الهادى و النجاه و السعاده الى يوم القيامة» [\(١\)](#)

ص: ٣٠١

١-١) تفسير نور الثقلين-ج ٢-ص ٤٨٤

اشاره

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزِدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ (٩) سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (١١) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيَسْبِغُ الرِّيحُ بِحَمِيدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣) لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤)

اللغه

٨[تغيض]الغيض ذهاب المائع في جهه العمق،و غاضت المياہ نقصت و غيضته نقصته.

١٠[سارب]السارب السارى الجارى بسرعه،و السرب الماء السائل من المزاده.

١١]معقبات[المتناوبات التى يخلف كل واحد منها صاحبه و يكون بدلا منه،و أصل التعقيب أن يكون الشىء عقيب آخر،و المعقب الطالب دينه مره بعد مره،و منه العقاب لأنه يستحق عقاب الجرم.

١٣]الصواعق[جمع صاعق و هى نار تسقط من السماء.

[المحال[الأخذ بالقوه.

ص:٣٠٣

هدى من الآيات:

يذكرنا السياق القرآنى فى سورة الرعد بآيات الله فى الكون، و يوجهنا الى النظر «العبرى» إليها لكي نصل من خلالها الى معرفه الله سبحانه، لأن الغايه التى خلق الله من أجلها هذا الكون هى معرفته فى الدرجه الأولى، و آيات الله فى الطبيعه أقرب ما تكون الى الإنسان و تصورهِ، لأن الإنسان تراب و يحنّ الى أصلهِ، و كل شىء فى الكون تجسيد لاسمائه سبحانه، و ينحرف الإنسان إذا ما اتبع عقله فى كشف حقائق الكون.

و هذا الدرس يذكر ببعض صفات الله، و يذكر الإنسان بهذه الحقائق التى يغفل عنها و ينساها دائما فالله سبحانه يعلم ما تحمل الإناث فى بطونهن من ذكر أو أنثى -ليس ذلك فحسب- بل يعلم تفاصيل حياه الجنين و ما يحمل من صفات وراثيه. و غيرها و علم الأجنه هو أحد العلوم الخمسه التى لا يعلمها غيره، قال تعالى:

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ

مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤/القمآن) و علم الله لا يقف عند حدود الأجنه، بل هو يعلم كل مكنون من القول و كل ظاهر منه، و كل من سار بالليل أو سرب في النهار، و علم الله ليس الشهود وحده أو الغيب وحده، بل علمه محيط بهما معا، فعلمه بالغيب كعلمه بالشهادة، و كيف لا و هو مع كل شيء، و أقرب الى كل شيء من أي شيء، و هو معنا أينما كنا، و أقرب إلينا من جبل الوتين، ف سبحانه الله الكبير المتعال: أكبر من التصور، متعال عن مجانسه الخلق.

و من آياته ان جعل مع كل نفس ملائكة تحفظها من الأخطار، فاذا جاء أجلها خلّوا بينها و بين الأجل.. الا يدل ذلك على رحمته ربنا، و أنه أرحم بنا منا، و أنه كيف نحفظ أنفسنا و نحن لا نستطيع ان ندفع عنها ضرا أو نجلب لها نفعاً، و لو قلنا بأننا نستطيع أن ندفع عن أنفسنا حال غفلتنا و انشغالنا، إذا فالإنسان ليس سيد نفسه، بل الله سيده على نفسه، و ان له الولاية المطلقة، و لكن الله سبحانه مع حفظه للإنسان يسمح بمرور العذاب و البلاء بمقدار ما تستحق كل نفس إن الله لا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ .

و من آيات الله ان يرافق السحب الثقال البروق و الرعود خوفا من عقابه و رجاء لرحمته، فهذا الرعد الذي يسبح بحمده يهز ضمائرنا، و يذكرنا بعظمه الجبار، و سرّ عظمه الرعد أنه خاضع لله، مسبح بحمده، و ليس الرعد وحده هو الذي يسبح بحمده، بل أن الملائكة التي تقوم بأمر الرعد و السحاب تسبح كذلك خشيه منه..

هُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ .

أبعد هذه الآيات يكفر الإنسان بالله و يشرك به غيره؟! إن هو آمن بالله وفقه للخيرات، و ان أشرك به لم يوفق للخيرات و لن يصل الى غايه حميده فسوف يبقى في

عطش، و لن ترويه الآلهه الاخرى، و دلالة اخرى على علم الله و مقدرته أنه يستجيب لمن يؤمن به، لأنه فى موقع العلم بالمسأله و موقع القدره على الاجابه، اما الآلهه الأخرى فهم أعجز من ان يحيطوا علما بما تكن نفس البشر، و أعجز من أن يستطيعوا تلبية مطالبه.

بينات من الآيات:

علم الله:

[٨] لو عرف الإنسان أن ربه محيط به علما لاطمأن الى رحمته، و لخشى عذابه لأنه آتئذ يشعر بأن الله يحيط بسكناته و حركاته.. سرّه و جهره، و لاستقامت سيرته و سلوكه، و الآيات القرآنيه تذكرنا بهذه البصيره المره بعد الأخرى، و ذلك بسبب غيابها عنا، و عدم حضورها فى تصورنا، و غيابها عنا كان السبب المباشر لانحرافاتنا و علم الله بالإنسان شامل فمنذ ان كان جنينا يعلم تفاصيل حياته.

□
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَ مَا تَزْدَادُ ان علم الله أحاط بالجنين هل هو ذكر أم أنثى، و هل سيعيش شقيًا أم سعيدا، و يعلم أثناء الحمل و عند الولادة ما سيحمله الجنين من صفات كما انه دبر أمر الإنسان جنينا فأطعمه و سقاه.

جاء فى توحيد المفضل عن الامام الصادق عليه السلام :

«اعتبر يا مفضل فيما يدبر به الإنسان فى هذه الأحوال المختلفه، هل ترى مثله يمكن ان يكون بالإهمال..؟ أ رأيت لو لم يجر اليه ذلك الدم و هو فى الرحم، ألم يكن سيدوى و يجف كما يجف النبات إذا فقد الماء؟!..» و

فى موضع آخر قال المفضل: فقلت: صف نشوء الأبدان و نموها حالا بعد حال

حتى تبلغ التمام و الكمال، قال عليه السلام:

«أول ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين، و لا تناله يد، و يدبره حتى يخرج سويا مستوفيا جميع ما فيه قوامه، و صلاح الأحشاء و الجوارح و العوامل الى ما في تركيب أعضائه من العظام و اللحم و الشحم و العصب و المخ و العروق و الغضاريف، فاذا خرج الى العالم تراه كيف ينمو بجميع أعضائه و هو ثابت على شكل و هيئته لا تتزايد و لا تنقص الى أن يبلغ أشده..» (١) و علم الله محيط بما تحمل الإناث من الأجنة «و ما تغيض» أى ما تفيض و تسقط مما لم يكتمل خلقه، «و ما تزداد» سواء كانت الزيادة فى العدد أو الزيادة فى الأعضاء.

جاء فى تفسير العياش عن الامام الصادق عليه السلام :

«ما تحمل أنثى: الذكر و الأنثى، و ما تغيض الأرحام: ما كان من دون التسعه و هو غيض، و ما تزداد: ما رأت الدم فى حال حملها ازداد به عن التسعه أشهر».

«ما تغيض: ما لم يكن حملا، و ما تزداد: الذكر و الأنثى جميعا» (٢) وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ لِكُلِّ شَيْءٍ فِى هَذَا الْكُونِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، و قدر مكتوب فنحن لا نعرف هذه الأقدار لذلك ننسب الأشياء الى الكبر و الصغر، و الطول و القصر، و لكن لو تعمقنا لعلمنا ان

ص: ٣٠٧

١-١) بحار الأنوار-ج ٣-ص ١١٧-١١٩

٢-٢) تفسير الصافي-ج ٣-ص ٥٩

الحراره فى جسم الإنسان بقدر معين، و ان للجبال قدرا و أوزانا معينه، بل لكل معدن قدر معين فى الكثافه و الكتله و الوزن، و حتى الهواء و الضياء له وزن و مقدار.

مظاهر علم الله:

[٩] عَالَمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ كَمَا الشُّهُودِ، كِلَاهِمَا يَتَسَاوَى عِنْدَهُ فِى الظُّهُورِ.

الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ انه أكبر من ان يوصف و انما يتفاضل الأشياء بالكبر و يقاس ببعضها إذا كانت من جنس واحد و ليس الله من جنس الأشياء بل انه الخالق و هى مخلوقات لذلك

جاء فى الحديث: ان رجلا كبر عند الامام الصادق عليه السلام فسأله عليه السلام :

«الله أكبر من أى شىء؟ فقال (الرجل): من كل شىء، فقال عليه السلام:

حدّته! فقال الرجل: كيف أقول؟ قال:

قل: الله أكبر من أن يوصف « و

فى حديث: ان الامام بعد ما سأل الرجل عن أن الله أكبر من أى شىء؟ و قال له: أنه أكبر من كل شىء. أجابه الامام فقال:

«و كان ثمّه شىء فيكون أكبر منه!!!»

فقال: وما هو؟ فقال:

أكبر من ان يوصف» (١) والمتعال: مهيمن على كل شيء و متعال عليه، و أنه لا يماثل شيء و لا شيء يماثله.

[١٠] سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسِرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سَارِبٌ بِالنَّهَارِ كَمَا الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ عِنْدَهُ سَوَاءٌ كَذَلِكَ الْمَكْتُومِ مِنَ الْقَوْلِ وَ الْمَجْهُورِ بِهِ، وَ كَذَلِكَ هُوَ مُحِيطٌ عِلْمًا بِمَنْ يَكْمُنُ فِي اللَّيْلِ سَارِيًا بِظِلْمِهِ، وَ مَنْ يَتَحَرَّكُ نَهَارًا سَارِيًا فِي ضَوْءِهِ.

حَتَّى يُعْزِرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ :

[١١] لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أَيْ مَلَائِكَةٌ يَتَعَقَّبُونَ بَعْضُهُمْ بَعْدَ بَعْضٍ لِيَحْفَظُوا الْإِنْسَانَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْأَخْطَارِ، وَ لَكِنْ إِذَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَحْفَظُنَا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْأَخْطَارِ فَلِمَاذَا نَمُوتُ، وَ لِمَاذَا تُصَيَّبُنَا بِالْمَخَاطِرِ كُلِّ لِحْظَةٍ؟ أَمَا لِمَاذَا نَمُوتُ فَإِنَّ أَجَلَ الْإِنْسَانِ إِذَا جَاءَ لَا تَمْنَعُ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُ، بَلْ إِنَّهَا سَوْفَ تَخْلِي بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَ بَيْنَ حَتْفِهِ، أَمَا لِمَاذَا نَتَعَرَّضُ لِلْمَشَاكِلِ كُلِّ لِحْظَةٍ، فَهَذَا مَا سَتَجِيبُ عَلَيْهِ نَهَايَةَ الْآيَةِ:

ص: ٣٠٩

و لنا ان نتساءل: ما علاقته الإنسان بالملائكة حتى يحفظوه؟ أولا: الملائكة عباد مكرمون لله، لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون.

ثانيا: ان لكل شىء فى الحياه ملكا موكلًا به، فللسحاب ملك موكل به و للرعده ملك موكل به، و للبحر ملك موكل به - وهكذا.. يكون للإنسان ملك موكل به، لأنه جزء من الطبيعه.

ثالثا: ان الله عند ما أسجد ملائكته لآدم فان ذلك دلالة على سجود الطبيعه و تسخيرها له و هكذا سخر الله الملائكة لخدمه الإنسان.

إذا لارجع الى نهايه الآيه و نقول: ان الإنسان هو الذى يصنع واقعه بنفسه، و لا نشك ان للتصرفات و السلوك الانسانى دخلا فى صنع الظروف المؤثره فيه، فباستطاعتك ان تغيّر نفسك، و إذا غيرت نفسك فانك آتئذ تغيّر ما حولك.

و هكذا الظروف التى تمر بها الأمه الاسلاميه، و ما مرت به بالأمس انما كان بسبب نفسى، فاذا لا يجب ان نلقى اللوم على الحكام و حدهم، بل يجب ان نراجع حساباتنا، و نمارس النقد الذاتى الصريح بحق أنفسنا.. و هذا هو العلاج الأمثل لذلك قال ربنا:

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ان الله هو المهيمن الواحد ان شاء أعطى، و ان شاء محق النعم، و لكن الله سبحانه لن يصيب قريه بالسوء و أهلها مصلحون، فاذا دبر الله لأى قوم سوء، فانما ذلك بما كسبت أيديهم، و حين يصب الله السوء على قوم فليس هناك من يحول بينه و بين إرادته.

[١٢] هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبُرُوقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا خَوْفًا مِنَ الصَّوَاعِقِ، وَ طَمَعًا لِمَا تَنْبِئُ بِهِ مِنَ الْمَطَرِ وَ الْخَيْرَاتِ.

وَ يُنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ السَّحَابَ الْمَثْقَلُ بِالْأَمْطَارِ.

جاء فى حديث طويل فى جدال للإمام الصادق مع ملحد فى التوحيد يشتهر باسم توحيد الاهليلجيه:

«ثم نظرت العين الى العظيم من الآيات من السحاب المسخر بين السماء و الأرض بمنزله الدخان، لا جسد له يلمس بشىء من الأرض و الجبال، يتخلل الشجر فلا يحرك منها شيئاً و لا يهصر منها غصناً، و لا يعلق منها بشىء، يعترض الركبان فيحول بعضهم من بعض من ظلمته و كثافته، و يحتمل من ثقل الماء و كثرته ما لا يقدر على صفته، مع ما فيه من الصواعق الصاعده، و البروق اللامعه، و الرعد و الثلج ما لا تبلغ الأوهام صفته، و لا تهتدى القلوب الى كنه عجائبه، فيخرج مستقلاً فى الهواء يجتمع بعد تفرقه، و يلتحم بعد تزايله، تفرقه الرياح من الجهات كلها الى حيث تسوقه بإذن الله ربها، يسفل مره، و يعلو اخرى، متمسك بما فيه من الماء الكثير الذى إذا أزجاه صارت منه البحور، يمرّ على الاراضى الكثيره، و البلدان المتناثيه، لا تنقص منه نقطه حتى ينتهى الى ما لا يحصى منه الفراسخ فيرسل ما فيه قطره بعد قطره، و سيلا بعد سيل، متتابع على رسله حتى ينقع البرك، و تمتلئ الفجاج، و تمتلئ الاوديه بالسيول كأمثال الجبال غاصه بسيولها، مصمخه الآذان لدويها و هديرها، فتحبى بها الأرض الميتة فتصبح مخضره بعد ان كانت مغبره، و معشبه بعد ان كانت مجدبه، قد كسيت ألوانا من نبات عشب ناخره

زاهره، مزينه، معاشا للناس و الانعام فاذا أفرغ الغمام ماءه أقلع و تفرق و ذهب حيث لا يعاين و لا يدري اين تواری» (١) [١٣] وَ
يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ التَّسْبِيحُ هُوَ التَّنْزِيهِ، فِهَذَا الرَّعْدُ بِقُوَّتِهِ يَخْضَعُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَ مِنْ تَخَضُّعِهِ لَهُ الْقُوَّةُ أَيْسَ بِقُوَّةِ؟! وَ الْمَلَائِكَةُ
مِنْ خِيفَتِهِ هَذِهِ الْمَلَائِكَةُ هِيَ الْمَهِيْمَةُ عَلَى الطَّبِيعَةِ، آيَةُ سُلْطَانِ هَيْمَنَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا تَسْبِيحُ بِحَمْدِ اللَّهِ خَوْفًا مِنْهُ لِبَعْضِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَ

قد ورد في الدعاء في الصحيفة السجادية عن الامام على بن الحسين عليهما السلام في دعائه للملائكة و السلام لهم:

«و على الملائكة الذين من دونهم من سكان سماواتك، و أهل الامانه على رسالاتك، و الذين لا تدخلهم سأمه من دؤوب، و لا
إعياء من لغوب و لا فتور، و لا تشغلهم عن تسيحك الشهوات، و يقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات، الخشع الأبصار فلا يرمون
النظر إليك، النواكس الأذقان الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك، المستهترون بذكر آلائك، و المتواضعون دون عظمتك و
جلال كبرياتك، و الذين يقولون إذا نظروا الى جهنم تزفر على أهل معصيتك، سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، فصل عليهم»
(٢) وَ يُرْسَلُ الصَّوَاعِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ

ص: ٣١٢

١-١) بحار الأنوار-ج ٣-ص ١٦٣

٢-٢) الصحيفة السجادية-ص ٤٦

الصاعقه آيه من آيات القدره يرسلها الله على من يشاء من عبده العاصين.

وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ابعده هذه القدره و الهيمنه يجادلون في الله؟بلى ان الله شديد القوه و المكر، سيصيهم بما كسبوا قارعه أو يحل قريبا من دارهم البوار.

الايمان بالله و مناهات الشرك:

[١٤] لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ أَى اليه ترجع دعوه الحق، فالعباده الصحيحه ترفع الى الله سبحانه و يستجيب لها.

وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَ مَا هُوَ بِبَالِغِهِ هذا هو حال من يعبد غيره، انه لن يصل الى نتيجته ما، فهو يعبد غيره لعله يصل الى مراده، و لكنه لن يصل، و سيقى عطشانا أبدا، لأنه رام الارتواء من غيره و

قد جاء فى تفسير(على بن إبراهيم)عن الامام الباقر عليه السلام :

«فهذا مثل اضربه للذين يعبدون الأصنام و الذين يعبدون آلهه من دون الله، فلا يستجيبون لهم بشيء و لا ينفعهم الا كباسط كَفَّيْهِ الى الماء ليتناوله من بعيد و لا يناله» (١) وَ مَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ .

ص: ٣١٣

اشاره

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (١٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦) أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِجِذْرِهَا فَاخْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧) لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَٰى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولٰٓئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ بُسِّ السَّمِيعَاتِ (١٨)

اللغة

١٥] و ظلالهم[الظلال جمع الظل و هو ستر الشخص ما يازائه،و الظل الظليل هو ستر الشمس اللازم.

١٧]أوديه[الوادي سفح الجبل العظيم المنخفض الذي يجتمع فيه ماء المطر، و منه اشتقاق الدّيه لأنه جمع المال العظيم الذي يؤدي عن القتيل.

ص: ٣١٥

هدى من الآيات:

فى سياق سورة الرعد التى تدلنا على الله من خلال كائناته، يذكرنا هذا الدرس بأن كلّ شىء خاضع لله من ملائكته و سائر خلقه طوعا أو كرها، و ليست الأشياء وحدها خاضعه لله بل حتى ظلالها و انعكاسها خاضع له سبحانه، و إذا تساءلت من الذى يدبر أمر السماوات و الأرض؟ لجاءك الجواب: بأنه الله سبحانه، إذا فلما ذا يتخذ الإنسان وليا من دونه؟! و هل هناك إله يملك النفع و الضر سواه؟ كلا..

إن الفرق بين من يؤمن بالله و بين من لا يؤمن به كالفرق بين البصير و الأعمى، و النور و الظلمات، و المؤمن عند ما يتصل بالله يتحول من لا شىء الى شىء، و لأن الله مهيمن على كل شىء و خالق كلّ شىء و به تقوم الأشياء فانه كلما كان الايمان أعمق كلما كان الإنسان أكبر.

إن الله سبحانه رازق كلّ شىء فمثل رسالته كمثل غيث ممطر من السماء على

الأرض فتستقبلها الأودية ليروى الزرع و الضرع، و يجعل الأرض مخضرة، و يزيل شوائب الحياه «الزبد» و لكن الإنسان بدل أن يهتم بالماء نجده يهتم بهذا الزبد الطافح عليه، ألا يدل ذلك على قصر النظر؟! فليس النفع في الزبد و لكن النفع في الماء، و الزبد هو الشيء الظاهر، و الإنسان لا يبحث غالبا عن الظاهر، و هو عادة يحب المظاهر، فالزبد يمثل متع الحياه الدنيا و ليست الحياه الدنيا بأفضل من الزبد، بل هي و الزبد سواء.

بينات من الآيات:

الخشوع بين الطوع و الإكراه:

□ [١٥] وَ لِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا «من» اسم موصول للعاقل و يبدو ان المراد منه هنا مطلق الأشياء. و ذلك لأن ما نسب إليها هو فعل العقلاء فلله يسجد من في السماوات و الأرض من الكائنات كالحيوان و الإنسان، و غيرهما مما لا يعلمه إلا الله، انما تسجد لله خاضعه له بإرادتها فان لم تسجد لله طوعا أسجدها الله له كرها، و السجود بالنسبه للمكرهين تعبير عن الخشوع لأمره، فهذا الإنسان محكوم بقوانين وضعها الله له في كل جوانب حياته، و بعد مماته.

□ وَ ظِلًّا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصَالِ الْغَدُو صباحا مع شروق الشمس، و الآصال مساء عند غروب الشمس، و هذا تعبير عن حركه الأرض حول الشمس، و الغدو و الآصال هو بدايه و نهايه نشوء الظل، فالظل يبتدئ طويلا فيأخذ بالقصر حتى منتصف النهار، حيث ينعدم و يبدأ في الطول، حتى ينعدم نور الشمس، فهو يبتدئ طويلا، و ينتهي طويلا، و ينعدم فيما بينهما. و هكذا تخضع الظلال لحركه الشمس المسخره بدورها لله

سبحانه. أ فلا يدلنا ذلك على سجود الطبيعه لله.

[١٦] قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ لَيْسَ الْعَجَبُ فِي الظل بل في منشأ الظل، فكما قلنا: إن منشأ الظل هو دوران الأرض حول الشمس، إذا فالعجب كل العجب في هذين الخلقين السماوات والأرض، من ربهما و مسيرهما؟ بالطبع هو الله وحده.

قُلْ أ فَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ إِذَا كَانَ اللَّهُ بِهِدِ القوه و الهيمنه، إذا فلما ذا نتخذ غيره وليا لا- يملك من هذه القوه و الهيمنه شيئا، بل لا يملك قوه ذاته، و لا هيمنه على قواه.

لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا هذِهِ الأصنام الحجرية أو البشرية لا تملك النفع لنفسها، و لا دفع الضر عنها، فهل هي قادره على إعطائك النفع أو دفع الضر عنك؟! قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ المشكله ليست في الحقائق من حولك، إنما المشكله في أعيننا، فالعين مدخوله، أما الحقائق فموجوده، و العمى و البصر الحقيقيان ليسا في العين، بل في القلب كما قال تعالى: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ .

أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَ النُّورُ الظلمات كما جاء في الخبر هي الكفر، و النور هو الإيمان.

أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ

لَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا- يستطيع أى إنسان مهما كان أن يدعى أن هناك خالقاً غير الله لهذا الكون، فإذا لم يعترف بالله مثلاً فلن يقول: إن الكون خلق نفسه، قال تعالى: وَلِئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ / العنكبوت. ٦١

وَ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ قد يكون الواحد قهاراً و قد لا يكون، و لكن الله واحد و قهار.. واحد تدل على ذلك آياته، و قهار غالب على كل شىء بقدرته و إرادته، أما عصيان البشر له فليس انحساراً لقهره، بل لأنه يمهل الكافرين ليزدادوا إثماً مع إثمهم، و إنما عجله الله و انتقامه السريع هو الانحسار الحقيقى لقهر الله فكما

ورد فى الدعاء: [إنما يعجل من يخاف الفوت، و إنما يحتاج الى الظلم الضعيف].

فأما الزبد فيذهب جفاء:

[١٧] أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا أَيَّ ان الأودية تسيل بقدر قطر المطر، و هذه الآية تلمح الى أن المطر له مقادير معينه يقدرها الله حسب طاعه أو معصيه العباد، كما فى قصه أصحاب الأحقاف (قوم هود) لما كفروا قطع الله عنهم المطر سبع سنوات، و بعد أن جاءهم أهلكتهم، و قد قال تعالى: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً .

فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبِداً رَابِياً يقال: حمل للحامل بإرادته أو كان راضياً، أما احتمل أى حمل قسراً، كما يقال للضيف الثقيل: احتملت الضيف، أو كما يقال: احتمل الأذى، فالسيل

يحتمل الزبد، و كأن الزبد غير مرغوب فيه، و الزبد هو المخلفات و الأوساخ يجرفها السيل معه، و قال صاحب المجمع: الاحتمال رفع الشيء على الظهر بقوه الحامل له، و يقال: علا- صوته على فلان فاحتمله و لم يغضب، و الزبد و ضر الغليان، و هو خبث الغليان، و منه زيد القدر و زيد السيل، و رابيا: مرتفعا يتزايد باستمرار تدفق السيول عليه.

وَمَا يُوقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيِّهِ أَوْ مَتَاعٍ زَبِيدٌ مِثْلُهُ كَمَا أَنَّ مَا يَجْرَفُهُ السَّيْلُ زَبِيدٌ، فَكَذَلِكَ الْمَعَادِنُ الَّتِي تَصْهَرُ بِالنَّارِ لِتَصْنَعُ مِنْهَا الْحُلَى هِيَ زَبِيدٌ أَيْضًا، وَ هَذِهِ إِشَارَةٌ بِأَنَّ صِنَاعَةَ الْحُلَى تَعْتَمِدُ عَلَى الصَّهْرِ بِدَرَجَاتٍ حَرَارِيَهُ كَبِيرَةٍ، وَ سَبَبُ أَنَّ مَتَاعَ الْحَيَاةِ زَبِيدٌ أَنَّهَا تَشْغَلُ الْإِنْسَانَ بِالظَّاهِرِ، وَ تَدْعُهُ يَنْسَى هَدْفِيهِ الْحَيَاةِ، وَ يَتَصَوَّرُ أَنَّ هَدْفِيهِ الْحَيَاةِ هُوَ مَا يَحْصُلُ مِنْ هَذِهِ الْمَتَاعِ.

كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَ الْبَاطِلَ إِذَا فَمَتَعَ الْحَيَاةَ مِثْلَ الزَّبِيدِ، وَ هَذَا هُوَ الْبَاطِلُ، أَمَا الْحَقُّ فَعَادَهُ مَا يَغْفُلُ عَنْهُ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْحَقَّ لَيْسَ الَّذِي يَسْتَهْوِيكَ، أَمَا الْحَقُّ هُوَ الَّذِي يَكْمُنُ خَلْفَ الْمَبَاهِجِ، فَلَا تَغْرَنُكَ الْمَبَاهِجُ بَلْ ابْحَثْ خَلْفَهَا عَنِ الْحَقِيقَةِ النَّاصِعَةِ.

فَأَمَّا الزَّبِيدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً أَيَّ أَنْ الزَّبِيدَ يَتَلَاشَى وَ يَضِيْعُ هَدْرًا، قَالَ الرَّاعِبُ فِي مَفْرَدَاتِهِ: جَفَاءً: هُوَ مَا يَرْمَى بِهِ الْوَادِي أَوْ الْقَدْرُ مِنَ الْغَثَاءِ إِلَى جَوَانِبِهِ، يُقَالُ: أَجْفَأْتُ الْقَدْرَ زَبْدَهَا: أَلْقَيْتَهُ إِجْفَاءً، وَ أَجْفَأْتُ الْأَرْضَ: صَارَتْ كَالْجَفَاءِ فِي ذَهَابِ خَيْرِهَا. (١)

ص: ٣٢٠

وَ أَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ إِذَا زَالَ الزَّبَدُ بِقَى الْجَوْهَرِ، وَ الْبَاطِلَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَغْطِيَ الْحَقَّ أَبَدَ الْأَبْدِينَ، فَالْبَاطِلَ سَرِيعَ الزَّوَالِ، لِأَنَّهُ ضِدُّ الطَّبِيعَةِ، وَ إِنْ الْبَاطِلَ لَا يَمْتَلِكُ مُؤَهَّلَاتِ الْوُجُودِ لِيَسْتَمِرَّ.

[١٨] لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْخَيْرِ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ هَذِهِ الْعِبْرَةُ مِنَ الْأَمْثَالِ: فَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرِسَالَةِ رَبِّهِمْ الْمَثَلَةَ فِي الْمَطَرِ، وَ سَاحَتِ أَوْدِيَةِ قُلُوبِهِمْ، اسْتَجَابُوا بِالْإِيمَانِ فَانْ لِهِمُ الْحَسَنَى جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِرِسَالَةِ اللَّهِ لَوْ أَنَّ عِنْدَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَ مِثْلَهُ مَعَهُمْ مِنَ الزَّبَدِ لَمَا مَنَعَ عَنْهُمْ سُوءَ الْحِسَابِ وَ جَهَنَّمَ. نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهَا.

اشاره

أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (۱۹) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ
الْمِيثَاقَ (۲۰) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (۲۱) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ
رَبِّهِمْ وَاتَّقُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤْنَ بِالْحَسَنَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (۲۲) جَنَّاتٍ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (۲۳) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ
فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (۲۴)

هدى من الآيات:

ضمن سياق سورة الرعد التى تسوقنا الى الايمان بالله من خلال آياته، يذكركنا الرب بصفات المؤمنين السلوكيه، و صفاتهم النفسيه، و من أبرز صفات المؤمنين الملتزمين:

الوفاء بعهد الله سبحانه الذى عاهد الله به الإنسان فى عالم الذر، و الانتماء الى جبهه الرساله، و معاداه غيرها، و خشيه الله فى كل حال، و الخوف من سوء الحساب، و الصبر عند الشدائد احتسابا لوجه الله، و إقامة الصلاه، و الإنفاق فى السر و العلن، و الخلق الرفيع، و مواجهه الانحراف و الفساد فى المجتمع.

و أخيرا فمن تجسدت فيه هذه الصفات هل هناك جزاء له أحسن من الجنة التى تجرى من تحتها الأنهار، و الملائكه يدخلون عليه من كل باب يرحبون به.

أُولُوا الْأَلْبَابِ :

[١٩] أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ هُنَاكَ مَوْقِفَانِ مِنَ الْقُرْآنِ:

الموقف الأول: هو الموقف المعترف بالحق الكامل المتجسد في القرآن.

الموقف الآخر: هو المتعامى عن القرآن الحق، فالقرآن حق به يبصر قوم و يعمى آخرون، و القرآن لا- يتأثر بعمى قوم أو إبصار آخرين، لأن القرآن حق ثابت، و نحن الذين نتطور بالقرآن و السؤال من الذى يهديه الله الى القرآن؟ الجواب:

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ لِمَا ذُكِّرُوا لِمَا خَصَّ مِنَ يَسْتَفِيدُ مِنَ الْقُرْآنِ بِأَصْحَابِ الْعُقُولِ لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ وَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْهُ إِلَّا مَنْ نَمَىٰ عَقْلَهُ وَ أَخْضَعَ سُلُوكَهُ لِعَقْلِهِ. وَ تَجَاوَزَ هَوَاهُ وَ شَهَوَاتِهِ، وَ جَدِيرٌ بِالْقُرْآنِ أَنْ يَفْهَمَهُ مِثْلَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ وَ هُمْ أُولُوا الْعُقُولِ.

ما هي صفات اولى الألباب و أصحاب العقول الذين ضبطوا أنفسهم ضمن أطار العقل.

الصفه الاولى:

[٢٠] الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ عَهْدَ اللَّهِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي عَالَمِ الذَّرِّ عِنْدَ مَا قَالَ: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ

الْقِيَامَةِ إِذَا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبِطِلُونَ (١٧٢-
/الأعراف١٧٣) و جاء في القرآن قوله: أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا
صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٠-٦١يس) عهد الله هو طاعته و تجنب معصيته، فبعد الالتزام بعهد الله سبحانه على الإنسان بالطاعة، تأتي بقيه
الصفات.

الصفة الثانية:

وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ الْوَثَاقَ هُوَ الرِّبَاطُ، وَ الْمِيثَاقُ: عَقْدٌ مُؤَكَّدٌ بِبَيْعِنِ أَوْ عَهْدٍ، وَ مَوْثِقٌ اللَّهُ هُوَ مَا أَخَذَهُ عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَ
يُوحِدُوهُ، وَ

قد جاء في الروايات ان موثق الله هو موالاه أوليائه، و قد أخذ الله على كل الناس موثقا فقد أخذ موثقا عاما كما قال:

وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ مِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ (٧/المائدة) و أخذ على بنى إسرائيل موثقا آخر كما قال: وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا
الزَّكَاةَ (٨٣/البقره) و قد أخذ الله على النبيين ميثقا أيضا: وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ
رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ
الشَّاهِدِينَ (٨١/آل عمران)

و لموثق الله معنيان أولا: طاعه الله كما قال: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا سَبَقَ، ثانيا: تجنب معصيه الله و الافتراء عليه: أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ (١٦٩/الأعراف)

الصفه الثالثه:

[٢١] وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ هُوَ الرَّحْمَ، وَ

قد جاء في الحديث عن زين العابدين عليه السلام أنه قال لابنه الباقر عليه السلام :

يا بنى إياك و مصاحبه القاطع لرحمه فاني وجدته ملعونا في كتاب الله عزّ و جل في ثلاث مواضع قال في البقره: الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١) -و الحديث طويل -.

و قد تظافت النصوص بحيث لا- تقبل الشك لكثرتها و تواترها: ان ما امر الله به ان يوصل هم أهل البيت، و لكن لا يعنى ان الآيات لا تنطبق على كل رحم كما

جاء في الحديث عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام :

الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ فَقَالَ:

«نزلت في رحم آل محمد صلى الله عليه و آله، و قد يكون في قرابتك، ثم قال:

ص: ٣٢٤

فلا تكونن ممن يقول للشئ أنه في شئ واحد» (١)

الصفه الرابعه:

وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ خَشْيَةَ اللَّهِ هِيَ الضمان الحقيقي من الانحراف كما قال: «و لا تخشوهم و اخشوني» والخشيه من الله هي الخوف من أن يصب علينا عذابه، و يأخذنا على حين غرّه، و قبل أن نبادر بالأعمال.

الصفه الخامسه:

وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ يبدوا أن الفرق بين الخشيه و الخوف، ان الخوف أقل من الخشيه كما قال العلامة الطباطبائي (٢) في الميزان: و الظاهر ان الفرق بين الخشيه و الخوف، ان الخشيه تأثر القلب من إقبال الشر أو ما في حكمه، و الخوف هو التأثير عملاً بمعنى الاقدام على تهيئه ما يتقى به المحذور و ان لم يتأثر به القلب، و لذا قال سبحانه في أنبيائه:

و لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ (٣) فنفي عنهم الخشيه عن غيره، و قد اثبت الخوف لهم عن غيره في مواضع من كلامه كقوله: فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى (٦٧/طه) و قوله: وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيفَتَهُ فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ (٨/الأنفال) و سوء الحساب هو: ان لا تقبل حسناتهم، بل يؤخذون بسيئاتهم، و قد جاء في

ص: ٣٢٧

١-١) تفسير الميزان- ج ١١- ص ٣٤٩

٢-٢) تفسير الميزان- ج ١١- ص ٣٤٣

٣-٣). (١٣٩/الأحزاب)

معنى سوء الحساب أنه: هو الاستقصاء و المداقه، و سمي سوء الحساب لهوله و شدته كما

جاء فى الحديث:

«ما من عبد انصبته للحساب الا هلك» أن المؤمن يخاف من إحصاء سيئاته فلا تغفر، و تعد حسناته فلا تقبل.

الصفه السادسة:

[٢٢] وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ فَإِذَا أَنْتَ أَوْ كَلْتَ أَمْرَكَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فَسْتَجِدْ أَنَّ اللَّهَ يُعِينُكَ عَلَى مَا صَبَرْتَ عَلَيْهِ، وَ مَا أَجْمَلَ الصبر إذا كان الله وراءه، و لكن لما إذا الصبر ابتغاء وجه الله؟ لا-إن الله سبحانه هو الذى يبتلى الإنسان. اما ليختبره كما قال: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ» أو يبتليهم بما كسبت أيديهم لينقيهم و يصفىهم من الذنوب، فإذا صبرت و احتسبت فأجرك على الله. فهذا يدل على صدق الايمان كما، يدل على رضى الإنسان بقضاء الله و قدره.

الصفه السابعة:

وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ الْقِيَامَ بِالصَّلَاةِ غَيْرِ أَدَاءِ الصَّلَاةِ، وَ إِقَامَهُ الصَّلَاةَ مَشْرُوطَهُ بِالْعَزْمِ وَ الْإِهْتِمَامِ بِسَائِرِ شُرُوطِ وَ مَوَاصِفَاتِ الصَّلَاةِ.

الصفه الثامنة:

وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً

ص: ٣٢٨

الإِنْفَاقُ بِالسَّرِّ ضِدُّ الرِّيَاءِ، وَالإِنْفَاقُ فِي العَلَنِ تَحَدُّ لِمَنْ لَا يَرِيدُ مِنْكَ الإِنْفَاقَ، أَوْ تَشْجِيعًا للإِنْفَاقِ.

الصفة التاسعة:

وَ يَدْرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ مَعَامَلَتُهُمْ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ مَعَامَلَةُ البَغْضِ وَ العَدَاوَةِ، بَلْ مَعَامَلَةُ العَطَاءِ، فَهَمْ لَا يَصْعَدُونَ الصَّرَاحَ مَعَ النَّاسِ، بَلْ يَحَاوِلُونَ احتواء البغضاء بالحلول الهادئة، و الدرء هو التحصين أى يتحصنون بالحسنه من مضاعفات السيئه و هذا معنى آخر تحمله الآيه، و

قد ورد في الحديث: ان رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم قال لمعاذ بن جبل:

إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَاعْمَلْ بِجَنبِهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ؟ أَوْ لِيكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ مَا هِيَ عِقْبَى الدَّارِ؟ [٢٣] جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إيمانهم يتعدى حدود إنقاذهم لأنفسهم وخدمهم الى الآباء و الأزواج و الأبناء، فإيمان المرء نجاه لذويه، و هذا أفضل جزاء لهم، فمع فرحهم بالجنه تقر أعينهم برؤيه ذويهم يلتحقون بهم.

و

قد ورد في الأحاديث:

«ان المؤمن يشفع في مثل ربيعه و مضر»

ص: ٣٢٩

[٢٤] وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ هذا من أفضل الجزاء الذى ساقه الله للصابرين على البأساء و الضراء، و الصابرين على الطاعة لوجه الله، و الصابرين عن ممارسه الباطل.

ص: ٣٣٠

اشاره

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ
الدَّارِ (٢٥) اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٦) وَيَقُولُ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ (٢٧) الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ
أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَبَدَ (٢٩)

اللغه

٢٧[أُنَاب]الإنابه الرجوع الى الحق بالتوبه،انتاب فلان القوم أتاهم مره بعد مره.

٢٩ [متاب] المتاب التوبه.

[سیرت] التسيير تصيير الشىء بحيث يسير.

[قطعت] التقطيع تكثير القطع، و القطع تفصيل المتصل.

ص: ٣٣٢

هدى من الآيات:

حدّثنا الدرس السابق فى سورة الرعد عن صفات المؤمنين، أمّا فى هذا الدرس فيحدثنا عن نقيضهم (الكفار)، و صفاتهم بعكس صفات المؤمنين.

عند ما يسود المجتمع.. اى مجتمع ثقته متبادله بين أبنائه فان تفاعل هذا المجتمع مع بعضه يجرى كمجرى الدم فى العروق السليمه، و كلما ازداد التفاعل و التكامل بين أعضاء المجتمع كلما كان أقرب الى الحضاره، و الحضاره هى: حضور الإنسان عند الإنسان، و سياده العدالة و الثّقه المتبادله، أما إذا انعدمت هذه الشروط فى الحضاره فانها ستضمحل و يحل محلها التخلف حتى و ان ظهرت على السطح صور حضاريه، فليست الحضاره هى التقدم التكنولوجى، و لكن الحضاره ما سبق ذكره.

و كلما كانت الصله بين أبناء المجتمع أمتن.. كلّما كانت رحمه الله إليهم أقرب. و أما إذا قطعوا الصله التى أمر الله بها. فان لعنه الله المتمثله فى الحرمان و العذاب تنزل بهم. و لهم سوء الدار.

و الرزق من الله. كما أن منعه بيد الله، و أكبر من رزق الدنيا. هو نعيم الآخرة بينما الكفار يفرحون بما فى الدنيا و ما فى الدنيا غير متاع.

و يطالب الكفار أبدا بآيه. و كان النقص فى الآيات. كلاً. انما النقص فى أنفسهم إذا الله يضل من يشاء، بسبب سوء إختياره و يهدى اليه من أناب اليه.

و من هم المنيبون انهم المؤمنون حقا و هم الذين تطمئن قلوبهم بذكر الله. بلى إن ذكر الله فعلا يعطى سكينه النفس و اطمئنان القلب.

إن هؤلاء الذين آمنوا و عملوا الصالحات لهم حياه طيبه فى الدنيا. و لهم حسن مآب فى الآخرة.

بينات من الآيات:

صفات الكفار:

/ انقض العهد:

[٢٥] وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ □ من ابرز صفات الكفار نقض عهد الله، و من ينقض عهد الله فهو لا يحترم نفسه، و من لا يحترم نفسه لا يحترم الآخرين، و أخيرا فهو يتحدى الله و يخالف أمره، و عند ما ينقض الإنسان عهده فان ذلك لا يجعل حياته مرسومه ضمن خطه بعيده المدى، بل تكون أعماله مجرد ردود أفعال لا أكثر أو بمعنى آخر انعكاس لظروف متغيره، و العهد عهدان: عهد مع الله اخذه الله على الإنسان فى عالم الذر، و العهد الثانى: عهد مع الآخرين أشهد الله عليه، فنقضك عهدك مع الله كفر، و نقضك عهدك مع الناس لؤم.

٢/ قطع الرحم:

وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ يَقْتَعُونَ أَرْحَامَهُمْ أَوْ رَحِمَ أَهْلِ بَيْتِ الْوَحْيِ كَمَا سَبَقَ ذَكَرَهُ.

٣/ الفساد في الأرض:

وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِنَشْرِ الْفَسَادِ، وَهَذَا مَعْنَى آخِرِ نَسْتَوْحِيهِ: أَنَّهُمْ يَفْسِدُونَ بَيْئَةَ الْأَرْضِ، وَهَذِهِ حَالَةُ الْكُفَّارِ فَهَمُ يَنْتَقِمُونَ مِنَ الطَّبِيعَةِ، وَمَا الْأَسْلِحَةُ الْأَسْتِرَاتِيغِيَّةُ وَالْمَيْكْرُوبِيَّةُ إِلَّا دَلِيلٌ عَلَى نَشْرِ الدَّمَارِ كَمَا أَنَّ تَلْوِثَ الْبَيْئَةِ الطَّبِيعِيَّةِ دَلِيلٌ نَشْرِ الْفَسَادِ.

أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ اللَّعْنَةُ الطَّرْدِ وَالْإِبْعَادِ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا.

وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى طَرْدِهِمْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا، إِذْ يَعِيشُونَ الْقَلْقَ، فَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ.

ملاحظتان:

الملاحظة الأولى:

ان الصفات الحسنه كما الصفات السيئه أخوات، فالصفه الحسنه تجر وراءها صفات أخرى حسنه مثلها، كما

ورد في معنى الحديث:

«إِذَا رَأَيْتَ مِنْ أَخِيكَ إِكْرَامَهُ حَسَنَةً فَاتَنْظُرْ مِثْلَاتِهَا» وَهَكَذَا الصِّفَاتُ السَّيِّئَةُ.

اما لماذا ذلك؟ فلان الصفه الحسنه مصدرها نفسيه حسنه و هذه النفسيه الحسنه تعطى بدورها صفات حسنه اخرى، و العكس صحيح، فلذلك فان الله يسوق الصفات الحسنه مع بعضها، و الصفات السيئه مع بعضها.

الملاحظه الثانيه:

ان للإنسان أربع علاقات:

١- علاقته مع ربه.

٢- علاقته مع نفسه.

٣- علاقته مع الناس.

٤- علاقته مع الطبيعه.

و علاقته الكافر بهذه الأصناف مقطوعه أو هي علاقات سلبيه، فعلاقته مع ربه مقطوعه، كما قال: وَالَّذِينَ... وَ يَقَطُّعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ. و علاقته مع نفسه مقطوعه إذ أنه لا يحترمها و علاقته مع الناس كذلك كما قال سبحانه: وَالَّذِينَ... وَ يَقَطُّعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ و علاقته مع الطبيعه سلبيه كما قال: وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ.

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ :

[٢٦] اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ ان الله يوسع الرزق على من يشاء من عباده برحمته و يضيق عمن يشاء بحكمته.

و قد يشاء الإنسان الدنيا فيبسط الله الرزق له، كما قال: وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (١٤٥/ آل عمران)

ص: ٣٣٦

و قد ييسط الله الرزق للإنسان بعد ابتلائه ليأخذه على حين غره كما قال:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَيْتُمْ قُلُوبَهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٢-٤٤ الانعام) اما نعم الله على الإنسان فبالإضافة الى ما سبق ربما تكون عذابا كما

جاء في الحديث:

«ان العبد ليحرم الرزق لذنب أذنبه» و ربما يكون امتحانا و أخيرا إذا قتر عليك الرزق فلا تيأس من روح الله، كما لا تعجب بما أتاك الله فقد يسلبه منك.

و أنّ من حكمه الله سبحانه أيضا انه يهوى الدنيا للكافر ليلهو عن الحق، و يبتعد عن الرساله، فالدنيا كما جاء سجن المؤمن و جنه الكافر.

و فرحوا بالحياه الدُّنيا الفرح هو حاله الإشباع النفسى، مثل الطفل تشبع نفسه بمجرد حصوله على لعبه يريد لها فبعض الناس تكون نفوسهم ضيقه تشبع بمجرد ان تواتيها الدنيا، فالإنسان الذى تشبع نفسه يغفل عن مسؤوليته، و لا يجد للالتزام داعيا.

و مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ المتاع هى الكماليات مما ليس ضروريا، حيث يمكن الاستغناء عنها أو الاستعاضه بغيرها إذا اهترأت.. بلى إن الحياه مزرعه الآخره، هنا عمل بلا حساب،

ص: ٣٣٧

و هناك حساب بلا عمل.

ان الذى يعلم بأنه محتاج الى الله يجب عليه أن يرتبط معه.

يحكى ان ملكا كان يخوض حربا ضروسا، فنذر نذرا: ان هو انتصر ليزيدن فى أجر الجند، فبعد ان انتصر قدّر المبلغ فوجده كبيرا، فأراد أن يخلف نذره، فاستقرّ رأيه أخيرا ان يحتكم لدى أول من يدخل عليه، فبينما هو جالس فى مجلسه إذ دخل عليه اعرابى فاحتكم اليه، فقال له الاعرابى: ان كنت ترى انك لن تحتاج الى ربك فلا تف بنذرك معه، و ان كنت ترى انك ستحتاج اليه فأوف بنذرك معه، فرأى الملك انه محتاج الى الله فى كل لحظه، فوفى نذره.

كيف يطمئن القلب:

[٢٧] وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَرِيدُ النَّظَرَ بِكَيْفِهِ الْبَصِيصِ مِنَ النُّورِ، أَمَا الَّذِي لَا يَرِيدُ أَنْ يَبْصُرَ فِضْوَاءَ الشَّمْسِ لَا يَكْفِيهِ.

قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ يَرِيدُ الْإِنْسَانَ الْهَادِيَ فِيهِدِيهِ اللَّهُ، وَ يَرِيدُ الضَّالَّالَةَ فَيَمُدُّ اللَّهُ لَهُ فِي ضَلَالَتِهِ وَ هَذَا وَاضِحٌ مِنَ الْأَسْمِ الْمَوْصُولِ مِنَ الَّذِي يُطْلَقُ لِلْعَاقِلِ.

[٢٨] الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ الْأَطْمَئِنُّونَ: السُّكُونُ وَ الْإِسْتِقْرَارُ.

و القلب المطمئن هو نفسه النفس المطمئنه كما قال سبحانه فى آخر سوره

الفجر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي وَ ذَكَرَ اللَّهُ هُوَ مُطْلَقٌ تَوَجَّهَ
الإنسان لله.

أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ فِي زَحْمَةِ الْحَيَاةِ وَ مَعَ تَرَكَمِ الْأَعْمَالِ، وَ مَعَ جَوِّ الْأَرْهَاقِ وَ الْعَمَلِ، وَ أَثْنَاءِ الْقَلْقِ النَّفْسِي الَّذِي يَعْصَفُ
بِالكَثِيرِينَ تَرَكْنَ النَّفْسَ وَ تَطْمَئِنُّ لَذِكْرِ اللَّهِ، وَ حَرَىٰ بِنَا أَنْ نَعَالِجَ مَشَاكِلَنَا النَّفْسِيَّةَ بِذِكْرِ اللَّهِ لِأَنَّهُ أَنْجَحَ عِلَاجَ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْهُ
الإنسان وَ خَاصَّةً فِي هَذَا الزَّمَنِ، زَمَنِ التِّيَّارَاتِ وَ الصَّرَاعَاتِ الَّتِي يَغْدِّيهَا الْأَسْتِعْمَارُ شَرْقَهُ وَ غَرْبَهُ.

[٢٩] الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَ حَسُنَ مَا أَجَبَ فِي الدَّرْسِ السَّابِقِ بَعْدَ ذِكْرِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ذَكَرَ مُصِيرَهُمْ بِقَوْلِهِ:
أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَ مَن صِلَحٌ مِّنْ آبَائِهِمْ وَ أَزْوَاجِهِمْ وَ ذُرِّيَّتِهِمْ وَ الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ
بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ .

أَمَّا الْآنَ فَيَذَكِّرُ مُصِيرَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ طُوبَىٰ وَ حَسُنَ مَا أَجَبَ. وَ لَعَلَّ الْمُرَادَ مِنَ الطُّوبَىٰ الْحَيَاةَ الْأَعْظَمَ طَيِّبًا.

وَ هَذَا يَدُلُّ لَنَا بِأَنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ صِنْفٌ جَدِيدٌ مِنَ النِّعَمِ، فَلَا هُمْ يَمْلُونَ، وَ لَا اللَّهُ يَقْتَرُّ عَلَيْهِمْ.

اشاره

كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّهٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠) وَمَنْ لَوْ أَنْ قُرْآنًا سُرِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَنبَأْسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصَِّبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا فَارِعَهُ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١) وَلَقَدْ أَسْرَيْتُمْهُنَّ بِرِشْلِ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٢) أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ يَلْزَمُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصِيدُوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لِعَذَابٍ الْأَخْرَى أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٣٤) مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥)

اللغة

٣٢]فأمليت[الإملاء التأخير.

هدى من الآيات:

ضمن آيات هذا الدرس يذكرنا القرآن الحكيم بأن الهدى و الضلاله من عنده إذا أرادها الإنسان لنفسه، و ان رساله المحمديه هي امتداد طبيعي لرسالات الأنبياء السابقين و مكمله لها و مهيمنه عليها جميعا، و أن سنن الله واحده تطبق على سائر الأمم فى سائر الأجيال، فكما انطبقت على تلك الأمم هذه السنن كذلك تنطبق على هذه الامه.

و يذكرنا السياق بأن أساس كفر الكفار ليس برساله الرسول، بل بالرحمن، ثم بما يتفرع منه من رسالات الرحمن، فعلى الرسول أن يتوكل على الله لو كذّبوه، و لو أن الله استجاب لهم بطلبهم المزيد من الآيات لما زادهم ذلك إلا عنادا و استكبارا، ثم هل هناك آيه أكبر من هذا القرآن الذى لو كان من المقدر ان يسير الجبال و يكلم الموتى لكان به و أكبر دليل على ذلك أن كثيرا من القوارع نزلت على من قبلهم أو قريبا منهم فلم يتعظوا، و لو أنهم يريدون الهدايه بالآيات لاهتدوا بتلك القوارع

و اتعظوا بها، فهذه الأمم أعطيت مهله كما أعطوا هم مثلها، فعاجلهم الله بالعقاب لما اختاروا الكفر على الإيمان.

و بعد ذلك يسأل: هل إن الله هو القائم على كل نفس بما كسبت من خير أو شر أم الشركاء؟! أو هل الشركاء هم الذين ينبئون الله و يوحون إليه؟! ان مكرهم السيئات، و تزيين ذلك في نفوسهم، و الصدد عن سبيل الله كان السبب الرئيسي في إضلال الله لهم، و من يضل الله فلن تجد له هاديا مرشدا، و أما نهايه هؤلاء فاما عذاب الدنيا و الآخرة، أو عذاب في الآخرة، و أما نهايه المؤمنين فأحسن منهم مقاما و أفضل نديا.

بينات من الآيات:

وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ:

[٣٠] كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّهٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ ان الله أرسل الرسول الى أمه سبقتها أمم جرت عليها السنن الإلهيه كما ستجرى على امه الرسول صلى الله عليه و آله أيضا، و هذه الآيه توضح الامتداد الطبيعي للبشريه، و أن فى البشريه خطأ متكاملًا، و أن الأمم مهما اختلف زمانها و مكانها عن امه الرسول فهناك جامع مشترك بين سائر الأمم، و هى كما سبق ذكره محكومته بسنن واحده تجرى على الكل.

لِتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ الْهَدَف من رساله الرسول ان يكون معبرا عن حقيقه الرساله، و ان الرسول مهما تحمل من الجهد فهو مجرد تال لما نزل عليه، اى أن الرسول ليس صانعا للوحى، و انما يؤدي دور المرآه إذ يعكس الرساله الى أمته.

وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ جَذر كفرهم انما هو بالرحمن و ليس بك،و

قد جاء فى الدر المنثور عن ابن جريح فى قوله: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قال: لما كاتب رسول الله صلى الله عليه و آله قريشا فى الحديبيه كتب بسم الله الرحمن الرحيم قالوا: لا نكتب الرحمن، و ما ندرى ما الرحمن؟! و ما نكتب الا باسمك اللهم (!) فانزل الله، وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ .

قُلْ هُوَ رَبِّىْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ هَذَا هُوَ الرَّحْمَنُ الَّذِى يَكْفُرُونَ بِهِ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، رَبُّ الْأَرْبَابِ، لَا نَدَّ لَهُ وَلَا نَظِيرَ .

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فى دعوتى إليكم مع تكذيبكم بى.

وَإِلَيْهِ مَتَابٌ إِلَيْهِ بِخَوْعِى و انابتى.

حقيقه القرآن:

[٣١] وَ لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتِى لَمَا وَاجَهَهُمُ الرَّسُولُ بَعْدَ طَلْبِهِمُ الْآيَاتِ بِالْقُرْآنِ، وَ أَكَّدَ عَلَى أَنَّهُ الْمَعْجِزَةُ الْكُبْرَى تَعَلَّلُوا بِأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْمَعْجِزَةَ لَوْ سَيَّرَتْ بِهِ الْجِبَالَ مِنْ حَوْلِنَا (حَوْلَ مَكَّة) حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نَزْرَعَ، أَوْ قَطَعْتَ بِهِ الْأَرْضَ كَمَا كَانَ سَلِيمَانُ يَرْسِلُ الرِّيحَ فَيَقْطَعُ بِهَا

ص: ٣٤٤

الأرض، أو كلم به الموتى، كما كان موسى و عيسى لكانوا يؤمنون به، و لكن لو أنزل الله مثل هذه الآيات، أ كانوا يؤمنون بها؟! و لكن قصدهم التعجيز و تحدى الرسالة، فلن يرسل الله مثل هذه الآيات، و هذا القرآن له القدره على هذه الأشياء لو عرف الإنسان كيف يستغله، و قد قال الله سبحانه: لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ .

بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا إِنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُنزِلُ هَذَا الْقُرْآنَ، و قد أنزله فعلا.

جواب «لو» فى الآية وَ لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ مُحذوف و تقديره أحد هذين المعنيين:

أولاً: لما أفادهم.

ثانياً: لكان هذا القرآن.

و حسب نظرى ان كلا- الجوابين صحيحان، فلو كان القرآن كذلك لم ينفعهم كون القرآن تسير به الجبال و تقطع به الأرض و يكلم به الموتى، و ثانياً: ان القرآن كذلك، و قد استطاع (كما أسلفنا) المؤمنون حقا الذين استوعبوا حقائق القرآن ان يستفيدوا منه هذه الفوائد.

اليأس من الإصلاح:

أَفَلَمْ يَنبَأِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَيْدَى النَّاسَ جَمِيعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ الْآيَاتِ عَنْهُمْ لَيْسَ سَبِيلاً لِّضَلَالَتِهِمْ، بل لأن الله لم يهدهم، فان الله لا يهدى إلا من ينيب.

ص: ٣٤٥

و اليأس هنا له معانى، فمن معانيه العلم، اى اَ فَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا اَنْ لَوْ يَشَاءُ اللّٰهُ لَهَدٰى النَّاسَ جَمِيعًا و هى لغه هوازن، و قال بعضهم: ان اليأس معناه القنوط و شرّب معنى العلم فيكون المعنى: اَ فَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا اَنْ لَوْ يَشَاءُ اللّٰهُ لَهَدٰى النَّاسَ جَمِيعًا، و ال بعضهم ان هناك باء محذوفه فيكون تقدير الكلام اَ فَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا اَنْ لَوْ يَشَاءُ اللّٰهُ لَهَدٰى النَّاسَ جَمِيعًا .

و فى الحقيقه فان هناك جامعا مشتركا لهذه الحقائق الثلاث-فمن جهه يجب اَنْ يئاسوا من اهتداء هؤلاء، و يعلموا باَنْ هؤلاء لن يهتدوا، و بالتالى يجب اَنْ يعلموا باَنْ اللّٰه لو يشاء لهدى الناس جميعا، فالمعنى واحد.

وَ لَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا نُصِبًا مِّمَّا صَيَّعُوا قَارِعَةً «و لا يزال» تفيد الاستمراريه، و ربما تعبر هذه الكلمه عن تضمين معنى السنّه الدائمه، و ثانيا: ان الإنسان هو الذى يصنع مصيره بنفسه، فالعذاب هو نتيجة ما اقترفت اليدان من الذنوب، و القارعه هى الكارثه.

فهذه الكوارث الالهيه تصب و لا تزال تصب على رؤوس الكافرين.

أَوْ تَحِلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ فَمَكَّهُ مَثَلًا- لم تكن تصاب بالحروب أو بالزلازل، بل تنزل هذه المصائب فيما حولها، و لكن لم يتعظ الكافرون.

حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللّٰهِ هَذِهِ الْقَوَارِعُ مَا هِيَ إِلَّا- إرهاصات يصبها اللّٰه عاجلا- على الكافرين، اما القارعه الحقيقه فهى فى الآخره الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ

الذَّاسُ كَالْفَرَّاشِ الْمَبْتُوثِ* وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (١-القارعه) إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ان الله لن يخلف موعده مع الكفار بأن يأخذهم في ذلك اليوم حيث لا يستقدمون عنه ساعه و لا يستأخرون.

فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا :

[٣٢]يسترسل القرآن في الفكره التي بدأها في بدايه هذا الدرس بتكذيب الأمم رسلها،و ان موقف الأمم عبره لمن ألقى السمع،و موقف الرسل عبره للرسول، فيقول الله سبحانه:

وَ لَقَدْ اسْتَيْهَزَيْتُمْ بِرُسُلِكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ فَمَا مَلَيْتُمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَا ان إرسال الرسل سنه،فكذلك تكذيب الأمم سنه أيضا،و ليس التكذيب هو الأسلوب الوحيد للمواجهه،بل هناك أسلوب آخر يعتمد الكفار ضد الرسل و هو أشد أثرا بنفسيه الرسل الا و هو أسلوب الاستهزاء،و أسلوب الاستهزاء مجموع نوعين من أساليب الكفار،فلا يكون الاستهزاء الا بالتكذيب،و من ثم بالسخرية و الاستخفاف،و هناك في زماننا الكثير ممن تركوا رسالتهم لأن الناس واجهوهم.

و الامهال و الاملاء هو من حكمه الله الماضيه على عبيده العاصين

جاء في الحديث:

«كم من مستدرج بالإحسان اليه،و مغرور بالستر عليه،و مفتون بحسن القول فيه و ما ابتلى الله أحدا بمثل الاملاء له» (١)

ص: ٣٤٧

و قد قال الله: وَ أَمَلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (الأعراف/١٨٣) ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ إِي كَيْفَ كَانَ عِقَابِي لَهُمْ؟! و هذا تعبير عن الشده فى الأخذ، و هذه النتيجة السيئه لمن يكذب بالرسل و يستصغر شأنهم.

[٣٣] أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ الْقَائِمَ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِالرِّزْقِ، و ربما ما بعدها يحددها.

بِمَا كَسَبَتْ بِمَا عَمِلَتْ، فحكم نفسك ليس بيدك، و لا- تستطيع نفسك ان تفلت من زمام التقدير، فان الله لو تركها لحظه لانتهت، و لما بقى لها من الوجود شىء، و الله لا يعصى عن غلبه، و أنت إن أعطيت التخيير فى الطاعه أو المعصيه، فأنت مسير من قبل الله، و أكبر دليل على ذلك روحك و قلبك و سائر أعضاء جسمك التى تعمل و لو حدها و لا تدخل لك فى إيقافها أو عملها.

وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ۖ أَعْدَاءُ اللَّهِ الْآيَاتِ فِي الْقِيمِومَةِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ يَشْرِكُونَ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ؟! و كيف يشركون به و قد أراهم من عظيم الخلقه، و دقيق الصنعه.

قُلْ سَمُّوهُمْ إِي اذكروهم، و لعل ذكر الاسم هنا ليس ذكر الاسم الذى يتسمون به، بل

يعنى اذكروا صفاتهم، و معلوم ان كل شىء يعكس اسما من أسماء الله. فالسما تجل لاسم العلو و العظمه، و الشمس تجل لاسم الحكمة و القدره، فقد يكون قصد الله: اخبرونى عن تجليات اسمائهم فى مصنوعاتهم.

أَمْ تَتَّبِعُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَىٰ بِمَا لَا يَعْلَمُ لَهُ مِنْ شُرَكَاءَ، و عدم العلم هنا ليس معناه ان الله غير عالم، بل عالم و لكن لا يعلم أن له شريكا، فليس له شريك أبدا.

أَمْ بَظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ الشُّرَكَاءَ هِيَ مَجْرَدُ أَلْفَاظٍ تَسْمَىٰ مِنْ غَيْرِ وَاقِعٍ، فكلمه جلاله الملك ليس معنى ذلك ان الملك صار جليلا، بل رضاه بهذا الاسم يعكس ذلته.

تغير المقاييس الفطريه:

بَيْلُ زَيْنٍ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ الْمَكْرَ هُنَا اقْتِرَافُ الْعَمَلِ السَّيِّئِ و المكر هو الفساد، قال تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا (١٢٣/ الانعام) و لكن من الذى زين المكر لهم؟ ان الشيطان هو الذى يزين لهم مكرهم كما قال: وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْ مَكْرُوا يَعْْمَلُونَ (١٤٣/ الانعام) و فى آيه أخرى ينسب الله لنفسه التزيين: إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ (١٤/ النمل)

ولا منافاه فعند ما يغضب الله على إنسان يكله الى الشيطان أو الى قرناء السوء فيكون تزيين الله لهم بأن يجعل لهم مزينين كما قال: **وَقَيضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ** (٢٥/فصلت) إذا فليحذر الإنسان ان يزین له سوء عمله فيراه حسنا، و عند ما يخضع للمزينين كالطواغيت مثلا فان مقاييسه الفطريه تتبدل و تصبح مقاييس عكسيه فالسوء عنده حسن، و الحسن عنده سىء.

وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ليسوا هم الذين صدوا أنفسهم عن السبيل، كما أنهم ليسوا هم الذين زينوا لأنفسهم المكر انما الشيطان. **وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ابْتَلُوا هَؤُلَاءِ بثلث:**

١-زین لهم مكرهم.

٢-صدوا عن السبيل.

٣-إضلال الله لهم.

نهايتان:

[٣٤] **لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ** على الإنسان ان يستدل بعذاب الدنيا على عذاب الآخرة مع ضرب هذا الرقم

ص: ٣٥٠

بالملايين، و ان عذاب الدنيا يختلف شكلا عن عذاب الآخرة، فقد يكون عذابهم فى الدنيا نفسيا أو عذابا جسديا، و قد يكون كلاهما.

[٣٥] مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ هَذِهِ صَفَتُهَا..

أُكُلُهَا دَائِمٌ وَ ظِلُّهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ أَبَدًا.

تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا هَذِهِ نَتِيجَةُ تَقْوَاهُمْ.

وَ عُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ هَذِهِ مَعَادِلُهُ، فَالْكَفْرُ وَ التَّقْوَى يَسَاوِيَانِ تَمَامًا النَّارُ وَ الْجَنَّةُ.

ص: ٣٥١

اشاره

وَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ
أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَأْب (۳۶) وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا حُكْمًا عَرَبِيًّا وَ لَسِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا
وَاقٍ (۳۷) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَ جَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَ ذُرِّيَّةً وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ
(۳۸)

هدى من الآيات:

مواقف الناس من الكتاب ثلاثة. فاما مؤمن به كله، أو مؤمن به في حدود مصلحته، أو كافر به، و بمناسبة الحديث عن أصناف الناس و اتجاهاتهم من الكتاب يحدثنا الله عن: ان القرآن عربى، و عروبه القرآن ليس تعصبا بربريا للعربيه فالقرآن عربى إلا أنه يخالف كل السخافات العربيه، و القرآن أيضا لا يتنازل عن قيمه مجارات للثقافه العربيه الشائعه آنذاك.

بينات من الآيات:

الايمان المصلحى:

سبق الحديث فى الدرس السابق، ان سبب الكفر بالرساله هو الكفر بالرحمن، فيعنى ذلك أن المؤمنين الصادقين بالقرآن يؤمنون بالرحمن و بالتالى فهم يطبقونه لأنه يجسد اراده الله و هداه.

[٣٦] وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ تَجَسَّدَ هَذِهِ الْآيَةُ الْحَالَةَ النَّفْسِيَّةَ الَّتِي تَعْتَرِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَدَى نَزُولِ الْقُرْآنِ، لِأَنَّ نَزُولَ الْقُرْآنِ انْتِصَارٌ لَهُمْ، وَتَجَسُّدٌ لِأَعْرَاقِهِمْ، وَيَقُولُ اللَّهُ عَنْهُمْ: وَإِذَا سَجَعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ. يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ٨٣/المائدة.

وَ مِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ وَالْأَحْزَابُ هُمُ الْيَهُودُ وَالْمَشْرُكُونَ مِمَّنْ تَحْزَبُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَ أُنَّهُمْ لَا يَشْتَكِرُونَ ٨٢/المائدة.

الأحزاب هو جمع حزب، و لا- يسمى الله المؤمنين مهما كانوا أو اختلفوا إلا حزبا واحدا لأنهم تجمعهم الأهداف و المنطلقات فهم متحدون في كل شيء، أما الأحزاب (الجمع) فتطلق للأحزاب التي تعادى الرساله التي تختلف فيما بينها في كل شيء الا معاداة الرساله، و عند ما يقول الله إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ الصِّفَةَ الْبَارِزَةَ الَّتِي تَجْمَعُ أَحْزَابَ الشَّيْطَانِ بِأَنَّهَا عَلَى اخْتِلَافٍ مِشَارِبَهَا تَتَّفِقُ عَلَى قَاسِمٍ مَشْتَرِكٍ وَ هُوَ اتِّبَاعُ الشَّيْطَانِ، مِثْلَ الشَّرْقِ وَ الْغَرْبِ يَخْتَلِفُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي اسْتِغْلَالِ الْعَالَمِ وَ نَهْبِ ثُرَاتِهِ.

هذه الأحزاب تحاول احتواء الرساله. تفضل الحل الوسط بعد معرفتها بصدق الرساله، و هي تأخذ من القرآن ما يحفظ لها مصالحها، و يدعم امتيازاتهم.

قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَ لَا أُشْرِكَ بِهِ

انما يؤمن بالكتاب حقا من يؤمن بالله، فهناك تلازم بين الايمان بالكتاب و الايمان بالتوحيد.

إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَأْبِ إِلَيْهِ دَعْوَتِي أَنْ ضَاقَتْ بِي الْمَسَالِكُ، وَإِلَيْهِ مَأْبِي وَرَجُوعِي فِي جَمِيعِ أُمُورِي وَمَعَادِي.

الحقائق القرآنية في مواجهه الأهواء:

[٣٧] وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا الْحُكْمُ هُوَ الْقَضَاءُ، وَالْعَرَبِيُّ: بِمَعْنَى الْأَعْرَابِ، وَالْأَعْرَابُ هُوَ الْإِفْصَاحُ، وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِنَا: إِنَّ الْقُرْآنَ عَرَبِيٌّ أَنَّهُ يُوَافِقُ الْعَرَبَ فِي اعْتِقَادَاتِهِمْ.

وَ لَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ اللَّغَةُ عَرَبِيَّةٌ وَ لَكِنِ الْمَحْتَوَى إِلَهِي، وَالْعَرَبِيَّةُ لُغَةٌ وَ لَيْسَتْ مَشْرَعَةٌ، أَمَّا التَّشْرِيعُ الْإِلَهِيُّ فَهُوَ عِلْمٌ، وَالْعِلْمُ هُوَ مَعْرِفَةُ الْحَقَائِقِ وَ كَشْفُهَا، وَالْأَهْوَاءُ شَهْوَةٌ عَاجِلَةٌ.

مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا وَاقٍ لِلَّهِ وَ لِي السِّدِّيقُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ وَ لِي الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ، فَلْتَنْ أَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَهْوَاءَ قَوْمِهِ سَيَفْقَدُ وَ لَا يَهْدِيهِ اللَّهُ وَ مَنْ ثُمَّ لَا يَنْصُرُهُ، وَ عِنْدَ مَا يَتَخَلَّى الرَّسُولَ عَنِ الْعِلْمِ إِلَى الْهَوَى. آتِنْدُ يَعْتَبِرُ بِهِ اللَّهُ وَ لَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِهِ وَاقِيًا، فَإِذَا خَالَفَكَ النَّاسَ سَيَنْصُرُكَ اللَّهُ، وَ إِذَا خَالَفْتَ اللَّهَ مَتَّبِعَا أَهْوَاءَ النَّاسِ سَيُخَذِلُكَ اللَّهُ وَ لَا تَجِدُ مِنْ دُونِهِ نَصِيرًا.

[٣٨] وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَ جَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَ ذُرِّيَّةً ان الأنبياء بشر، تطراً عليهم نفس العوامل التي تطراً على البشر، فهم يتزوجون و ينجبون، فليس الأنبياء ممن يتعالون على جنسهم.

وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ إِنْ الرَسُول لا يملك بذاته أمر الآيات، بل إن الله يظهرها متى شاء على يد نبيه من دون ان يؤثر فيها.

لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ كُل شَيْءٍ محدود بأجل.

اشاره

يَمْحُوا اللَّهُ مِمَّا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (۳۹) وَإِنْ مِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَّا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (۴۰) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُضُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (۴۱) وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مِمَّا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (۴۲) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسِيَّتْ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (۴۳)

اللغه

۴۱[معقب]التعقيب رد الشيء بعد فصله، و منه عقب العقاب على صيده إذا رد الكرور عليه بعد فصله عنه.

هدى من الآيات:

فى هذا الدرء الأءير من سورة الرعد يءكرنا السياق القرآنى بأن الأمور بيد الله و ان إراده مطلقه ءءاوز ءءدير و السنن و انه يمحو ما يشاء و يءبء، و ءانيا: انه ليس على الرسول إلا البلاغ و ان على الله الحساب، فان شاء نزل العذاب على أولئك الكافرين و ان شاء آءره.

الله مهيمن على الكون فهو الذى ينقص الأرض من أطرافها، و حكمه حكم حتم لا ينقضه أحد، و هو سريع الحساب، و إن الله لم يعص عن غلبه، و الذين مكروا السيئات يمكر الله بهم و هو خير الماكرين، و غدا حين يحشر الكفار سيعلمون لمن عقبى الدار، أما الذين يقولون بأن الرسول ليس مرسلا فان الله يرد عليهم عن لسان نبيه قل كفى بالله شهيدا... و من عنده علم الكتاب .

بينات من الآيات:

[٣٩] جوهر رسالات الله يتلخص فى ربوبيه الله، و هذه السوره ءعمق هذه

الفكره، و هذه الفكره تشكل الفرق بين رسل الله و فلاسفه البشر، فرسل الله بشرّوا بهذه الفكره، أما ما توصل اليه عقل هذا الإنسان العاجز، ان لهذا الكون خالقا خلقه ثم تركه يسير بالسنن، كمن يخلق ساعه الكترونيه و يتركها تسير ضمن قوانين محدده، و قد صاغ أحد فلاسفه البشر الملحدين هذه الفكره!! و عموما فان فلاسفه البشر يبنّنا عن إله ميت لا ولايه له و لا دعوه، بينما رسالات الله تنبؤنا عن إله حيّ قديم لم يزل و لا يزال، و توجد هناك صلتان نستطيع ان نتصل مع الله بهما.

أولا: الدعاء:

باستطاعتك ان تتصل بالله عبر الدعاء، و ان باستطاعتك ان تغير ما كتب عليك بسببه، فبالدعاء أنت قادر على تغيير الطبيعه، و تغيير القضاء المحتوم عليك.

ثانيا: صلح العمل الصالح:

فلسفه البشر تقول ان الله قد كتب على الكون مقدراته، و انه لا ينفع شيء امام هذا التقدير، و هذه فلسفه القدرية الذين آمنوا بالاحتميات، فصار عندهم كل شيء محتوم.. إذا عملك الصالح لن ينفع أمام التقدير المحتّم، أما نحن فلا نؤمن بالاحتميات (السياسيه و الاقتصاديه و الثقافيه و التربويه) نرى ان من الممكن تغيير كل حتميه، فصحيح أنّ هناك قوانين و سنن، و لكن الإنسان يعلو بإيمانه و عمله الصالح على هذه الانظمه و السنن ان الله أكبر من القوانين و السنن انه هو صاحب المشيئه المطلقه، و لا شيء محتوم عليه، فهو يمحو ما يشاء و يثبت، و الإنسان الذى يتصل بالله يتصل بهذه المشيئه المطلقه التى لا حتميه عندها، أما إذا قلنا بأن القلم قد جفّ، و أن الأجل قد انتهى و أن القدر قد كتب فى الكتاب إذا فلا معنى للدعاء و العمل الصالح. قال تعالى:

يَمْحُوا اللَّهُ مَّا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ إِذَا كُنْتَ فِي قَائِمِهِ الْأَشْقِيَاءَ فَبِاسْتِطَاعَتِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ السَّعْدَاءِ إِذَا اتَّصَلَ قَلْبُكَ بِاللَّهِ ذِي الطُّوْلِ، قَالَ اللَّهُ: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ (١٨٦/البقره) وَقَالَ: أَدْعُونِي أَجْتَجِبْ لَكُمْ (٦٠/١/غافر) فَهُوَ الَّذِي أَمَرْنَا بِالِدَعَاءِ وَضَمَّنَا لَنَا الْإِجَابَةَ.

وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ الْكِتَابِ لَفْظٌ يُؤَدِّي إِلَى مَعْنَيْنِ: الْمَعْنَى الْأُولَى: هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، وَالْمَعْنَى الثَّانِي: هُوَ أُمُّ الْكِتَابِ، فَأُمُّ الْكِتَابِ انْعِكَاسٌ لِعِلْمِ اللَّهِ بِمَا كَانَ وَبِمَا يَكُونُ، فَاللَّهُ عَالِمٌ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، قَبْلَ وَبَعْدَ أَنْ يَكُونَ، وَعِلْمُ اللَّهِ لَيْسَ عِلْمَ الْكَشْفِ، بَلْ إِنَّهُ يَتَعَدَّى إِلَى الْمَسَبِّبَاتِ وَالْمُؤَثَّرَاتِ، لِأَنَّهُ صَانِعُهَا، فَعِلْمُ اللَّهِ بِالسَّبَبِ لَا يَنْفِي عِلْمَهُ بِالسَّبَبِ فَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الصَّخْرَةَ تَسْقُطُ مِنْ عَلٍّ، فَعِلْمِي بِالسَّقُوطِ يُسَمَّى كَشْفًا، وَلَكِنْ لَا يَعْنِي ذَلِكَ أَنِّي أَنَا الْمُؤَثَّرُ فِي السَّقُوطِ، فَالْمُؤَثَّرُ فِي السَّقُوطِ هِيَ الْجَاذِبِيَّةُ.

تَكْشِفُ هَذِهِ الْآيَةُ فِكْرَهُ الْبَدَاءِ، وَتَعْتَبِرُ هَذِهِ الْفِكْرَةَ قَطْبَ الرَّحَى فِي الْحِكْمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَهِيَ أَكْثَرُ الْأَفْكَارِ تَقْدِيمِيَّةٍ وَحَضَارِيَّةٍ، وَ أَكْثَرُ الْأَفْكَارِ تَرْبِيَّةٍ لِلْبَشَرِ، فَالَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ الْأَقْدَارَ بِيَدِ اللَّهِ يَكُونُ أَكْثَرَ تَحَرُّكًا، جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ:

-١

عَنْ ابْنِ مَرْدُويَةَ وَابْنِ عَسَاكِرٍ - مِنْ أَكْبَرِ عُلَمَاءِ السَّنَةِ - عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ:

«لَأَقْرَنَ عَيْنِيكَ وَلَأَقْرَنَ عَيْنَ أُمَّتِي بَعْدِي بِتَفْسِيرِهَا: الصَّدَقَةُ عَلَى وَجْهِهَا يَحُولُ

ص: ٣٦٠

الشقاء الى سعادته، و بر الوالدين يزيد في العمر، و اصطناع المعروف يقى مصارع السوء. « ٢-

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«يمحو الله ما يشاء و يثبت» و قال: «و هل يمحي الله الا ما كان ثابتا، و هل يثبت الا ما لم يكن. « من هذا الحديث نرى أنه لا حتميه في الحياه، و أن الحياه في حاله تطور، و هي ليست حياه استاتيكيه قائمه على نظم لا تتغير.. كلا.

-٣

عن أبي جعفر الباقر عن فضيل بن يسار، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

«من الأمور أمور محتومه كائنه لا محاله، و من الأمور أمور موقوفه عند الله، يقدم فيها ما يشاء، و يثبت منها ما يشاء، لم يطلع على ذلك أحدا- يعني الموقوفه- فأما ما جاءت به الرسل فهي كائنه، لا يكذب نفسه و لا نبيّه و لا ملائكته « ٤-

عن زراره عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان على بن الحسين عليهما السلام يقول:

«لو لا آيه في كتاب الله لحدثتكم بما كان و بما يكون الى يوم القيامة، فقلت له: آيه آيه؟ فقال: قال الله: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ .

[٤٠] وَ إِمَّا نُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعَدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيْنِكَ مِنَ الْعَذَابِ فِي حَيَاتِكَ أَوْ بَعْدَ مَوْتِكَ، و على ذلك فليحذر الكافرون و أعداء الرساله ان يصيبهم الله بعذاب من عنده ان هم تماردوا في غيهم، فاما يدر كهم سراعا فينتقم الله لرسوله، أو يؤخرهم فيأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

ص: ٣٤١

فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَ عَلَيْنَا الْحِسَابُ لَا يَدُ لِلرُّسُولِ عَلَى قَوْمِهِ سِوَى تَبْلِيغِ رِسَالِهِ اللَّهُ، وَ عَلَى اللَّهِ الْحِسَابُ فِي أَنْ يَأْخُذَهُمْ مَتَى شَاءَ، وَ لَا يَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْعُو عَلَيْهِمُ بِالْعَذَابِ، أَوْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ، وَ أَنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَصِيبَ الْعَذَابَ عَلَى قَوْمٍ فَلَنْ يَسْتَطِيعَ الْأَنْبِيَاءُ رُدَّهُ، كَمَا لَمْ يَسْتَطِعْ نُوحٌ أَنْ يَرُدَّ الْعَذَابَ عَنْ ابْنِهِ.

[٤١] أَوْ لَمْ يَرَوْا إِذَا نَأَتْ الْأَرْضُ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا فَقَدْ يَكُونُ نَقْصُ الْأَرْضِ مِنْ أَطْرَافِهَا بِأَهْلَاكِ الْبَشَرِ الْمَكْذِبِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

يَلُ مَتَّعْنَاهُمْ هَؤُلَاءِ وَ آبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَ فَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَ فَهُمْ الْغَالِبُونَ (١٤٤/ الأنبياء) وَ قَدْ يَكُونُ بَدْهَابُ الْعُلَمَاءِ إِذَا نَقَصُوا أَوْ قَلُّوا رِزَاتُ الرَّحْمَةِ (أَي وَ لَتْ) عَنْهُمْ، فَالْعُلَمَاءُ هُمْ بِمِثَابَةِ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ فِي الْأَرْضِ.

وَ هُنَا تَفْسِيرٌ كَوْنِي يُقَالُ: أَنَّ الْأَرْضَ آخُذَهُ فِي التَّقْلُصِ، وَ رَبَّمَا هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَرْضَ مَفْلُطْحَةٌ مِنَ الْقَطْبَيْنِ.

وَ اللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَاكِمُ الْفَعْلَى فِي الْحَيَاةِ، وَ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا لَنْ يَتَوَانَى ذَلِكَ الشَّيْءَ عَنِ اسْتِجَابِهِ لَهُ، وَ إِذَا حَكَمَ بِشَيْءٍ فَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَغْيِرَ حُكْمَهُ سُبْحَانَهُ.

وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ [٤٢] وَ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا

قد يحسب الإنسان أنه قادر على شىء، فيجيبه الله: ان كنت تحاول المكر فأنا أشد منك مكرًا لأن مكرى الاملاء و الامهال.

يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

وَ سَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ سيعلمون حين لا ينفع العلم ان المؤمنين هم أصحاب الجنه.

كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا:

[٤٣] وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا يلخص الله مواقف الكفار من الرساله، و ما يجب ان يكون عليه موقف الرسول، فالكفار يتهمون الرسول بأنه غير مرسل من الله، فما الرد الأفضل للرسول؟ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ و لأن الله هو الحق و قد شهد على الرساله، فلا يهم بعدها ان شهد الكفار أو لم يشهدوا أ ليس الله هو الشاهد الأكبر.

وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ لكى يقرب الله فكره صدق الرسول للكفار فانه يعطيهم مقاييس يؤمنون بها، فما داموا هم بشر فإنهم سوف يؤمنون بالمقاييس البشريه، فهم ان كذبوا الرساله، فان هناك آخرين يحملون العلم يصدّقون الرسول، و من ظاهر هذه الآيه يتضح ان من عنده علم الكتاب هم اليهود و النصارى.

ص: ٣٤٣

سوره ابراهيم

اشاره

ص: ۳۶۵

بسم الله الرحمن الرحيم

أحاديث في فضل السوره:

عن الإمام الحسين عليه السلام قال:

«من قرأ سوره إبراهيم و الحجر في كلّ ركعتين جميعا في كلّ جمعه لم يصبه فقر و لا جنون و لا بلوى» مجمع البيان-ص ٣٠١-
ج ٦ و

عن النبي محمد صلى الله عليه و آله قال:

«من قرأ سوره إبراهيم و الحجر أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام و بعدد من لم يعبدها»

ص: ٣٦٧

سميت هذه السوره باسم إبراهيم رمز التوحيد، و محطم الأصنام، لأنها تدور حول رساله التوحيد التي يحملها الأنبياء و يخلصون من أجلها.

و فيما يبدو من سياق دروس السوره أنها تذكرنا بالجانب الإلهي من رساله الأنبياء، و كيف انهم يذكرون بالله، بل يجسدون بدعوتهم أعلى مثل للتوحيد، إذ لا يخشون أحدا الا الله، و هدفهم فقط نجاه البشريه من ظلمات التقليد و الجهل و التبعية الى نور العقل و الأيمان.

و قال العلامة الطباطبائي «رض» الكلام في هذه السوره فيما يقتضيه الصفات الثلاث: توحده تعالى بالربوبيه و عزته، و كونه حميدا في أفعاله، فليخف من عزته المطلقه، و ليشكر، و ليوثق بما وعده، و ليتذكر من آيات ربوبيته.

و يبدو ان سياق السوره يثير فينا الاحساس الفطري بالشكر للمنعم، و التذكرة بان ابرز الشكر هو معرفه المنعم و التسليم له، و العمل بأهداف النعم النبيله.

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١)
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَ
يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَنْعَوْنَهَا عَوَجًا أُوْلَيْكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ
يَشَاءُ وَمُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ
بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥)

اللغه

٣[يستحبون]:الاستحباب طلب المحبه بالتعرض لها،و المحبه اراده منافع المحبوب،وقد يستعمل بمعنى ميل الطباع.

٥[صَبَار]:الصبَار كثير الصبر.

ص:٣٧١

هدى من الآيات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِاسْمِ اللَّهِ كَانَتْ دَعْوَةُ الْأَنْبِيَاءِ..بِهَا ابْتَدَأَتْ وَبِهَا صَبِغَتْ، فاسم الله هو صفاته الحسنی التي تتجلى في الجلال و الجمال، في القوه و الروعه، في الرحمه الواسعه المستمره، و اسم الله الرحمن الرحيم، هو النقطه المركزيه للإشعاع في القلب و العقل و السلوك.

[١] و الهدف من الرسالات و من كتاب الله الأخير «القرآن» إخراج الناس من الظلمات التي هم فيها الى النور النازل عليهم.

الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ أُولَئِكَ كَتَبَ الْذِي يَرْمِزُ إِلَيْهِ الْأَلْفَ وَ اللَّامَ وَ الرَّاءَ، انزل من السماء، و انتقل الى الرسول دون ان يكون فيه أثر من شخصه.

ثانياً: إنه لجميع الناس، وهذا دليل انه جاء من أعلى، دون ان يخضع لحدود الزمان و المكان، و محددات المادة.

ثالثاً: الظلمات هي حاله الأولى التي كان البشر فيها على حاله من العجز و النقص، و غلظه الروح، و انغلاق النفس و الجهل، و غلبه الشهوات، و بتعبير آخر:

إنها حاله العدميه المحيطه بالخلق من قبل أن يرشّ عليها ربنا من نوره، خلقا و إنشاء و قوه و علما.

و الرب الحميد الذي نفخ في هذا الإنسان من نور الإيجاد ما أخرجه به من ظلمات العدم الى نور الخلق. هو الذي بعث بنور الرساله ليخرجه به من ظلام الجهل الى نور العقل و العلم، و من ظلام الجهاله و الجاهليه و الفوضى الى نور التزكيه و التسليم و النظام.

بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ فليس الله باعث النور فقط، بل هو الذي يرعاه أيضا لحظه بلحظه، و خطوه بخطوه، فلو لا تأييده لرساله لم يقدروا على إنقاذ البشر من الظلام، و اشاعه النور في حياتهم.

و النور الإلهي هو الهدايه الى السبيل المؤدى الى الله العزيز، الذي قهر بقوته كل شىء، و الحميد الذي وسعت رحمته كل شىء، فلم يأخذ أحدا بقوته الا بعد ان أتم عليه حجته و أسبغ عليه من نعمه ظاهره و باطنه.

وَ وَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ :

[٢] السماوات و الأرض لله، فمن أعز منه جانبا، و من هو أحق بالخوف منه و هو الذي لا- يرحم الكافرين، بل يهددهم بعذاب شديد، و ويل و ثبور.

ص: ٣٧٣

اللَّهُ الَّذِي لَهُ الْمُلْكُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِي لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ هَذَا صِرَاطَ الْعَزِيزِ الَّذِي أَحَاطَ بِمَلَكُوتِهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَ يَنْتَقِمُ بِشِدَّةٍ مِمَّنْ يَكْفُرُ بِهِ، أَوْ يَتَنَكَّبُ عَنْ صِرَاطِهِ.

[٣]- يجوز لنا نحن البشر ان نتكى على رحمه الله و ننسى عقابه، و نأمن من انتقامه، لان تجربتنا فى الحياه كشفت لنا عن وجود الآلام و المآسى الى جانب البركات و الرحمات، و لكن بالرغم من ذلك نجد البعض يغترون بالجانب المخملى من الدنيا. لأنهم يفضلون العاجله على الآخره.

الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ فَهُمْ كَالطُّفْلِ لَا يَنْظُرُ أَبْعَدَ مِنْ وَقَعِهِ الْحَاضِرِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِاللَّحْظَةِ الَّتِي هُمْ فِيهَا. أما المستقبل و العاقبه، فهم يكفرون بهما، شأنهم شأن الأنعام.

و هذه الجاهليه هى التى تدفعهم الى الكفر بما رواء حاضرهم المشهود من غيب معلوم.

و تراهم يصدون الآخرين عن سبيل الله، و لا يدعون الناس يؤمنون باليوم الآخر، ربما من أجل ابتزازهم و استغلالهم، بل أكثر من هذا فهم يحتالون على فكر الناس و يضلونهم بغير علم، من أجل تحكيم سيطرتهم على المستضعفين.

و يَصِدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الْكَافِرَ الَّذِي حَلَّتْ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، لَا يَرُدُّهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَالْمَصَالِحِ دِينَ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ مَصَالِحَهُ تَعَارَضَ وَ تَعَالَمَ الدِّينَ فَسَوْفَ يَعَارِضُهَا، وَ إِنْ وَجَدَ مَقَاوِمَهُ مِنْ

قبل الملتزمين بالدين، فسّرها حسبما شاء كما تفعل الصحف اليوم، و قديما الأنظمة الفاسده التي تمنع انتشار الوعي الدينى إلا أنها كانت تنشر الضلاله باسم الدين.

وَ يَبْغُونَهَا عِوَجًا يُرِيدُونَ دِينًا يَدْعُمُ مَصَالِحَهُمْ، وَ يُؤِيدُ اسْتِغْلَالَهُمْ لِلنَّاسِ.

أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ فَهَمَّ يَحْسِبُونَ الدُّنْيَا خَالِدَةً، وَ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللِّذَاتِ الْعَاجِلَةَ كُلَّ شَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ أَكْبَرُ.. أَنَّهَا سَبِيلُهُمْ إِلَى عَذَابٍ شَدِيدٍ.

إتمام الحجّه:

[4] كون ربنا عزيزا فانه حميد أيضا، لا يعذب الناس إلا بعد ان يتم حجته عليهم. و لكن كيف؟ قال تعالى:

وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ بِكُلِّ وُضُوحٍ وَ بَعْبَارَاتٍ مَفْهُومَةٍ وَ أَمْثَلَةٍ وَ قِصَصٍ، لِتَذَكَّرَ مِنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ، وَ سَعَى لَهَا سَعِيهَا فَانَ اللَّهُ يَهْدِيهِ إِلَيْهَا، وَ مِنْ أَعْرَضَ عَنْهَا وَ اسْتَحَبَّ الدُّنْيَا، فَانَ اللَّهُ يَضِلُّهُ.

فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فَلَا يَضِلُّ أَحَدًا أَوْ يَهْدِيهِ إِلَّا بِحُكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ.

(5) و التاريخ يشهد على هذه الحقيقه، فعند ما أرسل ربنا موسى بآياته التي تستجلى الفطره، و تبهر العقل، بعصاته و يده البيضاء، و أمره الله بان يذكرهم بأيام الله حين ينتصر المظلوم على الظالم فى الدنيا و الآخرة، لعله يخرجهم بهذه التذكرة من

ظلمات الإرهاب و العذاب و عباده الطاغوت الى نور الحريه و الرفاه و عباده الرحمن.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ ذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا فَجَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي أُغْرِقَ اللَّهُ فِيهِ
فرعون و قومه سريعاً، و أورث بنى إسرائيل أرضهم و ديارهم، و لكن لم يتم ذلك و لم يكن ليتم الا بالصبر و الشكر، و المزيد من
تحمل الصعاب، و المزيد من العمل الذى يفتح العقل و يهدى به الله السبيل.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ

ص: ٣٧٦

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبُّونَ أبنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (٨) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ (٩) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطْرَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) وَمَنْ لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)

٩[مريب]:الريب أخبث الشك،و المريب المتهم و هو الذى يأتى بما فيه التهمه،يقال:أراب يريب إذا أتى بما يوجب الريبه.

ص:٣٧٨

هدى من الآيات:

الصراط الذى يدعو اليه الرسل، هو صراط العزيز الحميد كما قال موسى لقومه:

بان يحمدوا ربهم بذكر نعمه النجاه من فرعون الذى كان يذيقهم سوء العذاب، فيقتل أبناءهم و يبقى نساءهم لخدمته، فكان ذلك امتحانا عسيرا من ربهم، وقد أعلن الله لهم ان لو شكروا لأكثر نعمه عليهم، وهذا مظهر اسم الحميد لله، بينما لو كفروا لساقهم بعذاب شديد، وهذا مظهر اسم الله «العزيز».

و لان ربنا عزيز، فلو أن أهل الأرض جميعا كفروا به لم ينقصه شىء، لأنه الغنى الحميد.

فكما قال موسى، قال الرسل لاقوامهم فكفروا فأخذهم الله بعزته بعد أن أتم حجته عليهم، و نبأ ذلك ان الذين كانوا من قبل قوم موسى مثل قوم نوح و عاد و ثمود، و الذين من بعدهم أولئك قد نسيهم التاريخ فلا يعلم قصصهم إلا الله، حيث

جاءتهم رسلهم بالحجج الواضحه فردّوا أيديهم في أفواههم، وقالوا: إنا كفرنا بما أرسلتم به، و أنا لفي شك مما تدعونا اليه مريب، فقالت رسلهم: فيم تشكون أفي الله؟! و هو الذي لا- شك فيه، و قد فطر السماوات و الأرض، يدعوكم ليغفر لكم بعض ذنوبكم، و يمنع عنكم الآثار السلبيه للذنوب على حياتكم حتى ينتهي أجلكم الذي حدده الله لكم.

و لكنهم عاندوا، و قالوا: نعم لا شك في الله، و لكنكم بشر مثلنا، ثم أتم تدعونا لمخالفه سيره آباءنا، و لا تملكون سلطانا مينا، و حجه واضحه بما فيه الكفايه.

قالت رسلهم: أجل نحن بشر مثلكم و لكن الله منّ علينا برسالاته كما يفصل بعض الناس بمنه على بعض، و لذلك فنحن لا نملك من دون الله ميزه عليكم، و إذا كنا نملك سلطانا فمن الله و باذنه.

و قوه الرسل هي بتوكلهم على الله، و بسلامه و وضوح رؤيتهم، و ان على الله يتوكل المتوكلون.

بينات من الآيات:

أذكروا نعمة الله عليكم:

[٦] للعادة سلبيات سلوكيه، و الركون الى النعم عاده سلبيه إذ ينسى البشر أسبابها، و علينا مقاومه حاله الاطمئنان الساذج بهذه النعم عن طريق تذكر الأوضاع السابقه، و تذكر الذي غيرها بأحسن منها و هو الله، و نتساءل أبدا كيف كنا، و لماذا أنجانا الله؟! و هكذا أمر موسى قومه بتذكر أيام استضعاف فرعون لهم، و كيف أنجاهم الله من عذابه.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَسُومُونَكُمْ: أى يذيقونكم.
وَ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ وَ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ أى أعظم امتحان لكم، و أصل البلاء هو إظهار الخفى، و
فى الظروف الصعبة يستخرج البشر كنوز طاقاته، و يفجر مواهبه الفكرية و الجسديه.

لئن شكرتم و لئن كفرتم:

[٧] و تذكر النعمة و من أنعم بها، أحد ابرز أنواع الشكر، و من عرف ان واهب النعمة هو الله، فسعى فى مرضاته لكى لا يسلبها عنه
زاده، و هكذا أعلن ربنا ان الشكر يزيد النعمة.

وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ الزمان سيجرى لمصلحه الشاكرين، لأنهم يحتفظون بالعوامل التى أدت بهم الى النعمة من
التوكل على الله، و السعى السليم و الوحده، و ادخار الثروه، و الاقتصاد فى الاستهلاك، و العدالة فى التوزيع.

و إن هذا لهو الشكر العملى الواجب بعد الانتصار كما جاء فى آيه كريمه:

اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِى الشُّكُورُ و بالطبع سيكون تناسى النعمة، و ترك الخصائص الفكرية و السلوكية التى
رافقتها أو استوهبتها، هو الكفر بالنعمة الذى يسبب فى زوالها.

وَ لَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ

[٨] و قد يمن العاملون على ربهم أنهم يسعون في مرضاته، و قد يزعمون أنهم لو تركوا ربهم لضاؤوه سبحانه.

وَ قَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَ مَنْ فِي الْمَأْرُضِ جَمِيعاً كَفَرُوا نظرياً أو عملياً بترك الشكر، أو العوده الى جاهليتكم السوداء، فلن تضروا الله شيئاً.

فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ و غنى ربنا ليس بسرقة، أو بابتزاز حق، أو لأجل الفساد-سبحانه- كما هو غنى بعض الأغنياء، بل غناه حميد لأنه منه و من أجل خير العالمين، و هكذا ينبغي ان يكون الأغنياء.

و هكذا سعى موسى من أجل إخراج قومه من الظلمات الى النور قبل الانتصار على فرعون و بعده، أما قبل فعن طريق قياده نضال قومه، و أما بعده فبرفع معنوياتهم، و تزكيه نفوسهم لكي لا يفسدوا أو يبطروا بالنصر فيعود إليهم الظلام، أو يبتلوا بظلام جديد.

لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ :

[٩] و هكذا سعى الأنبياء السابقون على موسى.. كم كان عددهم.. لا يعلمهم الا الله، و لكن قصصهم واحده، و قد جرت ضمن الفصول التاليه:

ألف: جاؤا بالبينات الواضحه.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ

ص: ٣٨٢

لقد وفر الله للبشر نور العقل و هو يكفيه حجه بأدنى تذكره.بيد ان ربنا أتم حجه عليهم بالحجج الواضحه التي لا ينكرها إلا المعاندون.

باء:أما الناس فقد ردوا أيديهم و وضعوها فى أفواههم اشاره الى ضروره السكوت،كما يفعل من لا يريد الكلام فيجعل يده على فمه ليقول للآخر:افعل هكذا و اسكت،و هؤلاء لم يكتفوا بطلب السكوت من الأنبياء بل أشاروا الى ذلك بأيديهم أيضا توغلا فى العناد،و لبقى عملهم شاهدا على أنهم أساسا لم يستمعوا الى القول فكيف بقوله.

فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ النَّاسَ رَدُّوا أَيْدِيَ الرِّسْلِ إِلَى أَفْوَاهِ الرِّسْلِ لِإِسْكَاتِهِمْ أَوْ رَدُّوا أَيْدِيَهُمْ هُمْ إِلَى أَفْوَاهِ الرِّسْلِ لِإِسْكَاتِهِمْ.

وَ قَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَ كَفَرْتُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ لِأَنَّهُمْ قَرَرُوا الْكُفْرَ عَنَادًا، ثُمَّ ارْتَابُوا بَعْدَئِذٍ، كَمَا

جاء فى الحديث:

«لا- تجعلوا علمكم جهلا، و يقينكم شكا. إذا علمتم فاعملوا، و إذا أيقنتم فاقدموا» وَ إِذَا لَفِيَ شَكٌّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ [١٠]جيم:أما الرسل فقد ربطوا بين رسالتهم و بين الذى اوحى بها و هو الله،و بدأوا من نقطه البدايه قائلين:أفى الله شك؟!فمن إذا خالق السماوات و الأرض و فاتقهما بعد ان كانتا رتقا؟!

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَذَا أَنْتَفَى الشَّكِّ فِي اللَّهِ، فإِنْ كَلَّ شَكٌّ وَرَيْبٌ آخِرٌ فِي الرِّسَالَةِ سَيَكُونُ بَاطِلًا، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي بَعَثَ بِالرِّسَالِ، وَأَظْهَرَ عَلَى أَيْدِيهِمُ الْمَعَاجِزَ.

دال: و بعد ان عالجوا المشكله العقليه عندهم بتذكرتهم بفاطر السموات و الأرض و بأنه لا شك فيه لأنه وجدانى. بعدئذ أخذوا يعالجون السبب الحقيقى لكفرهم و هو مشكلتهم النفسيه، و أثاروا فيهم حبههم لأنفسهم فقالوا: ربكم يدعوكم برسالاته لمصلحتكم.

يَدْعُوكُمْ لِيُغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ لَنَا إِنْ نَتَسَاءَلُ: لماذا لا يغفر ربنا كل الذنوب؟ أولا: ان بعض الذنوب يأتى بها العبد تكبرا و عنادا،

ففى الحديث:

«قد يرى الله عبده على ذنب فيقول له: افعَلْ مَا شِئْتَ فإني لا أغفر لك أبدا» ثانيا: ان بقاء بعض الذنوب سيف مسلط على غرور البشر، و أمنه من كيد الله، و عجبه بذاته لكى يبقيه أبدا بين الخوف و الرجاء.

وَ يُؤَخِّرُكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ لِأَنَّ دَعْوَةَ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَتْ مِنْ أَجْلِ إِخْلَادِ الْبَشَرِ فِي نِعَمِ الدُّنْيَا الَّتِي لَا تَبْقَى، وَ هُمْ لَا يَبْقُونَ لَهَا، بَلْ مِنْ أَجْلِ تَوْفِيرِ الْفُرْصَةِ لَهُ لِيَسْتَمِرَّ إِلَىٰ آخِرِ أَجَلِهِ الْمَحْدَدِ لَهُ سَلْفًا، وَ لَا تَنْزِلَ عَلَيْهِ الْكَوَارِثُ فَتُبِيدَهُ قَبْلَ حُلُولِ أَجَلِهِ.

قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا

ص: ٣٨٤

و كيف نقبل بولايتكم علينا أم كيف يخصكم الله بالرساله من دوننا، و كان من ضعف ثقتهم بأنفسهم كبشر انهم لم يصدقوا أنفسهم ان يعث الله إليهم بشرا رسولا.

هاء: ثم قالوا إن تعاليمكم مخالفه لتقاليدنا التي ورثناها من آباءنا و تعودنا عليها.

تُرِيدُونَ أَنْ تَصْهَدُوا عَلَيْنَا مَا كَانَ يُعْتَدُ آبَاؤُنَا وَأَوْفَالَهُمْ بِحُجَّةٍ أَقْوَى مِنْ مَجْرَدِ التَّذْكَرَةِ، بِحُجَّةٍ مَادِيَةٍ مِثْلِ أَحْيَاءِ الْمَوْتَى وَ تَفْجِيرِ يَنْبِيعِ الْأَرْضِ ذَهَابًا، وَ الْعُرُوجِ إِلَى السَّمَاءِ، لِيضْطَرُّوا إِلَى الْإِيمَانِ، وَ لَمْ يَكْتَفُوا بِهَدْيِ عَقُولِهِمْ، وَ لَمْ يَقَاوِمُوا ضَغْطَ التَّقَالِيدِ بِإِرَادَةِ التَّحَرُّرِ مِنْهَا لِذَلِكَ قَالُوا:

فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ [١١] زاء: و اعترف الرسل بأنهم بشر، لا يتميزون عن غيرهم سوى الوحي الذي هو مضاف الى شخصياتهم، و ليس جزء منها.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَ هَذَا التَّأْكِيدُ الْقُرْآنِيُّ جُزْءٌ مِنْ دَعْوَةِ الرَّسْلِ، وَ دَلِيلٌ صَدَقَ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا الْإِفْتِرَاءَ عَلَى اللَّهِ وَسِيلَةً لِلْمَكَاسِبِ الْمَادِيَةِ، وَ لَا يَرِيدُونَ ذَلِكَ وَ لَا يَسْمَحُ لَهُمْ رَبُّهُمْ بِذَلِكَ أَبَدًا.

وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِالرَّسَالَةِ، وَ يَقْدِرُ مَا يَمُنُّ اللَّهُ بِصِيحِ الرَّسُولِ عَظِيمًا، لِذَلِكَ لَا يَمْلِكُ الرَّسُولُ قَدْرَهُ الْإِيتَاءَ بِالْآيَاتِ الْجَدِيدَةِ حَسَبَ رَغْبَاتِهِ.

وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ سُلْطَانٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَالْأَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ نَعْتَمِدَ عَلَى اللَّهِ فِي تَبْلِيغِ الرَّسَالَةِ وَحَتَّى دَعَوْتَنَا لَكُمْ لَيْسَتْ بِقُوَانَا الْذَاتِيَّةِ، وَلَا بِحَسَبِ قَدْرَاتِنَا الْخَاصَّةِ عِنْدَ مَا نَقُومُ عَلَى أَمْرٍ، بَلْ بِقُوَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ الْمَطْلُوقَةِ.

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [١٢] التوكل على الله عند الأنبياء و المؤمنين بهم أصدق شاهد على انهم من قبل الله لماذا؟لما يلي:

أولاً:حب الذات و الحفاظ على المصالح،فطره بشريه راسخه فى اعماق ذات كل إنسان،و لا يمكن لأحد الا لمجنون ان يعرض نفسه للخطر،لمجموعه أوهام و خرافات لا- تؤمن بها يمكن ان تكذب لتحصل على مصلحة أما ان تكذب لتحصل على صفعه،فمستحيل الا إذا كنت مجنوناً.

ثانياً:يختلف الفرد الذى يتحرك فى الناس بقدراته الذاتية عمن هو مدعوم من قبل قوه أخرى.فسلوك الموظف أو الشرطى أو الجاسوس أو المنتمى الى حزب قوى يختلف كثيرا عن سلوك الفرد العادى.و الرسل عليهم السلام كانوا يقدمون بلا حساب على المخاطر و هم واثقون بالنصر.أو ليس هذا دليل على أنهم قد بلغوا الحقيقه.و لذلك ربطوا بين التوكل الظاهر فى ابعاد حياتهم،و بين الهدى الذى رزقهم الله إياه،فهم عرفوا الحق و لذلك ضحوا من أجله.

وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَكَانُوا يَتَحْمَلُونَ الصَّعَابَ فِي طَرِيقِ رِسَالَتِهِمْ كَدَلِيلَ عَلَى انَّهُمْ وَاثِقُونَ مِنْ طَرِيقِهِمْ.

وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ مَنْ شَاءَ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَىٰ شَيْءٍ فَلْيَعْتَمِدْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَخِيبُ أَمَلًا مِنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، فَهُوَ إِذَا حَقِيقَ بَانَ يَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ الْمُتَوَكِّلُونَ.

ص: ٣٨٧

اشاره

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَ لَنَسْكَنَنَّكُمْ
الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَ خَافَ وَعِيدِ (١٤) وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَ يُسْقَى
مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَ لَا يَكَادُ يُسَبِّغُهُ وَ يُأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ مَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَ مِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧) مَثَلُ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ
(١٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يُأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَ مَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠)

اللغه

١٥] و استفتحوا]: الاستفتاح طلب الفتح بالنصر.

١٦] صديد]: الصديد القيح يسيل من الجرح، و انما سمي صديداً لأنه يصد حتى لا يسيل.

١٧] يتجرعه]: التجرع تناول المشروب جرعه جرعه على الاستمرار.

[يسيغه]: الاساغه اجراء الشراب فى الحلق، يقال ساغ الشيء و أسغته انا.

١٨]اشتدت[:الاشتداد الاسراع بالحركه على عظم القوه.

[عاصف]:شديد الريح،و العصف شده الريح.

ص:٣٨٩

هدى من الآيات:

تطور الصراع، و تجسد عناد الكفار فى إرهاب أهوج، و هددوا رسلهم بالإخراج، إذا لم يخضعوا لباطلهم، و أعلمهم ربهم ان الفريق الظالم هو الهالك، و ان الفريق الآخر سوف يسكن الأرض موعدا بنصر الله له بسبب خوفه من الله و من وعيده.

و كانت محاولات الكفار للفتح تبوء بالفشل، لأنهم تجبروا فى الأرض، و علوا فيها بغير حق، كما وقفوا ضد الحق.

و فى الآخرة، تنتظرهم جهنم التى تسقى نازلها بماء هو القيح، يشرب به جرعه جرعه دون ان يقدر على اساعته، و ابتلاعه بينما تحيط به أسباب الموت، لو كان فى تلك الدار شىء أسمه الموت، بل يستمر معه عذاب غليظ متكاثف موجه بعد موجه.

أما أعمالهم فهى كالرماد حين تهب عليها ريح شديده العصف، أنهم لا يقدرون على الحصول مما كسبوا على شىء.. أو ليس هذا ضلالا بعيدا؟!

نعم..لان خلقه السماوات و الأرض قائمه على أساس الحق،و الضلاله باطله و لذلك فهى لا مكان لها فى الكون.

ثم أنّ الله هو المهيمن على السماوات و الأرض،فان يشأ يذهب بهم و يأت بخلق جديد.دون ان يكون ذلك عليه عزيزا.أجل و لذلك لا معنى للتجبر و العناد.

بينات من الآيات:

لنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ :

[١٣]تطور الصراع الى التهديد المباشر للرسل.

وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا أَى فى ديننا الذين نميل اليه،و هكذا أظهروا طبيعتهم الارهابيه،و عبادتهم للقوه مقام الحق.

و حين لا ينفذ القول الحق و يعاند الكافر،يستخدم أصحاب الحق القوه لردع الباطل،و لأن الرسل لا يعتمدون على قواهم الذاتيه فى مواجهه عناد الكفار،بعد ان صبروا على أذاهم بل على ربهم.لذلك لم يتركهم ربهم طويلا.بل أوحى إليهم بكل وضوح أنه سيهلك بالتأكيد الظالمين.

فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ و هذه سنه الله مع الرسل و الرساليين جميعا،أنه يتركهم يواجهون عدوهم بصبرهم و إرادتهم حتى يجربهم،و لكن إذا حانت ساعه المواجهه الجديه،فان نصره يهبط عليهم بردا و سلاما.

[١٤]و بشرهم الله بأنه مع هلاك الظالمين ينزل الرفاه و الرحمه لهم.

ص:٣٩١

وَلَنْسِيَكِنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَلَكِنْ لَيْسَ جَمِيعُ النَّاسِ يَثْقُونَ بِالْكَلَامِ الَّذِي فِيهِ إِذْذَارٌ وَبِشَارِهِ، بَلْ فِقْطُ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، وَ يَتَذَكَّرُونَ مَقَامَهُ، وَ مَقَامَتَهُمْ أَمَامَهُ لِلشَّهَادَةِ.

و لا يستمر النصر الا باستمرار أسبابه، و هو الخوف من مقام الله و سمو جلاله، و الخشيته من وعيده و إنذاره.

ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِيَّ وَ خَافَ وَعِيدِ [١٥] وَ بِثَمَنِ الْخُضُوعِ التَّامِ لِلَّهِ، دَفَعَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ هُدْيَةَ النِّصْرِ، كَمَا إِنْ أَعْدَاءُهُمْ خَابَتْ ظُنُونُهُمْ وَ آمَالُهُمْ وَ ذَهَبَتْ جُهُودُهُمْ سُدًى بِسَبَبِ عِنَادِهِمْ، وَ كَلَّمَا طَلَبُوا الْفَتْحَ أَمَلًا وَ عَمَلًا.

وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ التَّجْبِرِ طَلَبَ عُلُوِّ الْمَنْزَلَةِ بِمَا لَيْسَ لَهُ غَايَةٌ فِي الْوَصْفِ، وَ إِذَا وَصَفَ الْعَبْدَ بِأَنَّهُ جَبَّارٌ كَانَ ذِمًّا، لِأَنَّهُ طَلَبَ لِلْعُلُوِّ لَا لِهَدْفِ بَلِّ لِلتَّعَالَى، وَ لِإِشْبَاعِ نَهْمِ الْاسْتِعْلَاءِ بِحَقِّ أَوْ بَغَيْرِ حَقِّ، وَ هَذَا هُوَ مَعْنَى الْعَنِيدِ، وَ هُوَ الْاِمْتِنَاعُ عَنِ الْحَقِّ بِاسْتِمْرَارٍ.

[١٦] وَ اللَّهُ يِقَابِلُ عِنَادَ هَؤُلَاءِ بِجَهَنَّمَ تَلْهَبُ أَكْبَادَهُمْ عَطْشًا، وَ لَا يَسْقُونَ إِلَّا بِمَاءِ كَالْقَيْحِ الَّذِي يَصْدُرُ مِنَ الْجُرُوحِ الْمَتْعَفْنَةِ.

مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَ يُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ وَ قَدْ يَكُونُ هَذَا الْقَيْحُ هُوَ لَعَابُ أَلْسِنَتِهِمْ الْمَعَانِدَةِ، الَّتِي لَا تَنْطِقُ إِلَّا بِالْبَاطِلِ.

[١٧] وَ هُمْ يَشْرَبُونَ الْجِرْعَةَ بَعْدَ الْجِرْعَةِ دُونَ أَنْ يَجْرَى ذَلِكَ فِي مَرِيئِهِمْ بِسَهُولَةٍ، وَ لَكِنْهُمْ يَحَاوِلُونَ ذَلِكَ بِسَبَبِ عَطْشِهِمْ الْمَلْتَهَبِ.

يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ذَلِكَ أَنْ الْمَوْتَ يَنْعَدِمُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.
وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ أَيِ إِمَامِهِ عَذَابٌ كَثِيفٌ.

المنهج الإلهي حصن الحضاره:

[١٨] و أعمال هؤلاء تذهب عبثاً، لأنها لا تجرى مع سنن الله في الأرض، كمثل الذي يحث الخطي بعد أن ضل الطريق و تاه في الصحراء، فهل يبلغ هدفه؟! مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ أَيِ يَوْمِ اشْتَدَّتْ الرِّيحُ فِيهِ عَصْفًا، منذ بدايته الى نهايته، ان الرماد ينبث في الفضاء بسبب عدم استقراره على أساس ثابت، و عدم وجوده في حصن منيع، كذلك العمل الذي لا ينبعث من أرض الأيمان الصادق، و لا يحصنه المنهاج السماوي.

لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَيَّ شَيْءٍ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنْ أُسَاسَ الْكُونَ قَائِمٌ عَلَيَّ أَنْ لِلْإِنْسَانِ مَا سَعَى، و لكن السعي الذي يتبع الهوى، و يخضع لضغط الطبيعة، و لشهوات الناس يكون كالرماد الذي تشتد به الريح لتجد كل جزء منه في اتجاه بينما السعي الذي يستقيم في الخط الصاعد، يستمر.

ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ الَّذِي لَا يَنْفَعُهُ الْكَسْبُ، وَ هُوَ أَفْضَلُ ثَمَرَاتِ الْعَمْرِ.

[١٩] والسؤال: لماذا لا تقدّر عداله الله، مكاسب هذا الفريق من البشر؟ ذلك لأن الله قد بنى السماء والأرض على أساس سنن و انظمه و مناهج و سبل سماها جميعا بالحق، فمن عرفها و سخرها قدر على ما اكتسب، و من تحداها بهواه و بضلالته لم يقدر على شىء مما كسب.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ كُلَّ شَيْءٍ خَاضِعٌ لِسِنِّهِ وَنَظَامٍ لَا يُمْكِنُ تَجَاوُزُهُ وَلَا تَسْخِيرَهُ إِلَّا عِبْرَ ذَلِكَ النِّظَامِ، وَ مِنْ الْأَنْظُمَةِ مَا هُوَ وَاضِحٌ كَالْجَازِبِيَّةِ وَ قَوَانِينِ الْفِيْزِيَاءِ وَ الْكِيْمِيَاءِ وَ الْاجْتِمَاعِ، وَ مِنْ الْحَقِّ مَا هُوَ غَامِضٌ وَ يَذْكُرُ بِهِ الشَّرْعُ مِثْلَ آثَارِ الصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ الْإِرْثِ وَ مَا أَشْبَهَ.

و أنك لا بد ان تخضع لهذه الانظمه، و تأتي الحياه من بابها لتسخرها..أ ليس كذلك، فانك لا تسخر الحياه بالتجبر و العناد، و باتباع اهوائك المتغيره، و بالخضوع لضغوط الشهوات.

انك محكوم فى هذا الكون، و ليس بحاكم و لا- بد ان تعترف بهذه الحقيقه، و أبرز شواهد حاكميه الله عليك أنه إذا شاء أذهبك و جاء بخلق جديد. أى حاكم أنت الذى لا تملك نفسك؟! فلما ذا العناد، و لماذا التجبر؟! إِنَّ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ [٢٠] و يفعل ذلك كله دون ان تقدر على شىء.

وَ مَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ لَيْسَ بِصَعْبٍ.. فَأَنْتَ لَوْ تَجَبَّرْتَ سَوْفَ تَصْبِحُ أَهْوَنَ هَالِكٍ لَا يَسْأَلُ عَنْكَ أَحَدٌ، وَ لَا تَتَعَبُ مِنْ يَهْلِكُكَ بِشَيْءٍ سَبْحَانَهُ.

اشاره

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ (٢١) وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَوَلُّوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا يَأْذِنُ رَبُّهُمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٣) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ أُجْتِثَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)

اللغة

٢١[برزوا]: البروز خروج الشيء عما كان ملتصقا به الى حيث يقع عليه الحس، يقال برز للقتال إذا ظهر له.

[تبعنا]: التبع جمع تابع كالغيب جمع غائب.

[مغنون]: اغنى عنه أى دفع عنه فأغناه، أى نفى الحاجة عنه بما فيه كفايته.

[اجزعنا]: الجزع انزعاج النفس بورود ما يغم و نقيضه الصبر.

[محيص]: منجى و مهرب.

۲۲]بمصرخکم[:الاصراخ الاغائه يا جابه الصارخ، و يقال استصرخني فلان فاصرخته اي استغاث بي فأعثته.

۲۶]اجثت[:الاجتثاقتلوع الشيء من أصله، يقال جثه و اجثته و الجثه أخذت منه.

ص: ۳۹۶

هدى من الآيات:

ذكرنا الدرس الذى مضى بان أعمال الكفار كالرماد تبذه الريح العاصفه، ولا يحصلون مما كسبوا على شىء، و فى هذا الدرس يذكرنا سبب ذلك، كما يبين ما يعاكسه من ثبات عمل المؤمنين. و نتساءل كيف و لماذا؟ ان الكفار يعتمدون على الطاغوت و الجبت، و هما غير مهتدين و لا- واثقين من أنفسهما، فالطاغوت المتمثل فى المستكبرين يتبرءون يوم القيام عن اتباعهم، و إذا سألوهم أنا كنا تبعا لكم فهل أنتم تحملون عنا شيئا من العذاب؟ أجابوا: كلا..

لأننا ضالون مثلكم، و ثانيا.. لأننا بدورنا لا ندفع العذاب عن أنفسنا، أما الجبت المتجسد فى الشيطان فانه يأتى يوم القيامه، و يشمت بمن أتبعه و يقول لهم: ان الله وعدكم حقا و وعدتكم باطلا، و لم أكن أستطيع اجباركم على اتباعى إنما أنتم استجبتم لى بحريتكم، فاللوم عليكم و ليس علىّ، ثم يقول لهم: لا أنتم تنقذونى من العذاب و لا أنا أنقذكم، و أنى الآن أتبرئ من شرككم، و أعلن ان الظالمين لهم

عذاب أليم بعكس و عودى السابقه.

هكذا خابت ظنونهم.. أما المؤمنون فإنهم أدخلوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن الله، وهم يسلمون على بعضهم بعكس ما يجرى فى جهنم من صراع، فسبب ثبات أعمال المؤمنين ان الله يثبتها، و مثلها مثل شجره طيبه أصلها ثابت و فرعها فى السماء، و أكلها دائم، بينما الكلمه الخبيثه و العقيدته الفاسده مثلها مثل شجره خبيثه ليس لها أصل و لا قرار، و هكذا يحصن الله أعمال المؤمنين بالعقيدته الصالحه و الثواب، بينما يضل الظالمين، و هو قاهر فوق عباده يفعل ما يشاء دون أن يسأل عما يفعل و هم يسألون.

بينات من الآيات:

حوار الضعفاء مع الذين استكبروا:

[٢١] حين يتبع الإنسان الحق يكون الله ضامنا لعمله، أما حين يتبع إنسانا مستكبرا تجبر عليه زورا و بهتاناً، فما الذى يضمن عمله، يوم يأتى المستكبر هو و المستضعف ليقفان أمام الله فى صف واحد.

وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا أَيُّ لَلْأَقْوِيَاءِ مِمَّنْ اسْتَكْبَرُوا، وَ اعْتَبَرُوا أَنفُسَهُمْ أَكْبَرَ مِنَ النَّاسِ.

إِذَا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَدَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فَهَلْ هُمْ ضَامِنُونَ لِعَمَلِهِمْ؟ وَ هُنَا لَيْسَ فَقَطْ يَعْتَرِفُ الْمُسْتَكْبِرُونَ بِضَلَالَتِهِمْ، بَلْ وَ بَانَ اسْتِكْبَارُهُمْ كَانْ غَلَطَهُ الْعَمْرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ.

قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْزَعْنَا أَمْ صَبْرْنَا مَا لَنَا مِنْ

ص: ٣٩٨

مَحِيصٌ فَلَا مَجَالَ لِلزَّحْزَحِهِ عَنِ عَذَابِ اللَّهِ.

[٢٢] أما الشيطان الذى هو النداء الداخلى الذى يوسوس للقلب، فيتبعه الإنسان، وهو الذى دلى أبانا آدم بغرور فأخرجه من الجنة، وهو بالتالى إبليس الذى تمرد على الله واستكبر، وعزم على خداع البشر، انه هو الآخر اخلف وعده، و كان من قبل يزعم انه قوى، و انه سوف يغيث الذين يتبعونه، فها هو يشمت بمن يتبعه.

وَ قَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ الَّذِي لَهُ مِنَ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ عَلَى صَدَقِهِ شَوَاهِدٌ وَ حُجُجٌ.

وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ وَعَدَ الشَّيْطَانُ أَمَانِي وَ أَحْلَامِي تَتَنَاسَبُ وَ شَهَوَاتِ الْفَرْدِ، وَ هِيَ تَشْبَهُ التَّبْرِيرَاتِ الثَّقَافِيَةَ الَّتِي تَرْتَاحُ إِلَيْهَا النَّفُوسُ الْكَسُولَةُ وَ الْأُمَّمُ الْمُتَخَلِّفَةُ مِثْلَ انْتِظَارِ الْمُسْتَقْبَلِ بِلا سَعْيٍ يَصْنَعُهُ، وَ إِلقاءِ الْمَسْئُولِيَةِ عَلَى عَاتِقِ الزَّمَنِ، أَوْ لَا أَقْلَ عَلَى كَاهِلِ الْآخِرِينَ أَمْوَاتٍ أَوْ أَحْيَاءِ.

وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ جَدَرِ التَّبْرِيرَاتِ الَّتِي يَلْقِيهَا الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ فِي فُؤَادِ الْإِنْسَانِ هُوَ اشْعَارُهُ بِأَنَّهُ مَكْرَهُ عَلَى أَفْعَالِهِ، وَ ان قِضَاءَ حَتْمِيَا يَفْرُضُ عَلَيْهِ هَذَا الْعَمَلُ أَوْ ذَاكَ وَ ذَلِكَ بِتَهْوِيلِ الْأَشْيَاءِ وَ الْأَحْدَاثِ وَ الْأَشْخَاصِ عِنْدَهُ، وَ تَصْغِيرِ نَفْسِهِ أَمَامِهَا وَ تَحْجِيمِ دَوْرِ الْإِرَادَةِ

ص: ٣٩٩

عنده،مثلا يقول له:ان تغير سيره الآباء مستحيل،أو ان تغيير الأوضاع السياسيه أو الاقتصاديه أمر لا نقدر عليه،أو ان مخالفه هذا الأمير و ذلك المستكبر غير ممكنه، أو يقول له:كيف تقوم الحطبه و قد عملت فيها السنون ما عملت،و كيف تغير الزمان و قد أفسده السلطان،و ما أنت و ماذا عسى أن تفعل.

و فى يوم القيامه يعترف الشيطان،بأنه كان خادعا فى قوله هذا،و ان اراده الإنسان هى التى تصنع واقعه،و انه لا حول و لا قوه له،فلا يغيث و لا يغاث.

مَا أَنَا بِمُضْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُضْرِحِيَّ فَلَا أَنَا أَغِيثُكُمْ وَلَا أَنْتُمْ.

إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ وَ حَقِيقَةُ الْإِشْرَاكِ هُوَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ أَحَدًا أَوْ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ إِلَهٌ لَا يَغْلِبُ. كَلَّا.. بَلْ كُلُّ شَيْءٍ خَاضِعٌ لِلَّهِ، وَ لِمَنْ يَتَوَكَّلُ.

إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ إذا كان جذر التبريرات سلب اراده البشر،و تهويل ما دونه فى عينه،فان العنوان الظاهر لكل التبريرات هو سلب مسئوليته الفرد عن جرائمه،لذلك أكد الشيطان فى يوم القيامه ان للظالمين عذابا أليما،فهم لا يستطيعون ان يهربوا من مسئولياتهم أبدا.

و ادخل الذين آمنوا الجنات:

[٢٣]أما المؤمنون فان ربهم ضمن لهم جزاء أعمالهم الصالحه،و قد صدقوا وعد بعضهم،فتراهم يحبون بعضهم بسلام بعكس أولئك الذين تنازوا بالألقاب و تبرؤوا

من بعضهم.

وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ فخلودهم لا يجعلهم آله، لأنه خلود قائم على اذن ربهم، والله وعد بذلك فلن يخلف الميعاد.

تَحْيَتْهُمْ فِيهَا سَلَامٌ

كلمه طيبه و كلمه خبيثه:

[٢٤] لماذا تشتد الريح بما كسبه الكافرون؟ لأنه لا يعتمد على أساس راسخ الجذور.

حين تكون عقيدته الفرد قائمه على أساس العلم، و تكون إرادته ضمانه لتلك العقيدته ضد ضغوط الهوى و المجتمع، حينها يكون قول الفتى ثابتا على الحق، لا يغيره إرهاب أو ترغيب أو عسر أو حرج، فانه يكون مثل الشجره المفيده التي ضربت بجذورها في تخوم الأرض، و انتشرت فروعها في عرض السماء.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضْمُرُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ [٢٥] و لأن العقيدته الثابته، قويه الجذور، و يتعهدا الفرد بكل طاقاته، فهي ستكون كثيره الثمار من أعمال صالحه، و أقوال طيبه، و سلوك حسن.

تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ

ص: ٤٠١

كُلِّ وَقْتُ.

يَاذُنِ رَبِّهَا بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ.

وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَعَنْ طَرِيقِ تَشْبِيهِ الشُّؤْنِ الْبَشَرِيِّ بِالتَّطَبُّعِ الْمَخْلُوقِ قَدْ يَصِلُ الْعَقْلُ إِلَى كُنْهِ الْحَقَائِقِ.

و سواء كانت هذه الشجرة نخله أو شجره وهميه أو شجره مجهوله أو حتى كان المراد بها الشجره الطيبه للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، و أهل بيته الطاهرين كما جاء فى روايات كثيره، فان الهدف معرفه الأمر الحاسم لثبات العقيدته الصادقه فى طيب عطاء الفرد و كثرته.

[٢٦] أما الكلمه الخبيثه التى تعنى تلك النفس التى لا تعتمد على أصل العقيدته الراسخه، فان مثلها كمثل شجره خبيثه ليس لها قرار فى الأرض، و لا ثمر.

وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ الْكَلِمَةُ فِي الْقُرْآنِ تَشِيرُ إِلَى مَحْتَوَاهَا وَ لَيْسَ لِفِظِهَا، كَمَا أَنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ (كُنْ فَيَكُونُ) إِشَارَةٌ إِلَى إِرَادَتِهِ الْعَلِيَا، وَ عَيْسَى كَانَ تَجْسِيدًا لِكَلِمَةِ (كُنْ فَيَكُونُ) لِذَلِكَ سُمِّيَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ.

فال كلمه الخبيثه:هى الفكره الخبيثه الباطله، التى تعبر عنها الكلمه و هى كما يشير اليه السياق القادم-ان يجعل لله أندادا ليضلوا عن سبيل الله-.

كَشَجَرِهِ خَمِيئَةً اجْتَسَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ لِلَّهِ مِنْ قَرَارٍ وَ تَشْبَهُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ التَّجْمَعَاتِ الْقَبْلِيَّةِ أَوْ الْحَزْبِيَّةِ الضَّالَّةِ، كَبْنِي أُمِّيهِ فِي التَّارِيخِ وَ مِثْلِ حَزْبِ الْبَعْثِ الْيَوْمِ.

القول الثابت:

[٢٧]الكلمة الطيبة:هى كلمة التوحيد التى يثبت الله عليها المؤمنين و يجعلهم فى حصنه حتى لا تزلزلهم عواطف الشهوات، و لا تزيلهم عواصف الضغوط، فلا- ترغيب الأغنياء المترفين، و لا- إرهاب المستكبره قادر على ان يزحزحهم عن مواقفهم الثابته فى الدفاع عن حقوقهم و عن كرامتهم.

يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ لَذَلِكَ

جاء فى الحديث:

«كلمه لا اله الا الله حصنى، فمن دخل حصنى آمن من عذابى» و

جاء فى الدعاء:

«بسم الله كلمه المعتصمين و امان المتحرزين» ان النفس البشريه خلقت من ضعف، و ان الشيطان، و دواعى الهوى، و مشاكل الحياه قد تتراكم ضغوطها عليها، و لو لا الأيمان بالله، و تذكر انه الرقيب الشاهد عليها، و الثقه بوعده و بنصره، و التوكل على قوته فى مواجهه بطش الطغاه، و كيد الماكرين إذا لانهارت النفس. لذلك يكرر المؤمنون هذا الدعاء: «اللهم أعنى نفسى بما تعين الصالحين على أنفسهم».

ص: ٤٠٣

أما الظالم الذى يعتدى على حقوق الآخرين، و بينى ضرورات حياته و عيشه على البغى فان بقايا النور فى قلبه تسلب منه و كلما توغل فى سبيل السعى كلما كانت توبته عنه أبعد، و كانت نفسه أميل الى الفساد.

و يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ

ص: ٤٠٤

اشاره

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَدُلُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَ أَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصِيلُونَهَا وَ بَسَّ الْقَرَارُ (٢٩) وَ جَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠) قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَ لَا خِلَالَ (٣١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَ سَيَخِرُّ لَكُمْ الْفُلُوكَ لِيَتَجَرَّ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ سَيَخِرُّ لَكُمْ الْأَنْهَارُ (٣٢) وَ سَيَخِرُّ لَكُمْ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ دَائِبِينَ وَ سَيَخِرُّ لَكُمْ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ (٣٣) وَ آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)

اللغه

٢٨ [أحلوا]: الإحلال وضع الشيء في محل اما بمجاوره ان كان من قبيل الأجسام، أو بمدخله ان كان من قبيل الاعراض.

[البوار]: الهلاك.

٣١ [خلال]: الخلال جمع خله، و خالته أى صادقته.

٣٣]دائين]:الدؤوب مرور الشىء فى العمل على عاده جاريه فيه.

[اجنبى]:ابعدننى.

ص:٤٠٦

هدى من الآيات:

و كما ان ربنا، يثبت الذين آمنوا بما آمنوا، فان ضلاله الظالمين تبدو منهم، الا ترى كيف أنهم يبدلون نعمه التوحيد و نعمه الرساله و سائر النعم الإلهيه المعنويه و الماديه الى نقمه بسبب كفرهم بها، و ترك شكرها، و هم يقودون قومهم الى دار الهلاك، فى جهنم حين يحترقون بنارها، و يستقرون منها مكانا سيئا و هم يبدلون النعمه كفرا حين يفتشون عن أنداد لهم من سلطات جور و علماء سوء، فيضلون بهم الناس عن الله، و ان مصيرهم الى النار.

ان شكر نعمه التوحيد هو الصلاة لله لتوثيق عرى الايمان، و الإنفاق على المحرومين فى السر و العلانيه، و الخوف من الحساب فى يوم القيامه حيث لا بيع فيه و لا خلال.

و لماذا لا- نشكر ربنا و هو الذى خلق السماوات و الأرض، و انزل من السماء ماء فاخرج به هذه الثمرات المتنوعه رزقا مباركا لنا، كما سخر الرياح لتحمل الفلك فى

البحر، و سخر الأنهار، و أكثر من هذا سخر الشمس و القمر يعملان باستمرار، و سخر النور و الظلام، و آلاف بل ملايين النعم التي لا- نحصيها لو أننا أردنا تعدادها، كل ذلك من أجل رفاها و تكاملنا، و ان الإنسان لظلم يطغى فى الأرض، و يكفر بنعم الله، و لذلك يكون مثله..مثل شجره خبيثه اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، كما جاء فى الدرس السابق.

بينات من الآيات:

و أحلوا قومهم دار البوار:

[٢٨]الغايه من نعم الله على البشر أن تنعكس فى حياتهم الماديه شكرا فى صورهِ الوصول بها الى اهدافها، و فى حياتهم المعنويه تكاملا- و هدى و خلقا رفيعا، بينما ترى بعض كبراء الكفر يسعون فى الأرض فسادا، فبدل ان يطعموا الطعام يتلفونه، و بدل ان يطعموا منه البائس و الفقير يتخذونه وسيله لاستعباد الناس و تذليلهم، و بدل ان تبعث النعمه فى أنفسهم الرضا و السكينه يزدادون بها طغيانا و حرصا و إسرافا، و بالتالى قلقا و توترا، و هكذا يبدلون نعمه الله الى كفر.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَدُلُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا أَظْهَرَ أَمْثَلَهُ نِعْمَةُ اللَّهِ هِيَ نِعْمَةُ الرَّسَالَةِ الَّتِي كَفَرُوا بِهَا، و لا- يزال الكبراء و أشياعهم من خدمه الكفر يكفرون بهذه النعمه و لا يشكرون.

و لكن هذه النعمه ليست الوحيدهِ التي لا يشكرونها بل هناك نعم اخرى كذلك يتخذونها وسيله للكفر، مثل نعمه السلطه و الرفاه و السلامه و الأمن.

و هؤلاء يجعلون قومهم فى منزل الهلاك بسبب كفرهم بالنعم، فيقودون الضعفاء فى حرب ضد أصحاب الرساله.

وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْآخِرَةِ إِنْ هَزِيمَهُ سَتَكُونُ مِنْ نَصِيبِ كِبْرَاءِ الْكُفَّارِ، وَ لَكِنَّهُمْ يَسْحَبُونَ وَرَاءَهُمْ جَيْشًا مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَ يَذِقُونَهُمْ مَرَارَةَ الْهَزِيمَةِ.

[٢٩] هذا فى الدنيا أما فى الآخرة، فان مصيرهم جميعا..

جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَ بَسَّ الْقَرَارُ [٣٠] و لكى يدعموا سلطاتهم الطاغوتيه على الناس، و لكى يواجهوا منطق الحق بباطل مزخرف، فإنهم يدعون الناس الى الأصنام الباطله، مره يرفعون رايه العنصريه و العصبية العشائريه، و مره ينعقون باسم آبائهم الأولين، و قد يهتفون باسم الأَرْض أو اللغه أو الوطن، أو باسم الأمن و الرفاه، كل ذلك ليصرفوا الناس عن التوحيد الذى هو أسمى قيمه معنويه للإنسان.

وَ جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ وَ هَدَفَهُمْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ التَّمَتُّعِ السَّاذِجِ بِلذَائِدِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدُّنْيَةِ، وَ لَكِنْ إِلَى مَتَى تَدُومُ لَهُمُ النِّعْمُ؟ أَنِهَا لَا تَدُومُ إِلَّا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ.

قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ

الشكر الحقيقى:

[٣١] أما المؤمنون بالرساله فإنهم يشكرون هذه النعمه.

أولاً: بإقامه الصلاه و تنميه روح الأيمان بالله، لكى يزدادوا ثباتا و استقامه.

ثانياً: بالإنفاق الذى هو بدوره يزيد النعم.

ص: ٤٠٩

لماذا لا يهز ضميرك منظر المطر يهبط لك من السماء نعماء و رحمه، من الذى رفع ملايين الأطنان من مياه البحر بعد تصفيتها بالتبخير، و مزجها بأكسجين الفضاء، و بتروجين الرعود، و نشره فى كل جهه، من الذى جعل فى الأرض الأملاح و الخصوبه و البذور لتتحول الأمطار فيها الى ثمرات مختلفه؟! وَ سَيَخَّرْ لَكُمْ الْفُلُكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ أَوْ تَزْعَمَ ان السفن تبحر فى البحار بأمرك، فلو ان الرياح ركدت أو ان الأمواج تصاعدت، فهل جرت السفن حيث تشتهى.

وَ سَخَّرَ لَكُمْ الْيَوْمَ وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ [٣٣] و الشمس التى هى أكبر من أرضنا بكثير، و القمر الذى هو أصغر من أرضنا كل يجرى فى فلك و نظام بحيث ينفع الحياه فوق كو كونا بضوئها و بجاذبيتها و طريقه دورانها، من الذى سخرهما أ فلا نشكره؟! وَ سَيَخَّرْ لَكُمْ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دَائِبِينَ وَ سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ فعند ما يعم الظلام الارزاء تخلد الى النوم براحه نفسه، و عند ما ينبعث ضياء النهار، تنبعث حيويه و همه.

[٣٤] و بالرغم من ان طموحات البشر لا تتحقق عاده جميعها، و لكن هناك تناسب بين هذه الطموحات و بين عطاء الله سبحانه، فبقدر أملك فى الله، و سؤالك منه ينشر عليك نعمه.

وَ آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ففى ضيق الشدائد، و عند المدلهمات تجد فرج الله و روحه « أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ

إِذَا دَعَاهُ وَ يَكْشِفُ الشُّوْءَ» و عند ما تتعب سفينه أمالكك ترسو على شاطئ رحمة الله الذى يقول لك: «وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ». و هناك تجد تحقيق آمالك و تخاطب ربك قائلا:

«الهي طموح الآمال قد خابت الآ لديك و معاكف الهمم قد تعطلت الآ عليك و مذاهب العقول قد سمت الا إليك فأنت الرجاء و إليك الملتجأ» (1) و أى نعمه تحصيها عددا، أجل لو كانت الأشجار أقلاما، و البحر يمدده من بعده سبعة أبحر، لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي.

وَ إِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِن كُلَّ خَلِيَةٍ فِي بِلَايِنِ الْخَلَايَا الَّتِي تُشَكِّلُ جِسْمِي نِعْمَةٌ كَبْرَى يَعْجِزُ الْقَلَمُ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِهَا، فَأَيُّ نِعْمَةٍ تَحْصِيهَا—و كيف، و لكن أنت ترى الإنسان كيف يظلم نفسه بالكفر بنعم الله.

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ فَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظْلَمُونَ أَنفُسَهُمْ وَ الْآخِرِينَ بِالنِّعَمِ فَيَتَّخِذُونَ مِنْ نِعْمَةِ اللِّسَانِ وَسِيلَةَ التَّشْهِيرِ وَ الْبُهْتَانِ، وَ مِنْ نِعْمَةِ الْيَدِ الْبَطْشِ وَ الْإِعْتِدَاءِ، وَ مِنْ نِعْمَةِ الْمَالِ الْبَخْلُ وَ التَّرْفُ وَ الْإِسْتِعْلَاءُ، وَ مِنْ نِعْمَةِ الْقُوَّةِ الْإِسْتِكْبَارُ وَ الْقَهْرُ وَ الِذِيكْتَاتُورِيَّةُ، وَ هَكَذَا يَكْفُرُونَ بِنِعْمِ اللَّهِ، وَ لَا يَحْقُقُونَ بِهَا أَهْدَافَهَا النَّبِيْلَةَ وَ لَوْ فَعَلُوا لَكَانَ

ص: ٤١٢

١-١) من أدعيه ليله الجمعة مفاتيح الجنان قسم أعمال ليله الجمعة.

ذلك شكرا عمليا منهم.

[سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٣٥ الى ٤١]

اشاره

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنِي كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مَنْ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١)

اللغه

٣٧[بواد]:الوادی سفح الجبل العظيم، و منها قیل للأنهار و العظام أودیه لان حافاتھا كالجبال لها، و منه الديه لأنه مال عظیم یحتمل فی امر عظیم.

ص: ٤١٣

إشاره

و الدعوه الصالحه

هدى من الآيات:

لقد أعلن ربنا ان من يشكره يزيده عطاء، و من يكفر به فان عذابه لشديد، و في هذا الدرس يضرب مثلا للإنسان الشاكر الذى لا يشق له غبار و هو إبراهيم عليه السلام بينما الدرس التالى يذكر بمصير الكافرين.

و قد وعد ربنا ان ينصر رسله بسبب خوفهم من ربهم، و هذا إبراهيم يرفع الى الله يد الضراعه ليجعل مكه بلدا آمنا، ظاهرا بحرمته، و باطنا بنظافته عن الأصنام التى أضلن كثيرا من الناس حتى فقدت الكثره العدديه شرعيتها، و بقى المقياس هو الحق، و اتباع الرسل، فمن تبع إبراهيم فهو من إبراهيم، أما من عصاه فان رحمه الله فقط و ليس انتماؤه النسبى الى إبراهيم سوف ينقذه بإذن الله.

و بعد ان استعرض إبراهيم طاعته لله، حين اسكن بعض ذريته فى صحراء الحجاز حيث لا زرع و لا ضرع، دعا ربه بان يوفقهم لأداء الصلاه على وجهها، و ان

يجعلهم قبله القلوب، و ان يرزقهم من الثمرات، كل ذلك بهدف ان يشكروا ربهم، فيستخدموا النعم لراحه الجسد، و أمواج الروح، و أن يجعلوا الله الشاهد عليهم لأنه يعلم ما يخفون و ما يظهرون، و لا يخفى عليه شيء لا فى الأرض و لا فى السماء.

و قد استجاب له ذلك، أو ليس هو الذى رزقه على الكبر إسماعيل و إسحاق، فانه إذا سمع الدعاء، و لكى يكون شاكرًا فعليه ان يقيم الصلاه، و ان يدعو لأولاده بذلك، و ان يستغفر الله لنفسه و لوالديه و للمؤمنين، حتى تكون آصرته الإيمانيه و ليس الأسريه أقوى شيء، و ان يخشى الحساب.

هذا إبراهيم قدوه الشاكرين، أ فلا نكون مثله؟

بينات من الآيات:

الاستقلال الفكرى:

[٣٥] طيله اربع و ستين قرنا لا أقل كانت مكه بلدا آمنا بدعاء ذلك الشيخ الذى تجرد عن ذاته، و عن علاقاته النسبيه، و ترك فلذه كبده إسماعيل و أمه فى تلك الأرض القاحله بهدف اقامه بيت لله، يظلمه السلام أمام هجمات الشياطين الماديه و الثقافيه.

وَ إِذِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ وَ هل كان ينفع السلام العسكرى لو تم غزو أبناء إبراهيم ثقافيا و اجتماعيا، و اقتصاديا و سياسيا، لو كنت تزعم بأنك أقل شأنًا من الأوربى و ان له حق السيادة عليك، أو زعمت بان عائله (آل فلان) هم أصحاب الملك و الحكم عليك، دون ان يكون له حق اختيارهم أو رفضهم، أو زعمت ان الماركسيه و أربابها هى أفضل لك

ص: ٤١٤

من عباده الله، فهل ينفك الاستقلال العسكري شيئاً.

ان أسوء أنواع العبودية لا- ريب هي السيطرة العسكريه و هي ما دعا إبراهيم ربه ان يأمن أهل مكة منها، وقد استجاب له ربه دعاءه، و ابرز مظاهره ذلك هلاك أصحاب الفيل، حيث حمى ربنا البلد الحرام من الاحتلال العسكري، و هو ما يسميه بالطاغوت.

و لكن أصنام العبودية الثقافيه، أو التبعية الاجتماعيه و الاقتصاديه و السياسيه أخفى خطراً، و لم يستجب فيها ربنا دعاء إبراهيم، إذ يتنافى و ما قدر الله من حرية البشر في الدنيا.

[٣٦] و لأن أقوى اسلحه الجبت، و عباده الأصنام هو الاحساس القوي عند الفرد بضروره التوافق الاجتماعى، فان إبراهيم (عليه السلام) أكد ان الأصنام قد أضلن كثيرا من الناس، لكي يعرف الإنسان ان اتباع الناس يعنى الضلاله فى الأغلب فيتحصن ضد غرور الكثره.

رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۚ ان الأصنام تتجسد فى قوى اجتماعيه ثقافيه، أو اجتماعيه و سياسيه، و ربما لذلك نسب الضلاله إليهن، و جاءت بصيغه الجمع فلم يقل أضلت بينما كان ذلك الأنسب الى غير ذوى العقول، لو كانت الأصنام هذه الأحجار و الأخشاب المعبوده.

و من جهه ثانيه: لأن قريشا خدعوا ضمائرهم حين استسلموا لضغوط الأصنام، و برروا موقفهم المتخاذل من التوحيد بأنهم أولاد إبراهيم فلا ضمير عليهم، كما فعلت بنوا إسرائيل مثل ذلك، لذلك أكد إبراهيم عليه السلام براءته منهم.

فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَّحِيمٌ

ص: ٤١٧

ربما لم يقل إبراهيم و من عصاني فان عذابك شديد لكي يتجنب الذاتيه فى تعبيره فلا يضمن تعبيره انه هو سبب العذاب.

دعوه إبراهيم لأبنائه:

[٣٧] إبراهيم رجل الرساله،الذى قضى عمره يجاهد من أجل التوحيد،فلم يستجب له الا قليل،فرزقه الله أولياء يرثون دعوته،بعد ان بلغ من الكبر عتيا،و ها هو يؤمر ان يسكن بعض ذريته فى صحراء قاحله فيستجيب لربه شاكرا،و هدفه من الذريه لم يكن سوى أن يحملوا مشعل التوحيد من بعده،و لذلك يطلب من ربه بالنسبه الى ذريته أمرين:

أولا:ان تهوى إليهم أفئده من الناس،و بسبب حب الناس لهم يستمعون الى تعاليم ربهم.

ثانيا:ان يكفيهم الله أمور الدنيا،فيرزقهم من الثمرات حتى لا ينشغلوا بطلب الدنيا عن تبليغ الرساله.

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ وَ تَرَكْتُ بِأَمْرِ اللَّهِ هَاجِرًا وَ ابْنَهَا الرُّضَيْعَ إِسْمَاعِيلَ فِي أَرْضٍ مَكَّةَ، وَ كَانَتْ قَفْرًا ذَلِكَ الْيَوْمَ بِسَبَبِ جَذْبِهَا.

رَبَّنَا لِتُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعِلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَدْفَ الْحِجِّ إِلَى الْكَعْبَةِ لَيْسَ فَقَطْ الطَّوَافَ حَوْلَ الْأَحْجَارِ الْمَرْصُومَةِ إِلَى بَعْضِهَا تَخْشَعًا لِلَّهِ، بَلْ وَ أَيْضًا التَّمَحُّورَ حَوْلَ أَوْلِيَائِهَا، الَّذِينَ هُمْ وَرَثَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَ حَمَلَهُ مَشْعَلُ الرَّسَالَةِ، وَ هُمْ أُمَّةُ الْهَدْيِ، وَ الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ، الْأَمْنَاءُ عَلَى حِلَالِهِ

و حرامه، و هم بالتالى القيادة الرساليه التى هى امتداد لقياده الرسل عليهم صلوات الله.

وَ ارزُقُهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ يشكرون حج الناس، و رزق الله بخدمه الحاج، و توجيههم و عدم التسليم لضغوط الغزاه الثقافيين.

كيف نشكر الله؟

[٣٨] و ينبغى ان يكون الشكر مخلصا لله، فلا تتجرد خدمه الحاج عن دعوتهم لى الله، و لا يجعل سقايه الحاج و عماره المسجد وسيله المفاخره و التعالى، و بالتالى لا تصبح طقوس الحج قشورا فارغه، بل وسيله للزلفى الى الله و الانابه اليه سبحانه.

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مِمَّا نُخْفِي وَمِمَّا نُغْلِنُ وَمِمَّا يُخْفِي عَلَيَّ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ [٣٩] و عاد إبراهيم يذكر نعمه الذريه، ربما لان أهل مكه فى عهد النبى صلى الله عليه و آله كلهم من ذريه إسماعيل الذى هو استجاب دعاء إبراهيم، فلما ذا يكفرون بنعمه الله و لماذا ينسون أصولهم.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ فلو شكرنا ربنا و دعواناه لاستجاب دعاءنا كما استجاب لأبينا إبراهيم عليه السلام.

[٤٠] و إبراهيم (عليه السلام) ذاته كان مقيم الصلاة، و مجده كان بالصلاه فلا نجعل نحن أبناءه ائتماننا اليه نسيباً مجداً من دون اتباع تعاليم السماء، و هو يريد ان نكون مثله.

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَ تَقَبَّلْ دُعَاءِ [٤١] و إبراهيم عليه السلام كان منتمياً بذاته الى تجمع ايماني أكبر، و لا بد ان نتخذ ذلك التجمع محورا لتحركنا لا الانتماء الى نسبه، و دعاءه للمؤمنين جميعاً.

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَ لِوَالِدَيَّ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ وَ هكذا ضرب الله لنا مثلاً من واقع إبراهيم، كيف شكر الله على نعمائه، و دعائه بتحقيق طلباته، فشكره الله و استجاب له، و كذلك يستجيب للمؤمنين.

اشاره

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخِصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤْسِهِمْ لَا يَزِيدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَا تِيهِمُ الْعَذَابُ لِيَقُولَ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَىٰ مِنْكُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٤) وَسَيَكُونُ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعَدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَعْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مِمَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)

اللغه

٤٣] و أفئدتهم هواء]:متجوفه لا تعى شيئا للخوف و الفزع شبهها بهواء الجو.

٤٤]ما لكم من زوال]:ليس لكم من انتقال من دار الدنيا الى دار الآخرة.

٤٨] وبرزوا لله]: البروز الظهور.

٤٩] مقْرَين]: مجتمعين.

[الأصْفاد]: جمع الصفد و هو الغل الذى يقرن به اليد الى العنق.

٥٠] سراييلهم]: السربال القميص.

ص: ٤٢٢

هدى من الآيات:

الذين يشكرون الله، فيستخدمون نعمه في سبيل خيرهم، يكون مصيرهم الفلاح مثل إبراهيم عليه السلام بينما الذين يتخذون من النعم وسيله للبطش و الظلم فان الأجل الذى حدد لاختبارهم سوف ينقضى و الله ليس بغافل عنهم و لا- عن أعمالهم، انما يؤخرهم ليوم القيامه حيث تشخص منه الأبصار، و تتركز الى موضع الخطر لشدته، يسرعون الى الداعى و يرفعون رؤوسهم هلعاً، لا- يملكون التحكم بأعينهم، بينما تذهب قلوبهم الى حيث شاءت دون ان يتحكموا فى افكارهم، و سيتمنى الظالمون يوم العذاب لو يؤخرهم ربهم الى أجل قريب حتى يستجيبوا دعوه الحق، و يتبعوا الرسل، و يتساءل القرآن: أو لم تكونوا قد حلفتم انه لا زوال لكم، و قد سكنتم فى منازل الهالكين من اسلافكم الظالمين. و قد رأيتم ماذا فعل الله بهم من عذاب، و قد نهكم الله الى هذا المصير عن طريق بيان القصص الرشيده، و بالرغم من ان الظالمين يخططون لأنفسهم لكى يحصنوها ضد الهلاك، الا ان الله يحيط بمكرهم و ان كانت محكمه بحيث تستطيع إرادته ازاله الجبال.

و كما يهلك الله الظالمين كذلك يورث الرسل أرضهم بوعده، فلا تظن ان ربك يخلف وعده لأنه عزيز ذو انتقام، و فى يوم القيامة تتحول الأرض غير الأرض حتى تحسبها غير هذه الأرض، كما تتغير السماوات، و وقفوا جميعا امام الله الواحد الذى يقهر عباده بسلطانه، و هنالك ترى المجرمين مقرنين فى الأغلال، يلبسون ثيابا من القطان التى يطلى بها جسم الإبل، بينما تشوى وجوههم النار، و هنالك تتجسد المسؤليه حيث تلقى كل نفس جزاء أعمالها التى اكتسبتها و التى ضبطها الله بسرعته فى الحساب، هذا نذير بليغ للناس لكى يعلموا انما الله اله واحد، و لكى يتذكر أولوا الألباب.

بينات من الآيات:

إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ:

[٤٢] قد يرقى الى قلب البشر الشك، فى هلاك الظالمين بعد ان يزداد ظلمهم و تعديهم، فيظن المظلومون ان الله غافل عنهم، و لا يدري ان بعض الظالمين يؤجل حسابهم الى يوم القيامة، فلا يظنوا أو لا يظن المظلوم ان التأخير علامه الإهمال.

وَ لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ أَي يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَيْثُ الْعَذَابُ الشَّدِيدُ.

[٤٣] و ترى الظالمين يسرعون للفرار من الخطر و حيث يأمرهم الزاجر، و هم رافعوا رؤوسهم خوفا و هلعاً، و لا- يتحكمون فى حركه أعينهم، كما ان قلوبهم فارغه من التفكير فى أى شىء سوى فى مصدر الخطر.

[مهطعين]

ص: ٤٢٤

الإهطاع الإسراع.

مُفْنَعِي رُؤْسِهِمُ الْإِتْنَاعَ طَاطَاهُ الرَّأْسِ.

لَا يَزِيدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدَتْهُمْ هَوَاءٌ

أقسام الظالمين في العذاب:

[٤٤] يبدو أنه ينقسم الظالمون الى قسمين: من يؤخذ فقط في الآخرة، وهم الذين لا يقاومهم المظلومون، و منهم من يعذبهم الله في الدنيا و في الآخرة، وهم الذين تنذرهم هذه الآية.

وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ وَدور الرسول هو قطع هذه الحجة، فلا ضير لو لم ينتفعوا من الإنذار.

أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسِمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ [٤٥] و لكن كيف اطمأنت نفوسكم الى الدنيا، و أنتم ورثتموها من غيركم، و لو لا هلاككم لما ملكتم بيوتهم، أو لا تسألون أنفسكم لماذا هلك أولئك؟! أو ليس بسبب الظلم الذي اقترفوه؟! فهلا اعتبرتم.

وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ وَ هَذَا الْمُنْذَرُ هُوَ مِنْ تِلْكَ الْأَمْثَالَ.

ص: ٤٢٥

[٤٦] قد يظن الظالمون أنهم لو كانوا أفضل خطه من السابقين لاستطاعوا ان يحموا أنفسهم من جزاء ظلمهم، ولكن هيهات.. كل الظالمين مكروا مكرًا، ولكن المكر كان بالتالي فى حدود سلطان الله، و فى إطار هيمنته، فهو الذى زودهم بعقل و إرادته و قوه حتى خططوا لأنفسهم، و متى ما يشاء يسلب منهم و عيهم، فيتحول مكرهم عليهم.

وَ قَدْ مَكَّرُوا مَكْرَهُمْ أَى تَوَسَّلُوا بِكُلِّ وَسِيلَةٍ مُمْكِنَةٍ لِلْحِفَافِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

□
وَ عِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ فَالْأُمُورُ بِيَدِ اللَّهِ حَقًّا، وَ لَيْسَ بِيَدِ الْعَبْدِ، اخْتِيَارٌ مَا يَرِيدُ، وَ رَبَّنَا لَا يَعْصِي عَنْ غَلْبِهِ، بَلْ بِقُوَّتِهِ الَّتِي مَنَحَهَا لِعِبَادِهِ يَعْصِيهِ الْكُفَّارُ.

و قد يكون مكر البشر قادرا على ازاله الجبال و لكن الأمر بالتالي بيد الله الذى زود الإنسان العقل و العلم.

□
وَ إِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَمْرُؤَ مِنْهُ الْجِبَالُ تَزْعُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْحَدِيثَةَ الَّتِي اخْتَرَقَتْ الْفُضَاءَ بِأَدْنَى عَصْرِ الْمَلُوكِ، وَ غَارَتْ فِي أَعْمَاقِ الْمَحِيطَاتِ، وَ فَلَقَتْ الذَّرَّةَ، وَ دَكَتِ الْجِبَالَ تَزْعُمُ أَنَّهَا تَسْتَطِيعُ الْفِرَارَ مِنْ عَقُوبِهِ ظَلْمَهَا لِلْمَحْرُومِينَ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ - وَ لَكِنْ هِيَ هِيَاتُ - ان الذى زود البشر اليوم بهذه الطاقات قادر أن يسلبها منهم متى ما يشاء.

إن كل جيل من الظالمين كان يحسب انه قد بلغ القمه فى تسخير الطبيعه، و لكن

بعد حلول أجله أحاط به مكره، و هلك في الأكثر بذات القوه التي زعم انها تحميه، فأغرق الله فرعون، و ابتلعت الأرض قارون و كنوزه، و دكت حصون عاد ذات الصخور التي اعتمدت عليها.

[٤٧] كما انه قد يزعم الظالمون ان الله يتجاوز عن ظلمهم، بسبب أو بآخر -و لكن هيهات- وقد وعد ربك رسله بان يأخذ أعداءهم بعزته، و إذا كانت صفه الرحمه و الغفران أبرز أسماء الله، فان اسم العزيز المنتقم من أسمائه الحسنی أيضا، و انه سوف ينفذ هذا الاسم عليهم بسبب وعده للرسل، فلا يغرقوا في الرجاء الساذج، و يتوغلوا في ظلم العباد.

فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفًا وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ [٤٨] و يبقى سؤال: إذا لماذا لا- ينتقم الرب من الظالمين على كثره ظلمهم؟ أجل انه أخر انتقامه ليوم القيامة.

يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ فَلَأَن الْبِحَارِ تَتَبَخَّرُ، و لأن الجبال تند كدك، و لان الأرض تصبح قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا و لا- أمتا، فان الأرض تبدو و كأنها غير تلك التي نعرفها، كما انه يتغير لون السماوات، و تجتمع أجرامها الى بعضها، حيث تجمع الشمس و القمر، و تتناثر نجومها، و تكون السماوات غير هذه التي نراها، و هنالك يظهر الظالمون امام محكمه الله.

وَ بَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ هُنَالِكَ يَتَجَلَّى اسْمُ الْعَزِيزِ ذُو الْاِنْتِقَامِ، فهل من مهرب؟

[٤٩] اما المجرمون فيؤتى بهم على رؤس الأشهاد و قد صفدوا بالأغلال الموضوعه على أيديهم، حيث يسلكون في سلسله طولها سبعون ذراعا.

وَ تَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ بَعْضُهُمْ مَلْتَصِقٌ بِبَعْضٍ مَغْلُولِينَ - و العياذ بالله -.

[٥٠] و قد البسوا من ماده القطران سرايل، حيث تحيط بهم ماده لزجه سوداء تنته تشبه القار- يطلّى بها الإبل - فتصبح كالثوب للقسم الأسفل من أجسادهم، بينما القسم الأعلى منها، يحيط به النار فتصبح كالحجاب.

سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَ تَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ دَعْنَا نَتَصَوَّرَهُمْ فِي مَادِهِ سَائِلُهُ يَحْتَرِقُ نِصْفَ جَسَدِهِمْ فِي الْمَادَةِ وَ نِصْفَهُ فِي لَهَبِهَا، أَوْ لَيْسَ اللَّهُ عَزِيزًا ذَا انتِقَامٍ.

[٥١] و هكذا لا يدع الله أيه نفس حتى يجزيها بما كسبت و هو سريع الحساب، حيث يحيط حسابه بكل صغيره و كبيره دون أن يعزب عنه مثقال ذره.

لَيَجْزِي اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ وَ هَكَذَا لَا يَنَامُ أَحَدٌ عَلَى حَرِيرِ التَّبْرِيرِ، وَ يَمْنَى نَفْسَهُ بِالْخِلَاصِ مِنْ ذُنُوبِهِ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

[٥٢] و إذا كان عذاب الله شديدا فانه حكيم لم يدع العباد من دون ان ينذرهم بكلام واضح عميق الأثر بلغ قلوبهم و هداهم الى الله الواحد الذي لا يشارك ألوهيته شيء أو شخص، فلا أمل في شفاعه الأصنام، و لكى يتذكر من شاء النجاه و هم أصحاب العقول الذين يستفيدون من عقولهم.

هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَإِيذْرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَيَذْكُرُوا الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ كُنَّا نُرسلهم فاجعلنا منهم.

ص: ٤٢٩

سوره الحجر

اشاره

ص: ۴۳۱

بسم الله الرحمن الرحيم

أحاديث في فضل السوره:

عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قال:

«من قرأ سوره إبراهيم و الحجر أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام و بعدد من لم يعبدها» (م البيان-ص ٣٠١-ج ٠-٦) و

عن الامام الحسين عليه السلام قال:

«من قرأ سوره إبراهيم و الحجر فى ركعتين جميعا فى كل جمعه لم يصبه فقر و لا جنون و لا بلوى» (م البيان-ص ٣٠١-ج ٠-٦)

ص: ٤٣٣

قصه الحجر تحدثنا عن أرض ثمود الذين كذبوا المرسلين و أعرضوا عن آيات الله، و اعتمدوا على بيوتهم المنحوتة من الصخور فلم تغن عنهم شيئاً، بل اهلكهم الله و بقيت قصتهم عبره لنا الّا نعتد على الصخور و الأشياء بل على القيم! نظره عامه الى السوره توحى إلينا، بان اطار هذه السوره ينسف ما يعتمد عليه البشر من أفكار تبريريه هي من وحى الشيطان الذى أقسم ان يغوى بنى آدم بكل وسيله ممكنه، كما تنسف السوره اعتماد الإنسان على الطبيعه، و تهدينا الى الركن الأشد، و هو الله الذى يحفظ القرآن من التزوير، و التحريف و يحفظ البشر من الأخطار، و يحفظ السماوات و الأرض.

و تؤكد السوره على أجل الإنسان الذى لا يمكن اختراقه أو تجاوزه للدلاله على ان شؤون البشر ليست بيده.

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ (١) رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢) ذَرُهُمْ يَأْكُلُوا وَ
يَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ اللَّهُمِلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّه أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ
(٥) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) لَوْ تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧) مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا
بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ (٨)

هدى من الآيات:

هذا الكتاب الذى نحن بين يديه يقرأ و يفهم بوضوح يندرنا عن يوم يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين أما اليوم فان الأمل يلهيهم عن الحق،و عن الخطر المستقبلى و سوف يعلمون أن افكارهم لم تكن سوى أمانى كاذبه.

و الله سبحانه تفضل على البشر حيث أرسل إليهم كتابا يبدد ظلام الأمل، كما أعطاهم فرصه كافيه للهدايه،و جعل لهم أجلا معلوما،لا يسبقونه و لا يستأخرون عنه.

و لكن ذات الأفكار التبريريه حجت هؤلاء عن كتابهم فقالوا للرسول الذى كان يهبط عليه ما يذكرهم بصوره تدريجيه حسب حاجاتهم أنك لمجنون،و طالبوه بان ينزل عليهم الملائكه.أولا يعلمون ان الله لا ينزل الملائكه الا بحكمه و عندها ينتهى أجلهم حيث لا تزيد مهلتهم،و ها هو التاريخ يشهد على ذلك.

إشاره

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، بعلم الله بقوته، و برحمته الواسعه، أنزل قرأنا، يشار اليه بألفاظ و لكنها علامات واضحه تهدينا الى الحق.

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَ قُرْآنٍ مُبِينٍ

الأمل الوثيرى:

[٢] الأمل الذى يسوّف به الفرد عمل الخير، و ينام على سريره الوثير قد يتحول الى ندامه، فمن يعيش على «لو» يموت ب «يا ليت»، و من يركب حصان الأمنيه يقتحم به وادى الحسره.

رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ و يكفى ان نظن ظنا أننا سنندم يوما على فعلنا، يكفى ذلك موعظه لنا تهز مشاعرنا من الأعماق لأن الندامه لا تنفع و قد قال شاعرهم:

ليت و هل ينفع شيئا ليت ليت شابا بوع (١) فاشترت

[٣] سوف يعلم الكفار يوم يقضى أجلهم ان أملهم يلهيهم، و ان هدفهم كان مجرد التمتع بزينه الحياه الدنيا، و ان الأمل كان مسكنا لوخز ضمائرهم، و حجابا لوهج عقولهم.

ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

ص: ٤٣٨

[٤] ان ساعه الندامه شديده الوطى حتى علينا و نحن نتصورها، كيف هى حاله من يضيع فرصته الوحيده و قد تشير فى أنفسنا الشفقه، و لكن الله يقول: لقد وفرنا كافه الوسائل الكفيله لهدايتهم فعاندوا.

وَ مَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا وَ لَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ [٥] و لكن الفرصه ليست أزليه و إذا انتهت فلن تعاد.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّه أَجْلَهَا وَ مَا يَسْتَأْخِرُونَ و يلاحظ فى هذه الامه.

أولاً: أن الامه و ليس الفرد قد حدد لها الأجل، و ذلك لأن الأفراد هم اتباع تجمع بر و فاجر. يتفاعلون معه فى خيرهم و شرهم لذلك فان أجل كل مجموعه ينتهى فى وقت واحد.

ثانياً: ان تقديم الأجل كما تأخيره غير ممكن الا أن يشاء الله، و السبب أن ربنا لا يأخذ أحداً قبل ان يكمل له فرصته و يتم الحجه عليه تماماً.

التبرير منطوق التقهقر:

[٦] و يبرر الكافر بكفره عناده بالهجوم ضد من يحمل تلك الفكره السليمه، و هكذا الكفار اتهموا الرسول بالجنون.

وَ قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ أنهم كانوا يتهربون من ذكرهم، و يخافون من الهدايه على متعتهم الزائله،

فبالرغم من اعترافهم بأنه صاحب ذكر يريد بلوره عقولهم و تزكيه نفوسهم اتهموه بالجنون لأنه كان يضحى بكل راحته و متعته من أجل مصلحتهم، و لا يريد مصلحه لنفسه، فإى تهمة يمكن الصاقها به غير الجنون-طبعاً-حسب ثقافتهم المتوغله فى الماديه، و حسب تفسيرهم للعقل و هو الحصول على أكثر ما يمكن من المكاسب ينبغى ان يكون المضحى من أجل الهدف و من دون ايه مصلحه ذاتيه ان يكون مجنوناً.

أما الجنون بمعنى انعدام العقل فانه ينعكس على تصرفات الفرد فى أكله و شربه-فى سلمه و حربته-فى أرادته لأصدقائه-و مقاومته لأعدائه-و هل كان الرسول مجنوناً بهذا المقياس، و هل الرساليون السائرون على نهجه مجانيين بهذا المقياس؟ أم بمقياس الماديين السادرين فى متع الدنيا الرخيصه؟! [٧] و لكى يبرروا كفرهم طالبوا الرسول بأمر تصوروه محالاً و قالوا:

لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ وَ هَكَذَا كُلُّ فَرْدٍ لَا يَرِيدُ أَنْ يُؤْمِنَ بِفِكْرِهِ أَوْ يَقُومَ بِعَمَلٍ يَتَعَلَّلُ بِبَعْضِ الْعُلَلِ.

[٨] و لكن الا- يعلمون ان نزول الملائكه، يعنى كشف الغيب امام عين البشر، و الله جعل الدنيا دار اختبار لعقل البشر و إرادته، و هل يختار الحق على الشهوات، و يكتشف الحق بين الشبهات أم يخضع لشهواته و يستسلم لها، و حين يشاء بعث الملائكه و كشف الغيب فانه ينهى فتره الاختيار، و بعدها لا تعطى فرصه أخرى للأمه.

مَنْ نَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ مَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ فَعِنْدَ هَبُوطِ الْمَلَائِكَةِ لَا يَهْمِلُ النَّاسُ، وَ كُلُّ مَنْ يَمُوتُ قَدْ يَشَاهِدُ الْمَلَائِكَةَ وَ يُؤْمِنُ بِهَا وَ لَكِنْ مِنْ دُونِ فَائِدِهِ.

اشاره

إِذَا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذُّكْرَ وَإِذَا لَهُ لِحَافِظُونَ (٩) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَيَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا - كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١١) كَذَلِكَ نَسِلكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا - يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ قَدْ خَلَتْ مِنْهُ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَ لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥) وَ لَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَ زِينًا لِلنَّاطِرِينَ (١٦) وَ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ (١٨)

اللغه

١٠ [شيع]: الشيع الفرق و كل فرقه شيعه و أصله من المشايعه و هى المتابعه.

١٢ [نسلكه]: ندخله.

١٣ [خلت]: مضت [يعرجون]: العروج الصعود ١٥ [سكرت أبصارنا]: غشيت و معنى الكلمه انقطاع الشىء عن سننه الجارى و منه السكر فى الشراب انما هو ان ينقع عما هو عليه من المصافى حال الصحو.

ص: ٤٤١

١٦]:[بروجا]:البروج أصله الظهور و منه البرج من بروج السماء و برج الحصن و يقال تبرجت المرأة إذا ظهرت زينتها.

[استرق السمع]:إذا تسمع مستخفيا،و السرقة عبارة عن أخذ الشيء خفيه.

ص:٤٤٢

هدى من الآيات:

الفكر لا يسلم من كيد البشر. إذ ان الإنسان الذى ينحرف يسعى لتبرير انحرافه، و لكى لا يكتشف الفكر الصائب انحرافه يحرف الكفر ذاته بالتأويل و التفسير، و الله أرسل القرآن مقياسا للبشر، و تعهد من ان يحفظه من كيد التحريف، و بالرغم من ان الله أرسل من قبل الرسول رسلا فى مختلف فرق الناس الأولين فإنهم كانوا يستهزؤن بالرسل، و يحرفون رسالاتهم، و سوف يحفظ الله القرآن و يسلكه فى قلوب المجرمين لبقى حجه بالغه عليهم لا- يقدرّون على تحريفه و هم لا- يؤمنون به، و سنه الله جرت على أمثالهم ثم أخذهم بشده، و ليس عدم ايمانهم بسبب نقص فى الحجج بل فى أنفسهم، فلو ان ربنا فتح بابا فى السماء فأخذوا يصعدون فيه، إذا قالوا لقد سترت أبصارنا عن الحقيقه و سحرنا، و من لا يستضىء بالشمس هل تنفعه الشمعه! ان آيات الله فى الكون أكبر من الصعود الى السماء فهى السماوات ذاتها، و ما فيها من بروج. جعلت بحيث تشع جمالا و بهجه، كما أنها

متينه تتحدى الشياطين. الا بعض من حاول استراق السمع، فجاءه شهاب مبین، فهل نفعتهم الآيات هذه؟!

بينات من الآيات:

كيف حفظ الله كتابه:

[٩] كل الرسالات السماويه تعرضت للتحريف من قبل المبطلين، و القرآن بدوره سوف يتعرض لمثل هذه المحاولات، التي سوف تتجه في اتجاهين.

ألف: محاوله تغيير النص القرآنى، و تبديل كلمه بأخرى.

باء: تغيير معانى القرآن، و تفسيرها بما يتناسب و مصالح المحرّفين و أهوائهم، و لان كل كتاب ينسخه كتاب الا القرآن الذى جاء خاتمه للرسالات، فان الله قد وعد ان يحافظ عليه لكى يتهيأ للأجيال القادمه فرصه للهدايه يقول ربنا:

□ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ هُوَ الْقُرْآنَ الَّذِى يَثِيرُ فِي الْبَشَرِ دَفَائِنَ عَقْلِهِ الَّتِى عَفَا عَلَيْهَا غِبَارَ النِّسْيَانِ.

□ □ وَإِذَا لَهُ لَحَافِظُونَ □ أما ألفاظ القرآن، فقد حفظها الله بنصر الأمه، و دخول الناس أفواجا فى دين الله، و إقبال الناس على كتاب الله، بحيث لم يبق مجال لتحريف ألفاظه.

و أما معانى القرآن فقد قيض الله سبحانه لهذه الأمه أئمه هدى و علماء ربانيين حفظوا معالم الدين عن الاندراس، و أصبحوا بأفعالهم و أقوالهم تفسيراً صحيحاً لنصوص القرآن، و لا يزال العلماء الربانيون و الشباب المجاهدون ماضين قدما على

نهج أولئك السلف الصالح في نفى شبهات الضالين و تحريف المبطلين.

الرسالات و مهمه الوحده:

[١٠] ولقد أرسل الله في الأمم السابقيه على اختلاف فرقهم رسالا فلم تكن بدعه رساله محمد صلى الله عليه و آله، كما لم تكن بدعه مخالفه الناس لها، و استهزائهم بها، و لكن الله سيحفظ هذه الرساله بالرغم منهم.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ وَ قد تكون الشيع اشاره الى الفرق، «و هي جمع كلمه شيعه و هم الاتباع» للتذكير بان كل رساله، كانت تهدف فيما تهدف، توحيد الفرق المختلفه التي انقسمت على نفسها بعد الرساله السابقيه.

[١١] و واجه الناس رسلهم بأسوأ طريقه، حيث استهزؤا بهم.

وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا - كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ [١٢] و لكن مع ذلك فان ربنا يتم حجته على الناس، و يدخل الذكر في قلوب المجرمين. سواء آمنوا به أم لا لكي لا يقولوا كنا ناسين، أو لم نكن نعرف الحقيقه.

كَذَلِكَ نَسِئُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ [١٣] و هذا لا- يدل على إجبار المجرمين على القبول به، بل انهم لا- يزالون على اختيارهم كبشر، و على عاداتهم الإجراميه.

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ هذه سنه الله ان من يرتكب الجريمه لا يوفق عاده للإيمان.

دليل الله في السماء:

[١٤] عدم ايمان هؤلاء لا يدل أبدا على نقص في الأدله، و بالتالى ينبغي الا نجعل ايمان المجرمين مقياسا لقبول فكره الرساله، و الدليل انه لو فتح الله عليهم طريقا يصعدون عبره فى السماء لما آمنوا لأن عقولهم فى أكنه من الشهوات.

وَ لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ اى استمروا يصعدون دون ان يكون الأمر مجرد لحظات يشتبهون فيها بأنهم يحلمون مثلا.

[١٥] لَقَالُوا إِنَّمَا سُبُكْرُتُ أَبْصَارِنَا تَتَوَهَّمُ الْعَيْنُ بِرُؤْيَاهِ بَابِ السَّمَاءِ وَ الصُّعُودِ فِيهِ، بسبب نشوه أو حجاب، ثم يكتشفون ان جسدهم يحس أيضا بوضع الصعود، هنالك يقولون:

بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّشْحُورُونَ [١٦] العروج فى السماء ليس أكبر آيه لربنا بل أكبر منه هذه السماء التى جعل الله فيها منازل و أجرام، و أسبغ عليها من الجلال و الجمال ما يبهر العقول و العيون.

وَ لَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَ زِينَاتٍ لِّلْمُتَنَبِّئِينَ فَخَالِقِ السَّمَاءِ هُوَ خَالِقِ الْأَرْضِ وَ الْإِنْسَانِ وَ مَا فِيهِ مِنْ غَرَائِزٍ، وَ هُوَ الَّذِى خَلَقَ الْأَحْسَاسَ بِجَمَالِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ.

[١٧] و بالإضافة الى الجمال الباهر فى السماء فقد حفظها الله من كل شيطان رجيم، فالجن الذين يوهمون البشر بأنهم على علم بما يجرى فى السماء، وأنهم يعلمون الغيب أنهم يكذبون.

وَ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ حَيْثُ أَنَّهُ يَرْجَمُ بِاللَّعْنَةِ وَ بِالشَّهَابِ الْمَبِينِ.

[١٨] نعم يغامر بعض الشياطين فيقتربون من بعض المواقع للحصول على بعض الأخبار، فيأتيهم الشهاب المبين ليردعهم ليعودوا خائبين.

إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ وَ هَكَذَا نَسَفَ الْقُرْآنَ أَسَاسَ عِبَادَةِ الشَّيَاطِينِ، وَ اتَّبَعَ الْكُهَنَةَ وَ الْمُنْجِمِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ حَتَّى وَ لَوْ صَدَقُوا. كَمَا أَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْفِ وَجُودَ بَعْضِ الْمَعْلُومَاتِ الْمَتَنَاتِرَةِ، وَ لَكِنَّهَا غَيْرُ مَوْثُوقٍ بِهَا. مِنْ هُنَا فَوْجُودَ بَعْضِ الْمَعْلُومَاتِ لَا يَدُلُّ عَلَى سَلَامَةِ الْمَصْدَرِ، دَائِمًا إِذَا نَ هَدَفَ الشَّيَاطِينُ مِنْ إِعْطَاءِ الْمَعْلُومَاتِ السَّلِيمَةِ هُوَ تَضْلِيلُ الْبَشَرِ فِي الْقَضَايَا الْعَامَةِ. تَمَامًا مِثْلَ وَسَائِلِ أَعْلَامِ الطَّاعُوتِ الَّتِي تَنْقَلُ عَشْرِينَ خَبْرًا صَحِيحًا لِتُدَسَّ خَبْرًا هَامًا بَاطِلًا.

ص: ٤٤٧

اشاره

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَإِلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) وَإِذَا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥)

اللغه

٢٢[لواقح]: اللواقح الرياح التي تلتفح السحاب حتى يحمل الماء يقال لفتحت الناقه إذا حملت و القحها الفحل، و مفردها لاقحه.

هدى من الآيات:

كيف امتدت الأرض دون ان تهتز بفعل حركتها، و من جعل فيها الجبال التى رست بسفينة الأرض، و كيف أنبت الله فيها من المعادن و النباتات، الموزونه، و جعل الله للإنسان فى الأرض ما يعيش عليه، كما جعل لسائر الأحياء ما يرزقها دون ان يكون للإنسان أثر فعال فيه.

و لكل نعمه ينبوع تفيض منه، و ينابيع النعم عند الله، و لكنه لا ينزل منها الا بقدر تقتضيه حكمته البالغه مثلا ينبوع المطر الذى جاء من بخار البحار و عواصف الرياح التى تلقحها و تحملها حتى تسقى الناس، ثم تبقى تحت الأرض فى خزائن يملكها الله.

و الحياه بيد الله، و خزائن الحياه عنده، و الموت بيد الله و أسباب الموت عنده و الوارث بعد الموت هو الله.

و العلم بمفاتيح الغيب ينبوع من خزائن القدره، فربنا الذى يحيط علمه بالسلف و الخلف، و اليه مصير الناس جميعا.

هكذا: تتصل شؤون البشر بمشيئه الله. ابتداء من أمه الأرض -الى معيشته فيها- الى ماء السماء، و اليه المصير. أو ليس الأفضل التسليم له؟

بينات من الآيات:

دليل الله فى الأرض:

[١٩] أحب البشر أرضه، التى نبت فيها، و ارتضع من خيراتها، و دب عليها، و من أجل الدفاع عن بضعه أشبار منها أرخص دمه. أو لا يعلم ان الأرض هذه خلقها الله، و مدها من تحته من بعد ان كانت كتله ملتهبه، ثم قرّر الجبال فيها، و وضعها حيث تحافظ على توازنها على أدق نظام، و هو الذى أحاط علما بوزن الجبال.

وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ الرَّوَاسِيَ، الثَّوَابِتِ وَ وَاحِدَهَا رَاسِيَهُ وَ الْمَرَاسِيَ مَا يَثْبِتُ بِهِ (١).

وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ الْوِزْنَ أَدَقَّ مِنَ الْكَيْلِ، وَ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ وَزْنُهُ الْخَاصُّ لَيْسَ فَقَطَّ كَمَجْمُوعٍ بَلْ كَمَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَادَةٍ كِيمِيَاوِيَةٍ تَتَرَكَّبُ مِنْ تَرْتِيبِ نَسَبٍ مَعِينَةٍ مِنَ الْمَوَادِّ الْآخَرَى. لَا- تَزِيدُ وَ لَا تَنْقُصُ بِحَيْثُ لَوْ زَادَتْ أَوْ نَقَصَتْ لِأَصْبَحَتْ مَادَةً أُخْرَى تَخْتَلِفُ بَلْ تَتَنَاقَضُ

ص: ٤٥٠

خصائصها و ميزاتها مع المادة السابقة.

[٢٠] وجعل الله، للإنسان معاشه في الأرض، فعلمه كيف يعيش، وخلق أنواع الصيد في البر و البحر، و علمه كيف يصيد و يزرع، و أودع في الأرض كنوز الخير يستخرجها البشر بالزراعة، و علمه كيف يحول مواد الأرض بحيث يستفيد منها، كما أنه وفر لكل حي رزقا يناسبه هل يرزق البشر بعض أنواع الهوام و الحشرات و الدواب و الطيور، و الأسماك.

وَ جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ مَعَاشٍ جَمَعَ مَعِيشَهُ وَ هِيَ طَلَبُ أَسْبَابِ الرِّزْقِ مَدَى الْحَيَاةِ (١).

وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ وَ قَدْ تَفْسَّرَ الْآيَةُ: بَانَ رَبَّنَا قَدْ ضَمَّنَ رِزْقَ مَنْ لَا يَمْلِكُ حَوْلًا مِثْلَ الْمَرْضَى وَ الْمُقْعَدِينَ. و.

[٢١] و بالرغم من ان الإنسان يسعى من أجل رزقه، فهو مثلا: يحرق الأرض و يطلب الصيد، و لكن هذا السعى ليس سوى وسيله لاستدرا رحه الله. ذلك لأن خزائن الله مليئه بالرزق، و تنتظر أوامر الله التي لا تأتي الا بحكمه، و متى تقتضى الحكمة؟ عند ما يسعى البشر.

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ فَلَوْ أَعْطَى اللَّهُ الْبَشَرَ مِنْ دُونِ سَعْيٍ لَشَجَعَهُ عَلَى الْكَسَلِ وَ التَّرَفِ، وَ إِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ

ص: ٤٥١

أكثر من حاجته طغى فى الأرض.

[٢٢] و من خزائن رحمہ اللہ بركات السماء، فالرياح تهب بسبب حركة الشمس، فتلقح السحب. تجمعها، و تربط السالب و الموجب فيها، و تجعلها مهياه للمطر.

وَ أَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ لِنُزِّلَنَّ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾
أنما ربنا الذى يخزن بقيه المياه فى خزائن جوف الجبال.

قدره الله و حكمته:

[٢٣] و الموت و الحياه بأمر الله، و لو لا الحياه هل كانت اموال الإنسان تنفعه شيئاً؟! وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ نَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾
فالأموال تعود بالتالى الى الله.

[٢٤] و هكذا ينبغى ألا نعبد الأرض و ما فيها و لا معايشنا، بل نعبد الله ربنا لا سيما و ربنا يحيط علماً بالبشر الخلف و السلف.

وَ لَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُشْرِكِينَ مِنْكُمْ وَ لَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُشْرِكِينَ تَأْخِرِينَ ﴿٢٥﴾ و أنه سوف يحاكم الجميع بعد ان يحشرهم اليه، و هو حكيم لا يجازيهم الا بما كسبوا، عليهم بما فعلوا.

وَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ

أشاره

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَبِإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ لَأَنْ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجِدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْمَآرِضِ وَالْأَغْوِيَّتِمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهُمَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤)

اللغة

٢٦[صلصال]:الصلصال الطين اليابس يسمع له عند النقر صلصله و الصلصله هي الققععه و يقال لصوت الحديد و لصوت الرعد صلصله و هي صوت شديد متردد في الهواء وصل يصل إذا صوت.

[حمأ]:الحمأ جمع حمأه و هو الطين المتغير الى السواد.

[مسنون]:من سنتت الماء على وجهه اى جيبته و قيل المتغير.

٢٧[الجان]:مفرد جنان و هو أبو الجن(إبليس).

[السموم]:الريح الحاره أخذ من دخولها بلطفها فى مسام البدن.

٣٦]فانظرنى]:أمهلنى فى الدنيا و لا تمتنى.

٣٩]اغويتنى]:الإغواء الدعاء الى الغى و الضلال.

[لأزينن]:التزيين جعل الشىء متقبلا فى النفس و إغواء الشيطان تزيينه الباطل حتى يدخل صاحبه فيه.

ص:٤٥٤

هدى من الآيات:

الأرض التي تحتضننا خليقه الله، فما ذا عن الإنسان فوق الأرض، و ما هي قصته التي لا تنتهي؟ لقد كان ترابا فجعل طينا، و بقى حتى تسنه، ثم أصبح صلصالا كالفخار يابساً يخلق منه البشر، و قبلئذ خلق الجان من نار أوجدتها الرياح السامه.

و بدأت القصة حيث قال الله للملائكة- و كان بينهم بعض الجان- و هو إبليس: أنى خالق بشرا من طين يابس متخذ حمأ مسنون، و أمرهم بان يسجدوا له متى ما أصبح سويا متكاملا، و عند ما يبعث فيه من الروح التي خلقها، فاذا بهم يسجدون جميعا، و يابى إبليس، و يسأله الرب: لماذا لم تكن من الساجدين؟ فيجيب: أو لست قد خلقتنى من نار و مثلى لا يسجد لبشر مخلوق من صلصال قد أتخذ من هذا الحمأ المتغير، فيخرجه الله من ساحه قربه و يرمه بلعنته، و يطرده الى ان

يأتي يوم الدين فيحاسب. بيد انه يطلب الامهال الى يوم البعث، فيعطيه الرب مهله معينه لا يعرف مداها، و يتوعد بنى آدم: بان يزين لهم فى الأرض و ان يغيرهم أجمعين، و لكنه يعرف ان هناك عبادا لله قد أخصهم ربهم لنفسه بسبب عبادتهم له و تسليمهم لأوامره، و يؤكد ربنا ان هناك صراطا مستقيما يتعهده الله و يسير عليه عباد الله الذين لا سلطان لإبليس عليهم. انما سلطانه على من يتبعه و هم الغاؤون الذين سيكون مصيرهم جهنم التى لها سبعة أبواب. كل فريق منهم يدخل من باب بينما المتقون فى جنات و عيون يدخلونها و هم سالمون آمنون. لا- يعيش فى قلوبهم غل و هم اخوان يجلسون على سرر متقابلين. لا- يعتريهم تعب لا يخشون من إخراج. تلك هى قصه الإنسان فوق الأرض فهل نعرف مغزاها؟

بينات من الآيات:

مراحل الخلق:

المرحلة الاولى:

[٢٦] كيف خلق الله الإنسان الأول؟ ان ربنا أحسن الخالقين قد يخلق شيئا بقوله كن فيكون **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** و قد يخلقه وفق السنن و الأنظمه، و قد خلق جسد الإنسان بهذه الطريقه حسبما تشير اليه تكاملية خلقه و ضمير الجمع فى «خلقنا» أما روحه فقد نفخها فيه بقدرته المطلقة و بصوره مباشره حسبما توحى اليه ايه **قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** و ضمير المفرد فى قوله هنا: و نفخت فيه من روحى.

و هكذا تدرج الإنسان من تراب، ثم الى طين لازب و الى حمأ مسنون و الى صلصال كالفخار، و الى ان سواه ربنا إنسانا فنفخ فيه من روحه.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ الصلصال: الطين الجاف، الحماء، و الحمأ: طين أسود منسق، و المسنون: المتغير.

يبدو ان ربنا أجرى على التراب ماء فتفاعل معه فأصبح طينا لازبا، ثم تفاعل معه فأصبح متعفنا، ثم نمت الحياه فيه بفعل التفاعل و خلق فيه الحياه فأصبح مستويا، ثم نفخ الله فيه روح العقل و الإراده، فاستحق سجود الملائكه.

قال صاحب مجمع البيان: و أصل آدم ترابا، و ذلك قوله: «خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ» ثم جعل التراب طينا، و ذلك قوله: «و خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» ثم ترك ذلك الطين حتى تغير و استرخى و ذلك قوله: «مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» ثم ترك حتى جف و ذلك قوله: «مِنْ صَيِّلٍ صَلْصَالٍ» فهذه الأقوال لا تناقض فيها. إذ هي أخبار عن حالاته المختلفه (١)

الطبائع البشريه:

و يبدو ان لكل أصل من أصول البشر رواسب في خلقته، فلأنه من تراب يحن الى الأرض، و يحب العماره فيها، و ينبغي ان يكون خاضعا لله، ساجدا عليها، لا يرى أحد انه أفضل من غيره بطبعه لأن طبعم جميعا هو التراب.

و لأنه من طين لازب فهو ابن الشهوات و الأهواء، و لكنه يتصلب على شىء بسبب كونه من صلصال، و تلك جميعا طبائع البشر الماديه، أما الروح فلها خصائص أخرى.

[٢٧] قبل ان يخلق الله البشر خلق عدوه-الجان-الذى يقابل الأنس، ذكر هنا بلفظه جان للدلاله على طبيعته كما نقول الإنسان، و نشير الى طبيعته دون

ص: ٤٥٧

ملاحظه أفراده.

كيف خلق الجن، يبدو ان ريحا تحمل السموم بسبب حرارتها، وقد عصفت فاوجدت نارا فخلق الله منها الجن.

وَ الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ [٢٨] و أما كيف أصبح الجن عدو الإنسان فلذلك قصه أخرى بدأت مع اخبار الله ملائكته: انه سوف يخلق بشرا.

وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صِيلٍ صَلَّالٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ و عرف الملائكة طبعه هذا الخلق كما جاء فى سورة البقره. انه ما دام من الطين فلا بد ان يفسد فى الأرض.

المرحلة الثانية:

[٢٩] و لكن الله انبأهم ان له طبيعه اخرى يستحق بها السجود و الخضوع تلك هى روحه الإلهيه.

فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَ نَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَفَعُّوا لَهُ سُجُودًا وَ يَبْدُو ان التسويه هى تكامل جميع الأعضاء، و تعادل الغرائز و هذه مرحله تسبق مرحله بث الروح.

[٣٠] أما الملائكة التى هى الأرواح المطيعه لربها، المكلفه بتسيير الخليقه حسبما يأمرها جبارها، فانها سجدت لآدم لمكان الروح التى نفخت فيه من الله.

فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ

ص: ٤٥٨

و كما استوحينا من آيه في سورة البقره: ان الملائكه ترمز الى قوى الطبيعه التى سخرت للبشر، بينما بقيت قوه فى الطبيعه هذه هى قوه نفسه الموكل بها إبليس.

[٣١] لذلك لم ينضم إبليس إلى مجموعه الساجدين متعمدا و عن سبق إصرار.

إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ [٣٢] لم يرضى الرب بذلك، بل نهره قائلا:

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ فقوى الشر ليست ضمن برنامج السماء، و لا هى مقضيه من قبل الرب على البشر إنما هى شذوذ عن سنه الله، و تمرد مؤقت لإرادته، و لذلك ينبغى الا يستسلم لها البشر و لا يعترف بشرعيتها، و يناضل ضدها أبدا حتى ينتصر عليها بإذن الله.

[٣٣] و تعليل إبليس كان أسوء من عمله. إذ زعم انه أفضل من آدم، و أخطأ مرتين:

مره حين أعتقد ان ابن النار أفضل من ابن التراب، و اعتقد ان افضليه المخلوق هى بأصله، لا بعلمه و بفوائده.

و المره الثانيه، حين تمرد على أوامر الله، اعتمادا على هذا الزعم، فحتى لو كان أفضل من آدم-جدلا-فان سجوده بأمر الله ليس سجودا لآدم-فى الواقع-بل لمن أمره و هو الله. ان طاعتك مثلا-للنبي أو الامام ليست طاعه له فى الواقع بل لله، و إن تسليمك لأوامر قيادتك الإلهيه ليس تسليمًا لبشر، بل لمن أمرك بذلك.

قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَشْيَاءٍ جَدِّ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَيِّلِصَالٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسِينُونَ و نستوحى من هذه الآيه: ان طينه الإنسان لم تكن مقدسه تستدعى السجود من

قبل الملائكة بل ان كرامته من الله، وبقدر طاعته لله لان طينته كانت من طين يابس متخذ من طين متعفن، وقد نفرت منه بعض قوى الطبيعه لزعمها أنها أفضل منها.

[٣٤] ولأن التمرد على الله، ومخالفه الحق شذوذ في برنامج الحياه و ليس جزء مقدرًا منه، أو جانبًا مقضيًا، فقد طرد ربنا إبليس من مقام الاراده و التوجيه، و أبعده أيضا عن مقام الطبيعه المأموره، و رجمه باللعه فهبط إبليس بذلك ثلاث درجات:

الاولى: حين قال له الله:

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ أى من مقام الملائكة حسبما يهدى اليه السياق، وقالوا من الجنه أو من السماء أو من الأرض، و لان مقام الملائكة هو مقام الأمر حيث أنهم ينفذون أوامر الله على الطبيعه فهم وسائط امره عز و جل فلذلك كان إخراج إبليس من ذلك المقام الذى هو السماء بالنسبه إلينا، «السماء مصدر الأمر فى القرآن» اللعه الاولى.

الثانيه: حيث اسقطه الرب عن مقام سائر ما فى الطبيعه مما استسلمت لأوامر الله طوعا فأصبح رجيمًا و قال له الله:

﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَ نَسْتَوْحَىٰ مِنَ الْآيَةِ—مره ثانيه—ان العصيان شذوذ فى الطبيعه لا قاعده.

[٣٥] الثالثه: حين كتب عليه الرب اللعه فأصبحت الطبيعه ضده و قال تعالى.

﴿وَ إِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ

ص: ٤٦٠

و اللعنه هى الأبعاد من رحمه الله، و يوم الدين هو يوم الجزاء.

المرحلة الأخيرة:

[٣٦] و انتهت المرحلة الثانيه من قصه الخليقه، و بقيت المرحلة الأ-خيره التى هى عبرتها، و ما يلتصق بحياتنا أكثر فأكثر، ذلك ان إبليس طلب من الله فرصه الى يوم البعث، فأعطاه الله فرصه معينه الى يوم معلوم، قد يكون قبل يوم البعث أو هو يوم البعث ذاته.

□ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ و هنا كشف القرآن عن فلسفه المسافه الزمنيه التى تفصل بين الجزاء و بين العمل فى الدنيا.

□ [٣٧] قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ و البشر بدوره يعطى مهله الى أجل محدود.

[٣٨] و ينتهى الأجل الى وقت معلوم عند الله. مجهول عند صاحبه.

□ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قال البلخى: «فأبهم و لم يبين لأن فى بيانه إغراء بالمعصيه» (١).

[٣٩] أخذ يهدد إبليس بنى آدم الذى كان سبب اختباره و بالتالى لعنته.

□ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي

ص: ٤٦١

لم يضل الله إبليس إلا- بعد أن أختار بكامل وعيه و بسابق قصده عصيان أمر الرب و يكفى فى معنى السبب الذى توحىه كلمه «باء»، هذا القدر من العلاقه و خلاصه معناه رب كما انك اختبرتني ففشلت، فانى سوف أهيب لهم وسائل الاختبار فيفشلون، و هكذا أنتقم منهم- و كان الله يريد ان يختبر عباده- و هذا إبليس رشح نفسه لهذه المهمه، كما ان الله يريد ان يعذب القوم الظالمين فيرشح من هو أظلم منهم نفسه للانتقام فيتركه الله- بينه و بينهم- فيصدق

الحديث القدسى:

«الظالم سيفى أنتقم به و أنتقم منه. » أما كيف و بأيه و سيله أراد إبليس إغواء البشر؟ فلقد كشفها لنا قائلا:

لَأُرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ أَى سوف أجعل الأرض جميله فى أفئدتهم حتى تستهويهم.

[٤٠] إغواء إبليس كاغواء الله لإبليس. مجرد اختبار و ليس إجبار، و يشهد عليه ان عباد الله المخلصين يتمردون عليه.

إِلَّا- عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ [٤١] و صراط الله مستقيم و هو الى الله، و على الله المحافظه عليه مستقيما، و الأ- يدع التشويه و الانحراف يصيبه كما قال سبحانه فى الآيه العاشره من هذه السوره:

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ».

قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ فمهما كان لإبليس من قوه الإغراء و من جمال التزيين، فان الله لن يدع له المجال لتحويل الحق الى الباطل، و بطمس معالم الدين كليا.

ص: ٤٤٢

[٤٢] و أنه لن يدعه يجبر الإنسان على اتباعه، نعم من تبعه يضلّه الله، ولا يعينه على الشيطان الغوى.

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَ هُمْ اخْتَارُوا سُلْطَةَ إِبْلِيسَ اخْتِيَارًا وَ لَمْ يَجْبِرْهُمْ عَلَيْهَا اللَّهُ، فَحَرَامٌ تَبْرِيرَ الْبَعْضِ خَطَأَهُمْ وَ انْحِرَافَهُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْبُورِينَ.

[٤٣] أما الغاؤون فإن الله أجلّ عذابهم الجماعى إلى جهنم.

وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ [٤٤] حيث تختلف أبواب الضلالة و لكنها بالتالى تنهى الى ذات المصير الواحد.

لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ

ص: ٤٦٣

أشاره

إِنَّ الْمُنْتَفِينَ فِي جَنَاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمِنْهَا مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) نَبِيُّ عَادٍ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠) وَنَبَّيْنَاهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونَنِي (٥٤) قَالُوا بِشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تُكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦) قَالَ فَلَمَّا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِذْ أَنْجَيْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠)

اللغة

٤٧[غل]: الغل الحقد الذي ينغل في القلب، والغلول الخيانه التي يطوق عارها صاحبها.

[سرر]: السرير المجلس الرفيع موطأ للسرور وجمعه الأسره.

٥٢[و وجلون]: خائفون

ص: ٤٦٤

٥٥]القائطين[الذين يقنطون من رحمه الله و القنوط هو اليأس.

ص:٤٤٥

هدى من الآيات:

تلك كانت البدايه أما نهايه البشريه، فان من اتقى فان مقامه جنات تظله و عيون ترويه، و سلام أبدى و وئام مع اخوان الصفا، و راحه بلا نصب، و اقامه بلا إخراج، و غفران من الله الغفور الرحيم. أما من أجرم فان له عذابا أليما.

و كمثل على ذلك فى الدنيا، جزاء الله لإبراهيم إذ دخل عليه ضيوف مكرمون فسلموا عليه، و لكنه أبدى خوفه منهم فطمأنوه بالألأ يخاف لأنهم جاؤوا يبشرونه بغلام عليم، فاستغرب فرحا و قال: كيف و أنا كبير السن فهل تبشرونى بحق؟! قالوا بلى و لا تكن آيسا من رحمه الله، فاستدرك إبراهيم قائلا كيف أقنط و لا ييأس من رحمه ربه إلا الضالون، و هذا جانب من فضل الله.

ثم سألهم عن وجهه سيرهم؟ قالوا: نحن مبعوثون الى أناس مجرمين -هم قوم لوط- حيث نهلكهم، إلا آل لوط المؤمنين الذين سوف ننجيهم أجمعين، باستثناء امرأته التى ستكون من الهالكين، و هذا جانب من عذاب الله.

[٤٥] من هم المتقون و ما هو جزاءهم؟ المتقون هم الذين لا يستجيبون لإغواء إبليس، و يتجنبون مصائده، و يعرفون كيف يزين لهم في الدنيا، و جزاءهم كالتالي:

أولاً: يأكلون و يشربون بلا تعب.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ [٤٦] ثانياً: يشعرون بسلام أبدى.

أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ و كلَّ الناس يبحثون عن عاقبه أجسادهم و أعراضهم، و عن ضمان مستقبلهم، و لكن المتقين هم و حدهم الذين يدركون كل ذلك.

[٤٧] ثالثاً: بعد أن يشعر الفرد باطمئنان كاف، يبحث عن مؤمنين يتقاسم معهم النعماء، فالمؤانسه غذاء الروح، و العطاء راحة القلب، و يوفر الله للمتقين هذا الطموح، فينزح كلما في صدورهم من مرض قلبى - كالحسد و البخل و الطمع. و.و. - حتى تكون نفوسهم متلاقية متسامية عن الحجب، ثم يجلسون على سرر متقابلين، و ما أحلى مقعدهم (!).

و نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ [٤٨] رابعاً: ليسوا بحاجة الى إتعاب أنفسهم أو الخوف من المستقبل.

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ و مَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ

النصب:التعب،و ربما ارتبط التعب بالخوف من المستقبل فى الآيه،بسبب ان أكثر تعب الناس فى الدنيا أنما هو للحرص على الدنيا،و الخوف من المستقبل.

[٤٩]كم يبعث السكينه فى النفس البشرىه التى تعيش القلق على المستقبل المجهول،و الخوف من آثار الأخطاء و الذنوب حين يطمأنه رب العالمين بأنه هو الغفور الرحيم،بكلمات ملؤها الحنان فيقول:

نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ لقد أعلن الرب رسميا لمن وصفهم بأنهم عباده قد خلقهم رحمه بهم لأنه هو الغفور.يمحى آثار الذنوب الماضيه،الرحيم يزيد من يتوب من رحمته.

[٥٠]و لكنه فى ذات الوقت ينبغى أن يكون مرهوب الجانب.

وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ

ضيف إبراهيم:

[٥١]و كشاهد على ذلك،قصه ضيف إبراهيم،حيث جاءت الملائكه إبراهيم بالبشرى بينما حملت الى قوم لوط،العذاب الأليم.

وَ تَبَّتْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ [٥٢] إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ربما لأنهم جاؤوا فى وقت غير مناسب،أو لأنهم لم يأكلوا من طعامه،و كانت العاده تقضى بان من يأكل طعاما فى بيت لا يلحق بأهله أذى احتراما للزاد و الملح، فاذا لم يأكل يعتقد انه ينوى شرا.

[٥٣] قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ فلقد جئناك مبشرين لا منذرين، و نحن ملائكة ربك، و الملائكة كما نعرف تتمثل فى صورة بشر سوى كما تمثل لمريم.

[٥٤] و كان إبراهيم ينتظر بفارغ الصبر هذا الحدث السعيد، و قد أشرف على اليأس بسبب طول الانتظار، و ها هو الرب يبشره ليس بالغلام فقط و إنما أيضا بأنه صاحب فضل و علم، و بالتالى هو الولى الذى ينتظره منذ وقت ليكون وارث علمه و هدايه، و لأن إبراهيم فوجئ بالأمر فقد كان رد فعله الأولى التعجب و الاستغراب.

□ قَالَ أَ بَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فإنا قد احتوانى عمرى الطويل، و قد شارفت على مرحله الشيخوخه التى لا تقل عن المرض الذى يمسه صاحبه. فكيف تبشرونى؟! فَبِمَ تُبَشِّرُونَ هل هذه مجرد أمانى و كلمات ترحاب يتبادلها الناس، أم وعد مؤكد من الله.

[٥٥] قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ و بأمر من الله، و ليس مجرد أمنيته حلوه نتمنى لك تحقيقها.

□ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَانِطِينَ ذلك ان رحمه الله واسعه، و تنزل على البشر بقدر أملهم فى الله، و ثقتهم فيه، فلما ذا اليأس.

[٥٦] ونفى إبراهيم أن يكون تساؤله بسبب قنوطه و يأسه من رحمه الله، بل ربما كان بسبب عدم معرفه جديده البشاره، لذلك نراه يؤكد ان الضالين الذين لا- يعرفون إحاطه الله بقدرته و علمه و رحمته على الكون، هم وحدهم الذين يقنطون، فما دام ربك واسع الرحمه، قريب مجيب الدعاء، وقادر على كل شىء. فلما ذا القنوط؟! قَالَ وَمَنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ [٥٧] ولما اطمأنت نفس إبراهيم الى أن ضيوفه ملائكه الله سألهم عن وجهتهم؟ ولماذا هبطوا الى الأرض هل لمجرد بشارته، أم لأمر جليل.

قَالَ فَمَا حَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ الْخُطْبُ: الأمر العظيم.

[٥٨] قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ [٥٩] و عرف إبراهيم انهم ملائكه العذاب مبعوثون الى قوم لوط و تساءل عن مصير لوط، فقالوا له:

إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنُجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ هو و من آمن معه من أهله و قومه.

[٦٠] و ليس النجاه لآل لوط لأنهم ينتسبون اليه- لاین عذاب الله أليم، و لا- تحيد عن الظالمين- لذلك فان امرأته جزاءها الله الهلاك.

إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّا لَمِنَ الْغَابِرِينَ أَيُّ الْهَالِكِينَ.

اشاره

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَآتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِبْ أَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أذْيَابَهُمْ وَلَا يَلْتِفَتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦) وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠) قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لِبَسِيبٍ مُّقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ (٧٨) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠) وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٢) فَأَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَلَمَّا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٤)

اللغة

٦٢[منكرون]:غير معروفين.

٦٥[فأسر]:الإسراء سير الليل.

ص:٤٧١

٧٢]يعمهون[:من العمه و هو أشد العمى.

٧٥]للمتوسمين[:المتوسم الناظر فى السمه الداله و هى علامه.

٧٦]لبسيل مقيم[:فى طريق ثابت.

٧٨]الأيكه[:الشجر الملتف و جمعها أيك.

ص:٤٧٢

هدى من الآيات:

و جاء ضيوف إبراهيم الى قري لوط، فلما شاهدتهم لوط لم يعرفهم فقالوا نحن جننا لتحقيق وعد الله الذى كانوا يشكون فيه، وهذا هو الحق و نحن صادقون فيه، و أمره بان يخرج من قريته ليلا هو و أهله و ليكن خلف أهله يشيعهم، و لا يلتفت أحد منهم الى ما وراءه، و ليمضوا الى حيث يأمرهم الله دون تردد، و قد نزل بقومه قضاء الله الذى قرر أن يهلكهم دون أن يبقى منهم أحد يحفظ سلالتهم. هذا من جهه، و من جهه ثانيه حين اكتشف أهل القريه وجود الضيوف، جاؤوا يستبشرون ليفجروا بهم تصدى لهم لوط و قال: بان هؤلاء ضيفى فلا تفضحونى فى ضيفى، و اتقوا عذاب الله، و لا تجلبوا الخزى على. أما هم فقد استمروا فى غيهم، و قالوا:

نحن لا نقبل جوارك لأننا قد نهيناك سابقا عن استقبال الضيوف و إجارتهم، فعرض عليهم النكاح من بناته و الاستعفاف بهن عن الفاحشه، و لكنهم كانوا لا يزالون فى سكرتهم يعمهون.

و هكذا أخذتهم الصيحه فى وقت الشروق، و جعل الله على القرية سافلها، و أمطر عليهم حجاره من سجيل، و ان قصه هؤلاء عبره لمن ينتفع بالعبر، و انها لعبره قائمه و لكن ليس كل شخص يستفيد من العبره إلا المؤمنون!

و مثل لوط قوم شعيب و هم أصحاب حقول مزروعه انتقم الله منهم، و كانت قريتهما فى موضع يؤمه الناس.

و أصحاب الحجر كذبوا بدورهم المرسلين، و كلما أتاهم الله من آياته أعرضوا عنها، و أخذوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فيها، فنزل عليهم عذاب الله حيث أخذتهم الصيحه فى وقت الصباح، فهل منعت بيوتهم عنهم شيئا من العذاب.

كلا..

بينات من الآيات:

و جاء الضيوف:

[٦١] جاء ضيف إبراهيم الى قري لوط حيث كان يقطنها مجموعه من المجرمين، و قطاع الطرق.

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ وَ التَّعْبِيرُ بِكَلِمَةِ «آل» يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نِظَامَهُمْ كَانَ عَشَائِرِيًّا. شَأْنُ سَائِرِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ آتِنْدُ.

[٦٢] فلما رأهم و قد جاؤوا اليه، بهيته شباب عليهم مسحه من الجمال و الجلال فسألهم بعد أن استضافهم.

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ

ص: ٤٧٤

فلستم من أهل المنطقه، ولكى لا- يمسهم قومه بسوء لذلك أجارهم على عادة القوانين الشائعه فى قومه التى ينبغى أن يأخذ المؤمن الرسالى بأفضلها و أنفعها.

[٦٣]افصحوا عن أنفسهم و بينوا أنهم ملائكه الله، و قد جاؤوا بالعذاب الذى شكك قومه فيه أنفسهم طويلا.فها هو العذاب يأتيهم.

قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكِ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ [٦٤] و كانت المفاجأه، و ارتسمت على وجه لوط علائم الاستغراب و عاد الملائكه يؤكدون على أن ميعاد العذاب قد حان اليوم بلا شك.

وَ أَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ [٦٥] ثم أمره بالرحيل، و هجره الصالحين نذير العذاب على الآخرين و كانت الهجره سرية ربما خوفا من منع الناس لهم، و كان المفروض على لوط أن يسير خلفهم و يشهد تحركهم لكى لا يبقى أحد منهم.

فَأَسْرِبْ أَهْلِكَ بِقِطْعِ مِنَ اللَّيْلِ يَبْدُو أَنْ لوط أَثْرَ فَقَطْ فِي أَهْلِهِ بَيْنَمَا بَقِيَ الْآخِرُونَ عَلَى فسادهم.

وَ اتَّبِعْ أَذْيَابَهُمْ أَيِ اقْتَفَى أَثْرَهُمْ و لان الهجره كانت صعبه لذلك جاءهم الأمر.

وَ لَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَيِ لَا يَنْظُرْ إِلَى مَا و راءه.

وَ امْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ وَ اسْتَمِرُوا مِنْ دُونِ تَرَدُّدٍ أَوْ تَرَاجُعٍ، وَ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَهَاجِرَ الرِّسَالِي قَوْمَهُ بَعْدَ يَأْسِهِ مِنْهُمْ دُونَ شَفَقِهِ عَلَيْهِمْ أَوْ حَنَانٍ، أَوْ مِيلٍ إِلَى مَا يَخْلِفُهُ فِيهِمْ مِنْ مَالٍ أَوْ أَقَارِبٍ.

[٦٦] وَ قَضَى اللَّهُ، وَ أَخْبَرَ لُوطًا بِقَضَائِهِ بِذَلِكَ الْأَمْرِ الْخَطِيرِ، وَ هُوَ الْحُكْمُ بِالْأَعْدَامِ الْكَامِلِ لِسَلَالِهِ تِلْكَ الْعَشِيرَةَ الْفَاسِدَةَ.

وَ قَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُضْتَبِحِينَ فَلَا أَحَدٌ يَبْقَى مِنْهُمْ لِيَسْتَمِرَّ نَسْلُهُمْ فِيهِ حَتَّى زَوْجَهُ لُوطَ الَّتِي كَانَتْ مِنْهُمْ هَلَكَتْ مَعَهُمْ حَيْثُ حَنَّتْ عَلَى قَوْمِهَا، وَ التَّفَتَّ إِلَى مَا وَرَائِهَا مِنْ أَهْلِ وَ مَتَاعٍ.

وَ هَكَذَا تَجَسَّدَ الْحَقُّ فِي اتِّتِقَامٍ شَدِيدٍ مِنْ قَوْمٍ فَسَدُوا وَ لَمْ يَنْفَعَهُمُ الْإِصْلَاحُ شَيْئًا.

[٦٧] هَذِهِ صُورُهُ مِنَ الْمَشْهَدِ، أَمَّا الصُّورَةُ الثَّانِيَةُ فَإِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ اسْتَبَشَرُوا بِالضِّيُوفِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ الْفَاحِشَةَ بِمَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِمْ، وَ كَانَتْ مَوْقِعُهُمُ الْجُغْرَافِي يَسَاعِدُ عَلَى هَذِهِ الْفِعْلَةِ حَيْثُ كَانُوا عَلَى الطَّرِيقِ الرَّئِيسِيِّ الَّذِي يَرْبِطُ الْمَدِينَةَ بِالشَّامِ عَلَى مَا نَقَلَ عَنْ قِتَادِهِ.

وَ جَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبَشِرُونَ

المسؤولية الاجتماعية:

[٦٨] فَتَلَقَاهُمْ لُوطٌ بِالنَّصِيحَةِ، وَ أَجَارَ الضِّيُوفَ.

قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيِّفِي فَلَا تَفْضَحُونِ

ص: ٤٧٦

و كان الاعتداء على الضيف بمثابه الاعتداء على من هو فى بيته فى عرف تلك القبيله الصحراويه.

[٦٩] ثم نصحهم أكثر فأكثر و دعاهم إلى الحذر من عذاب الله، و بين أن الاعتداء على ضيوفه يلحق الخزى به، و هو لذلك يدافع عن شرفه إذا تعرض ضيوفه لأذى.

وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ لَا تُخْزُونِ [٧٠] أما هم فقد رفضوا قبول إجاره لوط، لأنه كان يفعل ذلك دائما، فكلما دخل قريته غريب استضافه حتى لا يصاب بأذى من قبل قومه، و كانوا قد أكدوا عليه ألا يقبل بعدئذ أى ضيف.

قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ وَ نَسْتَوْحِي مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَمْرِينَ:

الأول: ان القبيله العربيه فقدت مع الزمن خصائصها الانسانيه كاجاره الضيف، و لم تبق فيها بقيه من قيم يتشبث بها الضعيف و الغريب.

الثانى: ان لوطا عليه السلام ضحى بكل ما يملك من أجل الضعفاء، فبذل شرفه و كرامته من أجلهم، و هكذا ينبغى ألا يكتفى بترداد شعار الدفاع عن المحرومين، بل لا بد أن يدعم بالعمل الواقعى.

[٧١] و بلغ الأمر بلوط أن عرض على قومه التزوج بناتهن لكى لا يتعرضوا لضيوفه بأذى.

قَالَ هُوَ لَأِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ

و يبدو أن توجيه لوط الى البنات كان يهدف بالاضافه الى ما قلنا:تذكره قومه ان السبيل القويم لإفراغ الشهوه الجنسيه هو السبيل الفطرى الذى يحافظ على النسل،و ليس الشذوذ الجنسى،و من هنا يكون حديثه شاملا لبناته من صلبه، و بنات قومه باعتباره شيخا،أو قائدا يعتبر كل الفتيات بناته.

[٧٢]و لكنهم كانوا مترفين قد أسرفوا فى الشهوات حتى أسكرتهم الغريزه الجنسيه فلم يعودوا يفرقون بين الإناث و الذكران،و لا بين الغريب و الضيف و المستجار و بين قومهم.

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ أَيّ قسما بحياتك يا رسول الله،و أنت يا من تتلوا القرآن ان قوم لوط قد فقدوا أبصارهم بسبب سكره الشهوات،و العمر و لعمر بمعنى و لكن عند الحلف يستخدم عمر بالفتح.

[٧٣]عند ما لم يبق أمام لوط أى حل،ركن الى الله ذلك الركن الشديد فكشفت الملائكه عن حقيقتهم له،و طمأنوا لوطا بأنهم لن يصلوا اليه،و جرى بينهم و بين لوط،الحوار الذى بيّنه السياق.

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ عند الصباح،حين لم يستطيعوا أن يردوا عن أنفسهم البأس.

[٧٤]و قلب الله مدينتهم على رأسهم.

فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمُ سَفَلًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ و السجيل فارسى معرب،أى سنك و كل (حجاره و طين)و قال أبو عبيده:هو

[٧٥] وها هي بلادهم مهدمه، فمن يعتبر منها؟ بالطبع ليس كل الناس بل المتوسمون منهم فقط الذين يكتشفون الحقائق من خلال سماتها وعلانمها.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ أما الذين يجمدون على ظواهر الأمور، وينظرون الى ركام الصخور دون أن يتفكروا انها كانت في يوم بيوتا معموره فما الذي جعلها هكذا، فهم لا يعتبرون من قصص قوم لوط.

[٧٦] وَإِنَّهَا لَبَسِيلٌ مَّقِيمٌ قال الطبرسي: معناه ان مدينه لوط بطريق يسلكها الناس في حوائجهم، فينظرون الى آثارها و يعتبرون بها لان الآثار التي يستدل بها مقيمه ثابتة بها و هي مدينه سرور. (٢)

و يبدو إن ضمير «إنها» يعود الى الآيات، فمعناها إذا: أن الآيات قد وضعت معالم على طريق ثابت، و ثبات الطريق وضوحها، و لذلك

جاء في الحديث المأثور عن أهل البيت عليهم السلام: «و السبيل فينا مقيم». (٣)

[٧٧] و لكن لا يسلك هذا الطريق إلا المؤمنون، و هم في المتوسمين حقا لأن

ص: ٤٧٩

١-١) مجمع البيان- ج ٥- ص ١٨٣.

٢-٢) مجمع البيان- ج ٦- ص ٣٤٣.

٣-٣) المصدر.

الإيمان بصيره المرء، من خلالها ينظر الى الحقائق الظاهره فيؤمن بما ورائها من حقائق واقعيه.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَ مِنْ هُنَا

جاء في الحديث: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ». (١)

أصحاب الأيكة تحت الغمام:

[٧٨] هناك شاهد تاريخي آخر نجده في أصحاب الأيكة الذين أتاهم الله، حقولا مزروعه فظلموا أنفسهم.

وَ إِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ [٧٩] و أصبح ظلمهم ظلمات عليهم، فعاقبهم الله بالحر سبعة أيام ثم جاءت سحابه استظلوا بها يلتمسون البرد فيها، فلما تجمعوا تحتها تحولت الى صاعقه أحرقتهم جميعا.

فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ وَ بَقِيتْ لَنَا عِبْرَتُهُمْ، و عبره قوم لوط ألا و هي: ان تدبير الحياه يتم مره بالرحمه و مره بالانتقام فلا ينبغي الركون الى النعمه، إنما يجب الحذر باستمرار من يوم الانتقام و ها هي قصص قوم لوط و أصحاب الأيكة ظاهره، و آثارها قائمه في طريق واضح يؤمه الناس.

وَ إِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ

ص: ٤٨٠

و يبدو أن معناه: ان قوم لوط و أصحاب الأيكة كانا مع امام واضح، من رسول و كتاب، فلم نعذبهما من دون إنذار مسبق.

أصحاب الحجر: الأمن الحجري:

[٨٠] و شاهد ثالث من واقع أصحاب الحجر و هم ثمود الذين كذبوا أخاهم صالحا و كذبوا من ورائه كلّ الرسالات و الرسل. إذ لا ينفع الايمان برسول مضى و الكفر بهذا الرسول.

وَ لَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ حَجَرُوا أَسْمَ مَدِينَتِهِمْ.

[٨١] و لقد و فر الله لهم سبل الهدايه و لكنهم أعرضوا عنها عمدا.

وَ آتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ [٨٢] كلّ ذلك ثقة بحضارتهم و بالمتعته التي شعروا بها في ظل البيوت الصخرية العاليه التي نحتوها من الجبال.

وَ كَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ [٨٣] و لكن الصيحه العاليه التي أخذتهم كشفت عن مدى خطأهم، و ان البيوت لا تعوض عن القيم، كما ان القوه لا تحمي الشخص عن انتقام الحق.

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُضِحِينَ [٨٤] فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

فهل استطاعت مكاسبهم الماديه أن تمنع عنهم العذاب الذى لحقهم بسبب كفرهم بالحق و بالقيم الالهيه؟! إذا مقياس الأمن ليس القوه بل الحق لأن بناء السماوات قائم على أساس الحق حسبما يأتى فى الدرس القادم إنشاء الله.

ص: ٤٨٢

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْرِفْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ
(٨٦) وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لَا تَمِدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ
إخْفِضْ جَنَاحَيْكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩) كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضًا مِنْ
(٩١) فَوَرَّبُّكَ لَنَسِيئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنْ أَرَادْنَا بِكَ
الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ إِذْ يَضْرِبُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)

هدى من الآيات:

لأن الحق هو محور السماوات والأرض و به خلقن، فإن الإنسان لا يبقى بلا جزاء و ان لم ير جزاءه فى الدنيا كقوم لوط و ثمود و أصحاب الأيكة، فانه سيراه فى الآخرة التى لا ريب من مجيئها، و لماذا الضجر؟ دع الكفار يعملون ما يشاءون.

استقم فى طريقك ما دام الله هو الخلاق العليم خلقهم هكذا ليبتليهم، و أرض يا رسول الله و أنت يا من تبعته بالقرآن المتشابهه آياته، لا- تشغل نفسك بما يملكون من نعم متشابهه، و اترك الاهتمام بالكفار و ركز نظرك و اهتمامك بالمؤمنين، و يكفيك بالنسبه الى الكفار أن تنذرهم.

و كما أنذر الله الذين اقتسموا القرآن جزء جزء فطبقوا منه ما وافق أهواءهم، و تركوا الباقي، فهل يحسبون انهم يتركون هكذا. كلا.. بل سوف يسألون جميعا عما عملوا، فأبلغ رسالتك حسبما أمرت و اترك المشركين و الذين يستهزئون منهم.

يكفيك ربك شرهم، و المشركون هم الذين يتخذون إلها آخر غير الله، و فى المستقبل

يجازون بأفعالهم.

و لكي يزيدك الله سعه في الصدر تقابل بها استهزاءهم فسيح بحمد ربك و أسجد له، و استقم في العباده حتى تحصل على أفضل يقين بالعباده الدائمه حتى الموت.

و هذه خلاصه عبره سوره حجر التي ذكرت بمصير المستهزئين في الدنيا، و استقامه الرسل، و عدم تزلزلهم بأقوالهم، و ينبغي أن يكون كل ذلك وسيله لهدايه المؤمنين أيضا.

بينات من الآيات:

[٨٥] تكفينا نظره عميقه الى الطبيعه من حولنا لنعرف أن كل شيء خلق بحكمه و بهدف و لأجل محدود، و هذا يهدينا الى الحكمه من خلق الإنسان.

و نتساءل: إذا كان خلق البشر أيضا لحكمه و إذا كان الإنسان محكوما بسنه الحق كما الكون من حوله، فلما ذا يكتسب بعض الناس الجرائم دون أن يعاقبوا، و يأتي الجواب:

لأن الله قد وعد أن يأتي يوم الجزاء بعد يوم الابتلاء، إذا ينبغي ألا يضيق صدرنا بما يفعله الكفار، بل نتركهم بعد أن نذرهم و بعد أن نهتم بشؤون المؤمنين من الناس.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْرِحْ بِالصَّفْحِ الْجَمِيلِ بلى إذا تكتل المشركون و أرادوا منع المؤمنين من أداء فرائض دينهم و منعوا

المستضعفين من الايمان، فان الله يأذن للمؤمنين بالجهاد، كما قال تعالى: **أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** .

الصفح: هو الإعراض، والإعراض الجميل هو الذى يسبقه الوعظ و الإرشاد، و يلحقه التمنى بالهدايه.

[٨٦] والله هو الذى خلق الكون و الإنسان هكذا لحكمه، فلا يجوز أن أهلك نفسى من أجل الناس أو جبرهم على الإيمان.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ

السبع المثاني:

[٨٧]المشركون يملكون ألوانا من النعم الماديه من الأموال و الأولاد و الزينه و القوه، و نحن بدورنا نملك ألوانا من النعم المعنويه، فلا سبب يدعونا الى محاربتهم للحصول على ثروتهم لأننا أغنياء بثروتنا المعنويه.

وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لقد فسروا السبع من المثاني- بأنه سوره الحمد لأنها تحتوى على سبع آيات و ذكرت فيها المترادفات أو المتقابلات مثل «الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» أو إِيَّاكَ نَعْبُدُ و إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ إذا فهى مثاني، أى محتوى آياتها مثنى مثنى.

و يبدو أن القرآن الحكيم قد نزل على سبعة أحرف، أو بتعبير آخر على سبعة أبواب للعلم تتلخص فى سوره الحمد، التى احتوت على معانى القرآن الحكيم بايجاز، و تتبين فى سائر آيات الذكر بتفصيل.

و إذا كان نور القرآن يشع من مشكاه واحده دون اختلاف أو تناقض، فإن آياته

متشابهه و هي مثنى، كما ان نعم الكفار ذات ألوان و هي أزواج. بعضها يزين بعضها، و آيات القرآن بعضها يفسر بعضها.

و يظهر من هذا البيان ان القرآن العظيم هو السبع المثاني و لا- منافاه بين التفسيرين. التفسير الذى يقول: ان معنى المثنى هو الحمد، و التفسير الذى يقول أنه القرآن كله لأن القرآن كله قد أوجز في تلك السوره.

[٨٨] و المؤمن يستغنى بما لديه من ينابيع المعرفة، عما يملكه الآخرون من متع الحياه الدنيا، فلا يطيل النظر فيما يملكه أولئك من زهره الحياه الدنيا.

لَا تَمِدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ قَالِ فِي الْمِيزَانِ: المراد بالأزواج: الأزواج من الرجال و النساء، أو الأصناف من الناس كالوثنيين و اليهود و النصارى و المجوس و المعنى لا تتجاوز عن النظر عما انعمناك به من النعم الظاهره و الباطنه الى ما متعنا به أزواجا قليله أو أصنافا من الكفار. (١)

و لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ فَلَا تَأْبَهُ بِكُفْرِهِمْ لِأَنَّ مِنْ يَبَالِغُ فِي الْإِهْتِمَامِ بِالْكَفَارِ قَدْ يَقَعُ فِي بَعْضِ الْأَخْطَاءِ.

أولا: قد ينشغل بذلك عن الاهتمام الجدى بالفئه المؤمنه، و السعى وراء تربيتهم و تعبئه طاقتهم، كالذى يؤتبه الله أرضا، فلا يشكر الله عليها، و لا يحرثها بل يفكر أبدا بتلك الأرض الاخرى التى لم يحصل عليها، و يحزن عليها.

ص: ٤٨٧

ثانياً: قد يدعوه ذلك الحزن الى محاوله إكراههم على الإيمان بصورة أو بأخرى مما يتنافى و سنه الاختيار، وقد يتم ذلك عن طريق التنازل عن بعض أركان الدين كما فعلت الكنيسة فى بعض عصورها فحرفت تعاليم السماء رغبة فى توسيع رقعه نفوذها و الحصول على المزيد من الأتباع.

وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ اِشَارَه الى الرفق بهم، و الاهتمام بشؤونهم كما يفعل الطائر إذا أراد أن يضم اليه أفراخه حين يبسط أجنحته عليها ثم يخفضها لها. (١)

التجزييون فى الميزان:

[٨٩] و بقدر ما يهتم الرسول بالمؤمنين يذر الكفار لشؤونهم، و يكتفى بإنذارهم لأن الإيمان أو الكفر لا بد أن يكونا بحريه الفرد التامه.

وَ قُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ [٩٠] و ينذر الرسول كل الناس، بعذاب شديد لو تركوا القرآن أو قسموه أقساما، فتركوا جزء منه ذلك الذى يخالف هواهم.

كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ أَى أنزل العذاب عليهم.

[٩١] أما المقتسمون فهم الذين فرقوا دينهم و هم:

ص: ٤٨٨

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضًا بَيْنَ عَضِينَ جَمِيعِ عَضِهِ، وَأَصْلُهَا عَضُوهُ فَانْقَصَتِ الْوَاوُ وَلِذَلِكَ جَمَعْتَ عَضِينَ، مَاخُذٌ مِنَ الْأَعْضَاءِ، يُقَالُ: عَضَيْتَ الشَّيْءَ أَيَّ فَرَّقْتَهُ وَبَعْضْتَهُ.

و السؤال: من هم هؤلاء؟ قال بعضهم: انهم اليهود و النصارى قبل الإسلام الَّذِينَ فَزَقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شَيْعًا. كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ، و المراد من القرآن هو كتاب الله.

بينما قال البعض: ان طائفه من قريش قسموا القرآن فقالوا: هذا سحر- هذا كذب- هذا شعر، و كانوا ينتشرون في شعاب مكة يضلون الناس عن القرآن، فعذبهم الله، و اهلكهم جميعا.

و يبدو أن التفسير الأول: أقرب بالرغم من أن القرآن مثله كمثل الشمس يجرى في عهد اليهود و النصارى، كما يجرى في عهد المسلمين الأول في أولئك المستهزئين، و في عهدنا يجرى في أولئك الذين يؤمنون ببعض الكتاب و يكفرون ببعض بينما القرآن نزل مَثَانِي تَفْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ آمَنُوا، و كَلَّهَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

[٩٢] و لكن هل يترك هؤلاء. أم هل يكتفى ربنا بعذابهم في الدنيا. كلا.. بل ان لهم يوما للحساب طويلا.

فَو رَبِّكَ لَنَسْتَلَنَّهٗمْ أَجْمَعِينَ [٩٣] عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ [٩٤] أما أنت يا رسول الله فعليك بالإنذار بكل وضوح.

فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَلَا تَخْشَاهُمْ وَلَا تَأْبَهُ بِهِمْ وَلَا تَحَاوِلْ أَنْ تَسْتَرْضِيَهُمْ بِإِخْفَاءِ بَعْضِ الْكِتَابِ وَإِظْهَارِ بَعْضِهِ، وَمَعْنَى الصَّدْعِ الْجَهْرُ بِالْحَقِّ.

وَاعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ [٩٥] وَأَكْثَرَ مَا يُؤْلَمُ الدَّاعِيَهُ وَيُشِيرُ أَعْصَابَهُ، وَيَسْتَقْطِبُ إِهْتِمَامَهُ هُمُ الْمُسْتَهْزِئُونَ الَّذِينَ يَسْتَخْفُونَ بِالرِّسَالَةِ وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَعَدَّ أَنْ يَكْفِيَ رَسُولَهُ وَالِدَعَاءَ إِلَى اللَّهِ شَرَّ هَؤُلَاءِ.

إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ فِي التَّفَاسِيرِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي عَهْدِ الرَّسُولِ خَمْسَةَ نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَوْ سِتَّةَ فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ عَنْ آخِرِهِمْ.

[٩٦] وَهُمْ فِي الْوَأَقِعِ لَا يَسْتَهْزِئُونَ بِكَ إِنَّمَا هُمْ مُشْرِكُونَ، وَهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ.

الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ فَمَشْكَلْتَهُمْ لَيْسَتْ مَعَكَ لِدَلِكِ لَا يَضِيقُنْ صَدْرُكَ بِأَقْوَالِهِمْ.

يَضِيقُ صَدْرُكَ :

[٩٧] وَلَكِنِ الرَّسُولَ بَشَرًا، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَحِبُّ رِسَالَتَهُ وَيَتَفَانِي مِنْ أَجْلِهَا، فَلَمْ يَكُنْ مِنَ السَّهْلِ عَلَيْهِ أَنْ يَسْمَعَ اسْتَهْزَاءَهُمْ لِذَلِكَ سَلَّاهُ رَبُّهُ سَبْحَانَهُ قَائِلًا:

وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ أَنْتَكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ

[٩٨] وأمره بان يسبح الله كلما ضاق صدره فانه منزه عن أقوالهم.

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ التَّسْبِيحَ اِشَارَهُ اِلَى اَسْمَاءِ اللّٰهِ الْجَلَالِيهِ، وَ الْحَمْدَ اِشَارَهُ اِلَى اَسْمَاءِ الْكَمَالِيهِ.

على المؤمن أن ينزه الله عن الضعف و العجز و الموت و الغفلة.و.و. كما يذكره بأنه الحي القيوم العليم القدير.و.و.

وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ لِلّٰهِ بِالصَّلَاةِ، وَ كَلِمَا سَجَدَ الْعَبْدُ لِرَبِّهِ كَلِمَا تَعَالَى عَنِ التَّأَثُّرِ بِأَذَى الْكُفَّارِ، وَ اسْتِهْزَائِهِمْ.

[٩٩] و لكي يحصل الداعيه على أعلى مراتب القرب و الزلفى لا بد أن يديم العباده لله.

وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ فَلَا أَجَلَ لِلْعِبَادَةِ اِلَّا لِقَاءَ اللّٰهِ، وَ أَفْضَلَ تَطَّلِعَ لِلْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَخْتَمَ حَيَاتِهِ بِخَيْرٍ وَ قَدْ وَصَّيَ يَعْقُوبَ بِنِيهِ قَائِلًا: وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَ سَمِيَ الْمَوْتُ بِالْيَقِينِ لِأَنَّهُ يَكْشِفُ لِلْبَشَرِ الْحَقَائِقَ الْعَارِيَةَ حَتَّىٰ يَحْصُلَ مِنْهَا عَلَىٰ يَقِينٍ كَامِلٍ، وَ الْخَطَابُ لَيْسَ فَقَطَ لِلرَّسُولِ بَلْ لِكُلِّ قَارِئٍ. أَوْ لَمْ يَنْزَلِ الْقُرْآنُ عَلَىٰ لُغَةٍ (إِيَّاكَ أَعْنَى وَ اسْمَعَىٰ يَا جَارَهُ).

ص: ٤٩١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

